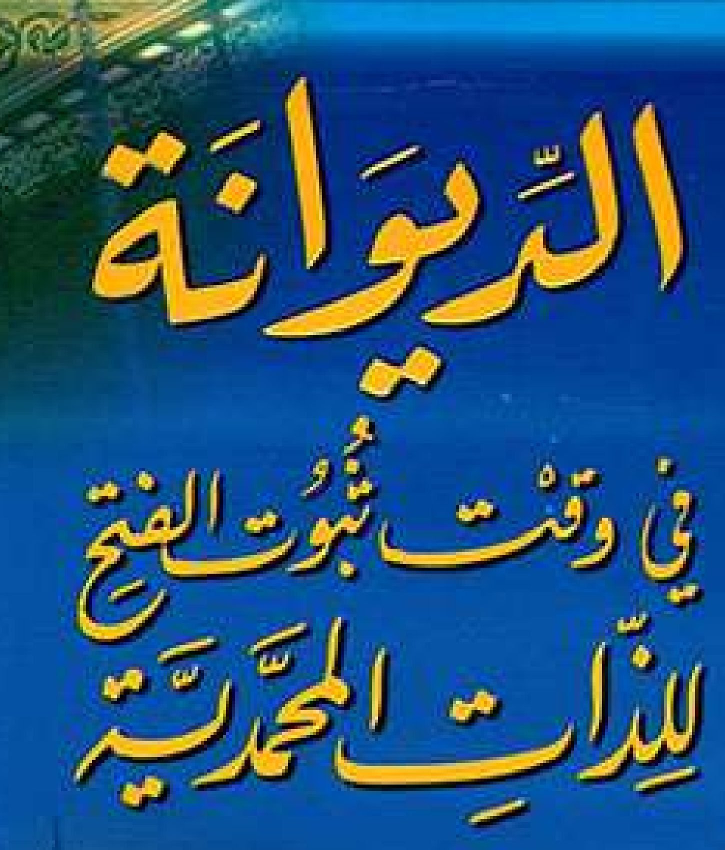


الدِّوَانَة

في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية

ويليه

الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان

من سر آية

(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)

ويليه

رسالة في أبوته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين

وأن كل نبي أب لأمته

ويليه

السانحات الأحمدية والنفثات الروعية

في مولد خير البرية ﷺ

تأليف

الشيخ الأكبر أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

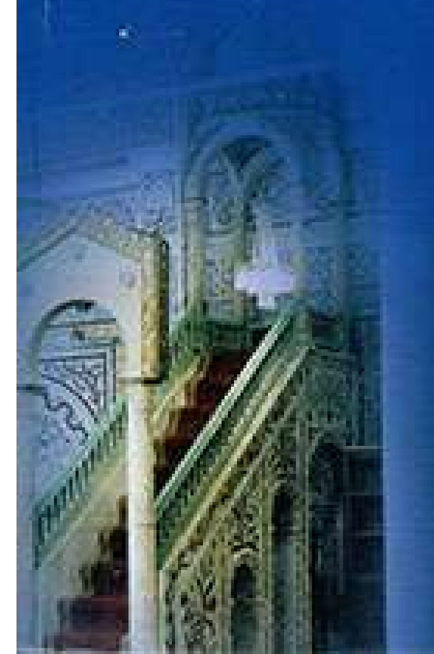
المتوفى ١٣٢٧ هـ

تقديم

الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني

تحقيق ودراسة

الدكتور إسماعيل المساوي



منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الديوانة

في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية

ويليه

الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان

من سر آية

(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)

ويليه

رسالة في أبوته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين وأن كل نبي أب لأمته

ويليه

السانحات الأحمدية والنفحات الروعية في مولد خير البرية ﷺ

تأليف

الشيخ الأكبر أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المتوفى سنة ١٣٢٧هـ

تقديم

الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني

تحقيق ودراسة

الدكتور إسماعيل المساوي

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى

٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ

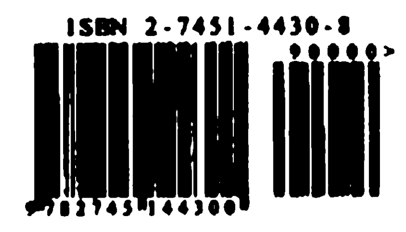
دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٠٠٩٦١)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban





تقديم

بقلم الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإيمان إلى يوم الدين. وبعد؛

فيسعدني أن أقدم لهذه الباقة العطرة من مؤلفات جد جدي لوالدتي الشيخ الأكبر، حجة الإسلام، والختم الأحمدي أبي الفيض مولانا الشيخ محمد بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني الإدريسي الحسني، المستشهد -رضي الله عنه- عام 1327 عن سبعة وثلاثين عاما فقط، ممثلة في أربع رسائل:

* الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية.
* الكشف والتبيان، عما خفي عن الأعيان، من سر آية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَٰبُ وَلَا الْإِيمَٰنُ﴾.
* رسالة في أبوته صلى الله عليه وسلم وعلى آله للمؤمنين، وأن كل نبي أب لأمته.
* المولد بلسان أهل الباطن؛ المسمى: "السانحات الأحمدية، والنفثات الروعية، في مولد خير البرية".

تحقيق أخينا الفاضل، الذي اصطفاه الله تعالى لإحياء تراث هذا الختم الأحمدي، والمجدد الكبير، والذي أكب منذ اشتداد عوده على البحث

والتنقيب عن هذا التراث، بل جمع متفرق شعره في ديوان ضمنه أكثر من ثلاثة آلاف بيت، مع دراسة مسهبة بلورا رسالته في الدكتوراة؛ الدكتور إسماعيل المساوي حفظه الله تعالى.

ضمن سلسلة "النفائس الكتانية" التي كنت ابتدأتها عام 1419، وقصرت مادتها على مؤلفات الإمام المذكور؛ شيخ الطريقة الكتانية الأحمدية ومؤسسها، بحيث نشرْتُ أحد عشر عنوانا في الآداب والسلوك، نشرَتها دار الرازي بالأردن.

وقد كانت لقيت تلك الرسائل إقبالا واسعا من طرف القراء والسالكين؛ بحيث درست في بعض مساجد الموصل بالعراق، وبفلسطين السليبة، والأردن، واليمن، واهتبل بها أهل الأردن، والمملكة العربية السعودية، ومصر؛ الأمر الذي دفع جملة من الأفاضل إلى مراسلتي وتحفيزي على نشر عدد أكبر من تلك الرسائل والمؤلفات، بل طلب مني البعض إرسال نسخ من المؤلفات التي لما تطبع بعد.

ونظرا لانتقالي لسكنى المغرب، وانشغالي بأمور أشغلتني عن متابعة تلك السلسلة؛ فقد مرت عدة سنوات دون تلبية رغبة المتعشقين إلى سلوك طريق التصوف النقي السني، والهيمان في الكمالات المحمدية التي لم يطلع عليها سوى الشيخ أبي الفيض ومن ورد مورده - رضي الله عنهم.

حتى التقيت بالأستاذ المذكور، والذي حمل معي الراية - التي لن تلقى بإذنه تعالى - ودهق من المورد الأصفى الأنقى، واهتبل بالكمالات الكاملة، واشرأب إلى صعود الأقنان العالية، سالكا مسلك الجذب، وراحقا رحيق من لا يقنع سوى بمشاهدة الحق تعالى.

وقد كان اعتنائي - بادئ ذي بدء - بنشر كتب المؤلف المختصة بالتربية والسلوك، والفقه، مؤجلا كتب الأذواق والمعارف إلى وقت آخر، غير أنني اصطدمت برغبة الدكتور المساوي في الاختصاص بكتب المعارف والأذواق،

فجفلت عن ذلك المطلب زمانا؛ نظرا لتصريح شقيق المؤلف حافظ المغرب الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني - رضي الله عنه - في كتابه: "المظاهر السامية، في النسبة الشريفة الكتانية"(مخطوط) عنه بقوله: ((ولكنه - قدس سره- رجع عن كثير من مصنفاته التي ألفها في أول أمره، وكان لا يرضى بإظهارها، ويود حرقها؛ كـ: "البحر المسجور"، و"الطلاسم"، والثانية المطبوعة، وتفسير سورة والضحى ...ونحو ذلك)). وعلل ذلك بأن تلك الكتب إنما هي لأصحاب النهايات لا البدايات.

ثم استخرت الله تعالى؛ فتجلى لي أمر؛ وهو: أن تلك الكتب والمواضيع في طور النهضة الثقافية العالمية الآن أصبح لها دور مهم في الدعوة إلى الله تعالى وإرشاد الطبقة المثقفة - في الغرب خاصة - إلى الدين الإسلامي وتحبيبهم فيه، الأمر الذي كان سببا في إسلام الكثير والكثير جدا منهم. غير أن كتب الحاتمي وابن سبعين والجيلي...وأضرابهم من العارفين الكبار، والتي تخصصت في المعارف الإلهية، والخوص في حقائق الألوهية ومعمقات المواجيد الربانية؛ مع إفادتها البالغة للواصلين، واهتداء جملة من العلماء والمستشرقين بها، وكينونتها سببا كبيرا في التبشير بالدين الإسلامي السمح؛ فقد كانت سببا لشطح آخرين، وإيمانهم بوحدة الأديان، وأخذهم لكلام الأئمة المذكورين على ظواهره، على أنه كلام ذوق وعمق، لا كلام شرح وفهم - في الجملة - حتى استغلها كل داعية إلى نبذ الشرائع، والإيمان بالإله المشترك بين البشر، وإغفال نصوص الكتاب والسنة القاطعة، بل وعد ظواهرها مفهوما للعامة، وأنه ليس مرادا من الحق تعالى.

فالتفتُّ إلى ما هو أخص سبيلا، وأسلم طريقا إلى باب الله تعالى، القائل في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، والقائل تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. فوجدت أن البحث في الكمالات المحمدية، والغوص في مزايا النبي صلى الله عليه وسلم، هو أسلم وأقرب طريق إلى الحق تعالى، وأدعى لفهم معاني

الربوبية، ومقاصد الألوهية، والتخلق بالأسماء والصفات، والتطبع بطبائع من كان خلقه القرآن.

وحيث إن ما كتبه الإمام أبو الفيض - رضي الله عنه - فريد جنسه في بابه، استغراقا في الحقيقة الأحمدية، وغوصا في الكمالات المحمدية، مع يد بيضاء في علوم الظاهر والباطن، ودمج للحقيقة بالشريعة، والشريعة بالحقيقة، بحيث يستدل لمعارفه المغرقة في البطون، بظواهر الكتاب والسنة، مبينا أن ربيّة الشريعة مفتقر إليها الكامل والناقص، والخاص والعام؛ ولكثرما يردد - رضي الله عنه: «إذا عجز الفقيه عن إبراز العلة من الحكم؛ قال: هذا تعبدي، وإذا عجز النحوي؛ قال: كذا سُمع، وإذا عجز الصوفي؛ قال: هذا ذوقي. وليس أمر من أمور الشريعة خاف على العلماء بالله تعالى».

فهو يستدل لكل جزئية من علومه بالآيات القرآنية، وبالأحاديث النبوية، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة رضي الله عنهم. ومع هذا؛ فقد كان - رضي الله عنه - متخلقا بعلمه، فقد كان أكثر الناس زهدا - مع استمتاعه بنعمه تعالى - وثاخن السيرة النبوية حتى تمثلت في سيرته؛ فقد كان أوحد أهل زمانه علما، وأكثرهم دعوة إلى الله تعالى، وأغوصهم في الرقائق والمعارف الإلهية والمحمدية، وأنصحهم لخلق الله تعالى، ومارس السياسة؛ فكتب أول دستور مغربي يدعو فيه إلى الشورى والعدالة، وتطبيق الشريعة الإسلامية، ودعا للجهاد في سبيل الله تعالى ضد المستعمر الأجنبي، وبقي مجاهدا إلى أن استشهد تحت السياط بفاس وهو يقول: «اللهم إن كان هذا في رضاك فزدني منه!».

ولقد ذكرتكِ والرماح شواجر حولي وهند البيض تقطر من دمي

وهو مع كثرة ما مر بيديه من المال، بحيث كان يدهش له الملوك فمن دونهم؛ بنى أكثر من مائة مسجد وزاوية، ولم يترك لأبنائه من بعده حجرا على حجر.

وشتان بين وارث ورث جوامع الصفات المحمدية، وغيره ممن لم يباشر ما باشره، ولم يعان ما عاناه صلى الله عليه وسلم.

ولست هنا بصدد الحديث عن محتويات الرسائل؛ فهي بين يدي القارىء، وقد أشار المحقق إلى شذا من عبيرها؛ غير أن كلها يدور حول أهلية النبي صلى الله عليه وسلم للرسالة، ووجوب الحرص على اتباعه، والتعمق في البحث عن حديثه وآثاره؛ فمن كان السبب في إيجاد الله الأكوان؛ كان الأولى بالاتباع والاقتداء، ومن كان نبيا وآدم بين الطين والماء؛ كان الأولى بالاقتصار على هديه وشريعته، ومن قرن الله تعالى اسمه باسمه، ونعته بنعته؛ هو الأولى بأن نتشخص فيه اسم الحق تعالى ونعته؛ من حيث السلوك لا من حيث الجسمية، وحاشا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، والنبي صلى الله عليه وسلم أكمل وصف له وأتمه أنه: عبد الله ورسوله.

فمبلغ العلم فيه أنه بشر	وأنه خير خلق الله كلهم
دع ما ادعته النصارى في نبيهمُ	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف	وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له	حد فيعرب عنه ناطق بفم

وحاصل تلك الرسائل شرح لصلاته الأحمدية؛ المعروفة بـ: الصلاة الأنموذجية. والتي نصها:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذُجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

ومعلوم أن العارفين بالله تعالى يضمنون معارفهم في صلوات تحكي منتهى ما بلغوه من المعرفة، وما زالوا جيلا عن جيل يبتكرون صلوات تضم الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم، من حيث أخلاقه، وصفاته، ونعوته، ومزاياه

الكريمة وسجاياه، ويحضون أتباعهم على التزام الذكر بها تشخيصا للنبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ محبته الحقيقية هي السبب الأول والأخير في رضوان الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، ومِن لازم البيعة: المحبة الحقيقية، ومن لازِم المحبة: الاتباع: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، ونتيجة البيعة: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. ويمكن الاستئناس هنا بأن الشجرة إشارة إلى: شجرة الشريعة المحمدية.

والصلاة "الأنموذجية" تمدح جوامع الخلال النبوية، وتصف كمالاتها بما لو فصلها الشارح تمعنا واستقراء وشرحا؛ تحصل على ظاهر الشرع وباطنه، ولذلك فقد ألف الشيخ رضي الله عنه رسالة سماها: "اقتباس العقائد الجملية، من الصلاة الأنموذجية"، وكتب فيها نهره المزبد: "خبيئة الكون"، الذي بيض منه المجلد الأول في عدة مئات من الصفحات، ولو تم لكان آية في بابه.

فالصلاة "الأنموذجية" تتحدث عن:

اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد. فالحديث هنا عن أصل الأكوان، وهو: الحقيقة الأحمدية، وهي: باطنه صلى الله عليه وسلم المنطوي فيه ظاهره. ففيه المحمدية والأحمدية، والمحمودية وغيرها من سابر المقامات. وثمة أمور من الأسرار ليس المحل لذكرها، أومأ إليها المؤلف في بحر الرسائل طيه.

الذي جعلت اسمه متحدا باسمك: وهو إشارة إلى قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ونعتِك: أي نعته متحدا بنعتك. فأنت الرؤوف الرحيم، وهو: الرؤوف الرحيم، وأنت العالم، وهو أعلم خلقك، وأنت الرزاق، وهو: القاسم للأرزاق، وأنت الهادي، وهو المهدي...إلخ. وهو قول حسان رضي الله عنه:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد

وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذج حقيقة "خلق الله - سيدنا - آدم على صورته": فتكلم هنا عن صورة هيكل النبي صلى الله عليه وسلم الجسماني، مشيرا إلى الحديث الصحيح: «خلق الله آدم على صورته». وليس المراد هنا المشابهة بين المخلوق والخالق، وحاشا، ولكن مذهب السلف الصالح: إمرار هذه الأحاديث على ظواهرها، وتوكيل معانيها الحقيقية لله تعالى. وللعلماء تأويلات في معنى هذا الحديث كثيرة.

وفجرت عنصر موضوع مادة محموله من أنيّة: "أنا الله". أي أن العنصر الأول الذي تكونت منه مادة خلق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أوجدها الله تعالى أول ما أوجد السوى، إذ هو أول من أجاب بـ: "بلى"، يوم قال تعالى: ألست بربكم؟. فأول ما تعرف الخالق إلى المخلوق بقوله: "أنا الله"؛ تشكل عنصر مادة محمول أول مجيب؛ وهو النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان مراد الحق تعالى من إبراز العوالم عبادته تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، كان أول مجيب: أخص مخلوق؛ لاصطفائه بالبدء في الإجابة؛ فكان مقتدى الخلق أولا من حيث تبوعه في قولهم: "بلى"، فكانوا كلهم في صحيفته؛ بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة». وكان بذلك هو السبب في خلق الله تعالى الخلق، فلولا المحمول الذي يحمل العبادة، لما خلق الله تعالى، ولولا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لما كانت سماء ولا أرض، ولا دنيا ولا أخرى؛ وهو معنى: أولية النور المحمدي، ومعنى قول البوصيري رضي الله عنه:

فإن من جودك الدنيا وضرتها

وقوله:

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ثم قال الشيخ رضي الله عنه: بل؛ حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده. إذ هو إنما عبد ورسول، فمن اتبعه، وجد الله تعالى، ومن تخلق بخلقه؛

تخلق بالقرآن: «كان خلقه القرآن»، والذي هو صفة الله تعالى وكلامه. فمن جاء اسم النبي صلى الله عليه وسلم؛ وجد الله تعالى، ومن جاء نعته؛ وجد الله تعالى، ومن جاء أصل مادته؛ وجدها أول ما انفهق من قوله تعالى: "أنا الله"، فهو من الناحية المعرفية بحكم العدم عند الحق تعالى، بل بحكم التجلي، لمن قصده، ومن الناحية الشرعية: اتباعه اتباع لله تعالى، والاقتداء به إنما هو اقتداء بأنوار الله تعالى، ودينه إنما هو دين الله تعالى، ومن هنا وجب الاعتناء به وبسيرته وبحديثه خاصة، ومن الناحية الرجعية: لا يقبل الله تعالى عملا - كائنا ما كان - إذا لم يكن على ضوء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معنى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. فهذه الجملة التي جمعت لفظة "بل" ما قبلها وجعلته نتيجة لها؛ هي الجامع لعلوم الظاهر والباطن، ويرد ما بعدها لما قبلها، وإضافة ما قبلها لما بعده تترسم للعارف علوم الأولين والآخرين، من شريعة وحقيقة، وعلوم كونية...إلخ.

ثم قال: وعلى آله وصحبه وسلم. والآل والصحب؛ خاصة: على ظاهر اللفظ، وعامة: جميع من أجاب ببلى يوم قال تعالى: "ألست بربكم". فالداعي بها يدعو للأكوان، فمنته عليهم، وهم محسوبون عليه، إذ: «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه» كما في الحديث الصحيح، ويجيب الملك الداعي لأخيه بظهر الغيب بقوله: «ولك مثل ذلك». كما في الحديث الصحيح كذلك. إضافة إلى صلاة الله تعالى على القارئ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا». ومن صلى الله تعالى عليه؛ تحل عليه البركات بمقدار المصلي عز وجل؛ فلا يخسر أبدا.

فمؤلفات الختم الأكبر أبي الفيض الكتاني - رضي الله عنه - كلها تدور حول هذا الفلك، وحول تلك المعاني؛ شرحا واستنباطا للمعارف من بواطن الجلاميد. فأسأل الله تعالى أن يبارك في نشرها وفهمها، وأن ييسر لقرائها الهداية بها والسلوك، وفهمها بقلوب سليمة، لا قلوب المنتقدين، ومن أغلق

عليه أمر فليذكر الله تعالى ويكله للحق تعالى، فإن المؤلف - رضي الله عنه - كان وقافا مع ظاهر الشريعة الغراء، غيورا عليها.

على أن طريق التصوف إنما هي مبنية على السلوك والتربية، واتباع ظواهر الشريعة الغراء على طريق شيخ التربية، والرفقة الصالحة، وهذه المعاني لها أربابها؛ ومن حسَّن الظن؛ بلغ مبلغ الرجال، في أقرب الآجال.

فجزى الله تعالى أخانا الدكتور إسماعيل المساوي عن الأمة المحمدية خير الجزاء، ووفقنا للاتباع، وعصمنا من الابتداع، بجاه النبي الشفيع صلى الله تعالى عليه وعلى آله.

وكتبه

الشريف محمد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني

الرباط: سحر الثلاثاء 14 شوال الأبرك عام 1424

مقدمة المحقق

□ **تمهيـــد:**

منذ أن قررت إنجاز أطروحتي لنيل الدكتوراه حول الشيخ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني - رضي الله عنه - (1290هـ/ 1873م-1327هـ/ 1909)، وأنا أحاول استكشاف العلوم المتداولة والمدروسة من قبل الشيخ؛ لكي أفحص حقائقها و أتصور محراب ماهيتها. وكان مطمح نظري ومنتهى أمنيتي وغاية بغيتي، معرفة نظرية الشيخ في التصوف ومالها وما عليها ، فبدأت بشعر الكتاني من خلال أطروحتي السالفة الذكر في موضوع: شعر محمد بن عبد الكبير الكتاني - جمع وتحقيق ودراسة - فاستنتجت ما يأتي :

1 - باستقراء شعر الكتاني يتضح أن له نظرية في الحقيقة المحمدية أو الأحمدية، وهي نظرية تنتهي إلى إثبات أن الروح المحمدي أو الأحمدي سبق وجوده كل الموجودات، وتقدمت حقيقته كل الأنبياء والخلفاء والأولياء، وأفيض من نور باطنه كل موجود بمشيئة الله .

2- إن هذا الشعر عبر عن طريقة الشيخ الكتانية الأحمدية أصدق تعبير، بل إن الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني لم ينظم شعره إلا قصد تبيان طريقته الصوفية وإبراز المعاني التي يتوخى إبلاغها إلى المتلقي أو المريد .

3- يعتبر موضوع الحقيقة الأحمدية المحور الأساس الذي يحوم حوله شعر الشيخ أبي الفيض، ومن ثم أسهب في وصفها والاستدلال على صحتها وتبيان أهميتها في الوجود .

4- إن الحقيقة الأحمدية في تصور الشيخ هي: البرزخ الذي يسهل عملية المرور بين الكائنات والذات الإلهية، ومن ثم فالوصول إلى الحضرة الإلهية لا يتم إلا بالمرور من حضرة الحقيقة الأحمدية.

5- إذا كانت الذات الأحمدية هي سر الحياة و الجمال والكمال عند الشاعر الكتاني، فإنه يرى أن كل ما تقع عليه حواس الإدراك الإنساني من حسن وإعجاب وجمال وحب، ما هو إلا تجل لنور هذه الذات، ولذلك هام الشاعر في حبها .

6- إن وحدة الوجود في شعر الكتاني تستقي مرجعيتها من نظرية الشاعر الصوفية الأحمدية ذات "النسق الفلسفي". وتقوم وحدة الوجود عنده على أساس أن الموجودات بجميع أشكالها ما هي إلا تجليات للحقيقة الأحمدية، باعتبارها أصل الوجود - بإرادة الله التي هي مشيئته عز وجل.

7 - إن قارئ شعر الكتاني تستوقفه بعض أبياته الشعرية، لما تثيره من إشكالات، من ذلك قوله :

وكنت نبيا جا بأسنى رواية وآدم عين الروح معنى وجنة

وقوله :

شريعته منها الشرائع قد بدت ولكنها بالنسخ للكل عمت

وقوله :

وعلّمه القرآن إذ لم يكن هنا ك جبريل سرا أو سفير رواية

- **ومن تلك الإشكالات ما يلي :**

كيف يعقل أن النبي ﷺ كان نبيا قبل خلق آدم عليه السلام؟، وإذا كان الأمر كذلك، فما المقصود بهذه النبوة ؟، وهل له ﷺ نبوتان ؟، وإذا كان الجواب بالإثبات، فما هي الأدلة من القرآن والسنة على ذلك؟، وكيف تكون للنبي ﷺ شريعة قبل الأنبياء؟، وكيف كانوا يستمدون شرائعهم من شريعته وهو متأخر عنهم جميعا؟، وما المقصود بهذه الشريعة؟، هل هي الشريعة الإسلامية المعروفة ؟، أم شيء آخر؟!، وهل كان النبي ﷺ يعرف القرآن الكريم قبل نزول الوحي عليه ؟، وهل نزل القرآن على النبي ﷺ مرتين؟، وما مدى ملامسة قلب المؤمن لهذه الغيبات؟، وهل من سبيل إلى توضيح ما استشكل على القارئ من مثل هذه الأمور ورفع ما استغلق بسببها؟.

هذه الإشكالات وما شاكلها طرحت على الشيخ الكتاني في زمنه، وشكلت جزءا من أسباب التأليف عنده.

□ **الرسالة الأولى: الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية:**

يعد كتاب "الديوانة"، واحدا من هذه المؤلفات التي سعى من خلالها صاحبها توضيح إشكال استبهم عن الناس، وهو: متى وقع الفتح لذاته عليه السلام؟؛ هل من أول قدم؛ أي: منذ كان حقيقة أحمدية؟، أم بعد كماله ﷺ سن الأربعين؟. فحاول الشيخ الإجابة عن ذلك - بعد أن تلقى عن النور العرشي - وهو الحقيقة الأحمدية - المعرفة الصوفية المسطرة في كتاب "الديوانة" - متبعا الخطوات الآتية:

مقدمـــة: وضمنها ميز الشيخ بين حقيقة الرسول ﷺ الباطنية (الحقيقة الأحمدية)، والظاهرية (كونه بشرا أرسل للعالمين كافة)، مبينا ارتقاء روحه عليه السلام في المعارج الإلهية ومشاهدتها أنواع الجمال والجلال الإلهيين، ليخلص إلى أن الرسول ﷺ كامل الروحية، كامل البشرية.

المقصـــد: أي المقصد من تأليفه لكتاب "الديوانة"؛ وهو: وقت ثبوت الفتح لذاته ﷺ وزوال الحجاب بينها وبين الروح؛ فبعد أن ذكر المؤلف - رضي الله عنه - في هذا المقصد بظهور الحقيقة الأحمدية وبرزخيتها وتجليها في الموجودات، بين اصطحاب الذاتين: الأحمدية والمحمدية ونزول القرآن التفصيلي على الحقيقة الأحمدية، معرضا للمسالك أو الأدلة التي تؤكد ذلك الاصطحاب، مبينا المقصود بنبوة الحقيقة الأحمدية، مبرزا أسباب تأخر هيكل الرسول ﷺ الشريف وعدم إبرازه في تلك الأزمنة الغابرة، مستدلا في كل هذا وذاك بالقرآن والسنة وأقوال السلف، معتمدا أسلوب الحِجاج...

خاتمـــة: بدأها بالحديث عن الفناء والبقاء ومراتب الحب وبحار الأحمدية، ليخلص إلى وصوله ﷺ إلى غيب مفتاح بطون الماهية؛ وهو: البحر السابع من بحور الأحمدية الباطنية، وهو مقامه صلى الله عليه وسلم المحمود

الباطني. وأنهى هذه الخاتمة بجملة من خصيصات النبي عليه السلام، ونموذجا لفتوحاته (أي: فتوحات المؤلف).

◻ نسخ "الديوانة" المعتمدة في التحقيق :

ولما كانت نسخ الديوانة مبثوثة في زوايا مظلمة لا ترى إلا بغتة، ولا تنظر إلا فلتة، وعز العثور على لبناتها الجوهرية، قمت بتحقيقها تحقيقا علميا من أجل نشرها، سيما وأن النفوس المتشوقة صارت تتفهم في مفاخر العلماء، وأضحت تتحقق وتترنم.

وقد اعتمدت في تحقيق كتاب " الديوانة " على خمس نسخ مخطوطة، ثلاثة منها توجد في الخزانة العامة بالرباط (المغرب)، وواحدة بالخزانة الحسنية بالرباط أيضا، والأخيرة بخزانة خاصة، وهذه النسخ هي كالآتي:

أ. نسخة بالخزانة العامة بالرباط، رقم : د 1736، ورمزت لها أثناء المقارنة بالنسخ الأخرى بـ: ع/ 1؛ تمييزا لها عن باقي النسخ.

توجد هذه النسخة ضمن مجموع للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، وتبدأ من ص: 99 من المجموع، وتنتهي في الصفحة: 111.

تحتوي هذه النسخة على 12 ورقة (24 صفحة)، مقياس 22×17.

كتبت بخط مغربي جيد، استعمل فيه الحبر الأسود، ويتخلله لونان هما الأخضر والبرتقالي، وأغفل الناسخ ذكر اسمه وتاريخ النسخ.

وهذه النسخة من أجود النسخ وأكثرها سلامة من الحذف والتحريف، لذلك اعتبرناها الأصل والأم في عملية المقارنة أو المقابلة.

ب. نسخة بالخزانة العامة بالرباط أيضا، رقم: ك 2804، ورمزت لها أثناء عملية المقارنة بالنسخ الأخرى ب: ع/ 2.

توجد هذه النسخة ضمن مجموع أوله: تقييد شروط الورد للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحتوي على 13 ورقة (25 صفحة)، مقياس 22 × 18، وكل صفحة تتألف من 22 سطرا، كتبت بخط مغربي لا بأس به. يتخلله لون

بني وآخر أخضر، وتتميز هذه النسخة بشكل بعض العبارات والأبيات الشعرية الواردة فيها.

أما كاتبها؛ فهو: أحمد بن محمد المصوري، وأما تاريخ نسخها؛ فهو: 27 جمادى الثانية عام: 1326 هـ.

ج. نسخة بالخزانة العامة بالرباط، رقم: 2896، ورمزت لها بـ: ع/ 3، أثناء المقابلة بالنسخ الأخرى. عدد أوراقها: 11(23 صفحة)، مقياس 23 × 18،كتبت بخط مغربي متوسط، استعمل فيه الحبر الأسود. أما ناسخها وتاريخ نسخها فغير مذكورين.

د. نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط رقم: 10327، ورمزت لها بـ: " حَ" (أي: الخزانة الحسنية) تمييزا لها عن النسخ الأخرى. توجد هذه النسخة ضمن مجموع مخطوط لمجوعة من المؤلفين، وتبدأ من الصفحة: 23 وتنتهي بالصفحة 29 من المجموع، عدد أوراقها: 7 (13 صفحة) مقياس: 32,8 × 20,3، وتتألف صفحاته ما بين 29 و 30 سطرا، ما عدا الصفحة الأخيرة التي لا تتجاوز: 21 سطرا.

كتبت هذه النسخة بخط مغربي لا بأس به، استعمل فيه الحبر الأسود، ويتخلله لون أحمر، أما كاتبها وتاريخ نسخها فغير مذكورين.

هـ. نسخة بخزانة خاصة بالرباط، توجد في حوزة حمزة بن علي الكتاني، ضمن مجموع لمحمد بن عبد الكبير الكتاني، ورمزت لها بـ: " خ " (أي: الخزانة الخاصة)، أثناء عملية المقابلة بالنسخ الأخرى. توجد هذه النسخة في أول مجموع، وتبدأ من الصفحة: 2 وتنتهي بالصفحة: 14. عدد أوراقها: 7 (13 صفحة)، مقياس: 22 × 18. وتتألف صفحاتها من 33 سطرا، ما عدا الصفحة الأخيرة، إذ تحتوي فقط على 18 سطرا. كتبت النسخة بخط مغربي لا بأس به، دون ذكر ناسخها وتاريخ نسخها.

□ منهج التحقيق :

بعد نسخ المخطوطة الأم، عمدت إلى تحقيقها، معتمدا المقارنة أو

المقابلة بين النسخ الأخرى، قصد توضيح الاختلافات والزيادات الموجودة في كل نسخة، مرجحا الأقرب إلى الصواب. كما التزمت بقواعد الرسم المعروفة في عصرنا الحاضر في الكتابة، متجنبا ما درج عليه النساخ من كتابة الممدود مقصورا والضاد ظاء، والفاء قافا...وغير ذلك، واعتنيت بشرح ما غمض من العبارات والكلمات والمصطلحات الصوفية بالاستناد أحيانا إلى كلام المؤلف نفسه من خلال بعض مؤلفاته، وأحيانا إلى كلام الصوفية والمعجم العربي اللغوي والصوفي. كما حاولت تقطيع النص المحقق وتوزيع فقراته، ووضع عناوين رئيسة لفقراته مع علامات الترقيم الحديثة من فواصل ونقط وعلامات استفهام وتعجب...وغيرها.

□ **صعوبات التحقيق :**

ولم يكن السبيل إلى تحقيق هذا الكتاب سهلا أو ميسرا، فكما لا يخفى على من له خبرة بالتحقيق عامة وتحقيق النص الصوفي خاصة، فقد تجشمت كثيرا من الصعوبات؛ أهمها : كثافة المصطلح الصوفي في هذا الكتاب، وخروج المؤلف في غالب الأحيان عن الوحدة الموضوعية المتصورة في حدود المنطق العقلي؛ إذ لا يتقيد بالمقصد من الكتاب وهو الفترة التي وقع فيها الفتح لذات النبي ﷺ وزوال الحجاب بينها وبين الروح، بل يدرج فيه موضوعات أخرى.

□ **الرسالة الثانية: الكشف والتبيان عن سر آية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾:**

إن للشيخ محمد الكتاني اهتماما بتفسير سور وآيات من كتاب الله عز وجل لا يقصر عن اهتمامه بالتأليف ونظم الشعر في الخطاب الصوفي. وقد خص الشيخ لهذا الموضوع حيزا من تآليفه؛ منها :

- تفسير لكتاب الله عز وجل ، (لم يكمله)، مخطوط بخزانة خاصة .

- تفاسير خمسة للبسملة من علم الكلام والفقه والتصوف والحقائق والنحو، مخطوط بخزانة خاصة .

- شرح البسملة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،رقم ك 336 .

بالإضافة إلى هذين الكتابين اللذين حققناهما، وهما :

- الكشف والتبيان عما خفي على الأعيان في سر آية :﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾.

- مسالة أبوته ﷺ وعلى آله للمؤمنين، وكل رسول أب لأمته.

كما اهتم المؤلف - رضي الله عنه - بتفسير بعض الآيات القرآنية ضمن مؤلفاته الصوفية العديدة.

والجامع المشترك بين تفاسير المؤلف ما يأتي :

1- اقتصار هذا التفسير على آيات من كتاب الله عز وجل، أو سور، دون أن يتعداها إلى تفسير كل آي القرآن العظيم .

2- ارتباط تفسيره بمشروعه الصوفي (الحقيقة الأحمدية)، بل إن تفسيره لا يكاد يخرج عن تآليفه ونظمه الشعري في الخطاب الصوفي؛ إذ سعى من خلال الكل إلى تبيان طريقته الصوفية الكتانية الأحمدية المحمدية ومشروعيتها، انطلاقا من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه الكريم ﷺ، مستعينا بتأويل بعض هذه النصوص تأويلا ينسجم والحقيقة الأحمدية .

وحتى لا نستطرد في هذا التقديم، نعرج على الكتابين، لنبين أهم النتائج التي خرج بها الشيخ الكتاني من خلال تفسيره :

فقد أدرك الشيخ في قوله تعالى : ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾، أسرارا لا يفطن إليها إلا المتمكن في علم التفسير، الغواص على دقائقه، المؤيد بفتح رباني أو كشف عرفاني، فبادر الشيخ إلى كشف وتبيان هذه الأسرار وإبلاغها إلى المتلقي أو المريد .

فظاهر الآية يقتضي نفي العلم والمعرفة والإيمان بكتاب الله عز وجل عن الرسول ﷺ، وبالتالي إثبات الجهل وعدم الإيمان عن الرسول ﷺ قبل نزول الوحي عليه، فأبطل الشيخ هذه الدعوى مثبتا معرفة رسول الله ﷺ الكتاب

والإيمان قبل نزول الوحي عليه وبعده، بل مذ كان حقيقة أحمدية. وقد استند الشيخ في ذلك إلى مجموعة من الأدلة من القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ وآثار العرب، وباعتماده التأويل والكشف العرفاني وقوة العارضة. من تلك الأدلة ما يلي :

1- نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ في عالم الأرواح، أو عالم الغيب، بدون وساطية القوى الجبريلية فضلا عن اللوح المحفوظ، كما يتضح ذلك جليا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾، أي: لا تعجل بتلاوة ما عندك من القرآن القدسي والمتلقى عنا وإلينا، فيفشى السر المكتوم من قبل أن يقضى إليك وحيه، أي: وحيا ثانيا .

2- قوله ﷺ : «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد».أي: كنت أعلم النوع الإنساني، وأطهر الذوات الآدمية وآدم بين الروح والجسد. والطهارة لابد أن تكون ملتحفة بحلل العلم والمعرفة الحقيقية، إذ العلم بالله على سبيل الشهود والعيان هو الذي يطهر الذوات من ظلمات طبيعتها، ومقتضى ما أكن في أصل نشأته . فلما خرج ﷺ من بطنان العدم، وتوج بتاج : «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»، علمه الله الشؤون المتعلقة بالأكوان بواسطة تعليم الله سبحانه له في عالم التجلي الأعظم للأرواح؛ إذ هي مهيأة لذلك وقابلة له. ولا جرم أن النبوة التي من أجلها نزل عليه الملك على رأس الأربعين سنة، لم يزل متلبسا بها من يوم كان في عالم الغيب. فكما أنه نبي لما بعث، هو نبي إذ ذاك بمقتضى قوله الصادق : « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد».

3- قوله ﷺ : «كل مولود يولد على فطرة»، وليست إلا فطرة التوحيد الأصلية الأزلية المشوبة المستندة للشبه والبراهين .

4- في "الروض" عن الواقدي : «أول ما تكلم يوم ولد (أي: الرسول ﷺ) جلال رب الرفيع» . وفي "شواهد النبوة" : روي أنه ﷺ لما وقع على الأرض (يوم ولد) رفع رأسه وقال بلسان فصيح : «لا إله إلا الله وإني رسول الله ﷺ».

5- أخرج البيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت : يا رسول الله؛ دعاني إلى الدخول في دينك: أمارتك لنبوتك؛ رأيتك في المهد تناغي القمر - أي: تحادثه - وتشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال. قال: «إني كنت أحدثه ويحدثني، ويلهيني عن البكاء. وكنت أسمع وجبته - أي: سقطته - حين يسجد تحت العرش» .

6- وتعد آية المبايعة المؤسس عليها هذا الكتاب كافية في الرد على نفاة دراية الكتاب والإيمان عن الرسول ﷺ قبل الوحي، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾؛ ففيها تشريف لسيدنا محمد ﷺ من جهات كثيرة؛ أعظمها: جعل مبايعة الرسول ﷺ مبايعة لله عز وجل؛ فإنه تصريح بمقام الخلافة العظمى، وتنبيه على مرتبة النيابة الكبرى، ليتوجه الكل إليه، ويتمسك به، ويلزم طريقه، وإعلام بأنهم لا يصلون إلى خير من خيور الدنيا والآخرة، ونعمة من نعم الملك الأعلى جل جلاله؛ إلا من بابه ﷺ، ألا وإن من خصائصه ﷺ أنه: أعطي مفاتح خزائن أجناس العالم، فيخرج لهم بقدر ما يطلبون، فكل ما ظهر بهذا العالم فإنما يعطيه سيدنا محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح، فلا يخرج من الخزائن الإلهية شيء إلا على يديه ﷺ؛ وهو معنى اسمه: الخليفة، وخليفة الله . وكل من لم يقل بهذا يلزم أنه ﷺ لم يكن نبيا وآدم بين الروح والجسد، وهو مصادمة للمنصوص المرفوع، وإنكار إحدى أعاظم خصيصاته ﷺ .

انطلاقا مما تقدم؛ يرى الشيخ الكتاني أن قوله تعالى : ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾؛ خوطب به الرسول ﷺ أولا في عالم الأرواح، كما خوطب به ثانيا في عالم الأشباح، فكأنه تعالى يقول : في حال عدمك كنت لا تدري ضرورة أنك لم تكن موجودا حتى تناط بك الرزاية، والآن أنت تدري، فالآية خرجت مخرج الامتنان، فالمعنى الذي حمل عليه اللفظ أول ما كوفح به، ينبغي أن يحمل عليه ثاني ما خوطب به .

وهذه الرسالة؛ جواب عن سؤال رفعه الفقيه الصوفي عبد القادر بن محمد المدغري الموسوي رحمه الله تعالى للمؤلف - رضي الله عنه - مستفسرا في الموضوع.

▫ **منهج التحقيق :**

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسختين :

- الأولى : مطبوعة طبعة حجرية عام 1332 هـ .

- الثانية : مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، المغرب .

وقد اعتبرت الحجرية هي الأصل؛ لأنها منقحة ومصححة، وفيها إضافات عن المخطوطة تعدت في بعض المحاور ثلاث صفحات. وفي النسختين اختلافات سواء من حيث الألفاظ أو العبارات، فقمت بترجيح الأكثر صوابا .

ورغم أن الشيخ رتب تأليفه على آية المبايعة، فجعلها كالفصول للوصول؛ تذكارا للرتبة المحمدية عند ربها، وتقسيمه هذه الفصول إلى وصولات واستطرادات وتنبيهات إلى غير ذلك ...فإنه لم يضع لذلك عناوين شارحة ومفهمة لكل فصل، مما اضطرنا إلى القيام بذلك .

وزودت النص بعلامات الترقيم الحديثة؛ من نقط وفواصل، وعلامات استفهام وتعجب وعزوت الآيات الكريمة، كما وضعت هامشا لتخريج الأحاديث النبوية وآثار العرب وغيرها كل ما أمكن ذلك.

▫ **الرسالة الثالثة: مسألة أبوته ﷺ وعلى آله للمؤمنين، وكل رسول أب لأمة:**

حاول المؤلف - رضي الله عنه - في كتابه هذا تبيان مسألة أبوته ﷺ وعلى آله للمؤمنين، انطلاقا من مذهبي المفسرين والصوفية .

1- مذهب المفسرين :

انقسم المفسرون لهذه المسألة إلى مذهبين :

* **المذهب الأول** : أثبت أبوة ﷺ للمؤمنين ، محتجا بما يلي :

- قراءة أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهما، حيث قرءا : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم﴾.

- قول الرسول ﷺ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد» .

* المذهب الثاني: وهم الشافعية، لم يجيزوا إثبات أبوته ﷺ للمؤمنين، مستدلين بقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

ولم يوافق الشيخ الكتاني على رأي هذا الصنف الأخير، للأسباب الآتية:

- الآية: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، نفت الأبوة الحقيقية الشرعية، التي يترتب عليها الإرث ووجوب النفقة وحرمة المصاهرة، سواء كانت بالولادة أو بالرضاع أو بأي طريق كانت الأبوة.

- الآية نفت أن يكون المتبنى ابنا حقيقيا، بنفي كون زيد بن حارثة ابنه الذي يحرم نكاح زوجته .

- المراد بالأبوة في الآية: الأبوة الشرعية، وهذه الأبوة تكون بالولادة وبالرضاع وبالتبني بشرطه، والشرط الذي يستتبع الأبوة الشرعية- هنا- مفقود. ومن جملة شروطه: كون المتبني مجهول النسب، وزيد معروف أنه ابن حارثة، ومن ثم لا يحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، بل إن الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾، إثبات لأبوته ﷺ للمؤمنين، لا مطلقا، ولكن من حيث إنه كالأب في الشفقة والنصيحة من جانبه، وفي التعظيم من جانبهم، بل أقوى، فإن النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والأب ليس كذلك .

2- مذهب الصوفية:

ويمثلهم في هذا الكتاب المؤلف نفسه: الشيخ الكتاني. فقد بين الشيخ أبوته ﷺ للمؤمنين من حيث الحقائق بطريقي: الإيجاد والإمداد .

- الإيجاد: إذ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم، باعتباره ﷺ حقيقة أحمدية، أو آدم الأكبر .

- الإمداد: فالرسول ﷺ هو القاسم لما يعطي الله، طبقا للحديث النبوي الشريف: «إنما الله معط وأنا قاسم»، فهو بهذا الاعتبار أب لجميع الموجودات والكائنات، حتى الأنبياء والرسل عليهم السلام هو أب ووالد

لهم، بل هو نكتة وجودهم، ومادة نشأتهم الروحية والجسمية.

□ منهج التحقيق:

اعتمدت في تحقيقه على نسخة واحدة مطبوعة طبعة حجرية سنة 1332هـ، وقمت أيضا بتقسيمه وكتابته كتابة حديثة، سائرا على النهج نفسه في الكتاب الأول.

ولم يكن السبيل إلى تحقيق هذين الكتابين سهلا أو ميسرا، فرغم صغر حجمهما، فقد تجشمت في قراءة هذا العمل كثيرا من الصعوبات منها:

- صعوبة فك رموز النسخ المخطوطة والمطبوعتين الحجريتين.

- توفرنا على نسخة واحدة منفردة من كتاب: "مسالة أبوته ﷺ وعلى آله للمؤمنين، وكل نبي أب لأمته"؛ الشيء الذي يضاعف من مجهود البحث في المصدر الواحد.

- صعوبة التعامل مع اللغة الصوفية.

وحتى لا نستطرد في ذكر الصعوبات، يكفي أن نذكر أن التحقيق عمل صعب بطبيعته، إذ يتطلب من الجهد أكثر مما يتطلبه التأليف، وقد جهر بذلك الجاحظ -قديما- بقوله: «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعنى أيسر من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام» .

وقد كان زادنا في التغلب على تلك الصعوبات وغيرها؛ هو: الصبر والدربة على أسلوب المؤلف ومشروعه الصوفي، واستشارة ذوي الخبرة في هذا المجال، وخاصة السادة: عمر بناني - حمزة بن علي الكتاني - عبد الإله ثابت .

وبهذه المناسبة لا يفوتني أن أتوجه لهؤلاء بالشكر الجزيل، فقد دلوني على مصادر الشيخ، وزودوني بمعلومات دقيقة عن الخطاب الصوفي بعامة، وخطاب الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الصوفي بخاصة .

□ الرسالة الرابعة: السانحات الأحمدية والنفثات الروعية في مولد خير البرية:

باستقراء هذا الكتاب، تتضح معالم نظرية الوجود لدى الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني المؤسسة على مبدأ: الحقيقة الكلية، والتي تقسم الوجود إلى أقسام ثلاثة:

1. مبدئه (الله عز وجل).
2. برزخه (الحقيقة الأحمدية).
3. تجليه (الكائنات أوالموجودات الجزئية).

نحن إذن أمام رتب ثلاث:

* رتبة الكمون (مبدأ الوجود): وفي هذه الرتبة كان الجناب الأقدس كامنا في هوية الهويات، كنزا في لا شيء، بانبساط مقتضيات حضرة العما ولا مقتضيات......

* رتبة الأحمدية (برزخ الوجود): وضمنها يشير الشيخ إلى الحقيقة الأحمدية، معتبرا إياها المعرف للكون والواسطة بين الله وسائر الكائنات، إذ لا بد من التعريف والمعرف والمعرف.

* رتبة الموجودات الجزئية (التجلي)؛ أي: تجلي الوجود في تفاصيله الجزئية.

وقد تطرق الشيخ - أيضا- في هذا الكتاب إلى موضوعات أخرى لها علاقة وطيدة بنظريته في الوجود وهي:

مرتبة الحقيقة الأحمدية ضمن مراتب الوجود، وبروز الموجودات من هذه الحقيقة الأحمدية، وانطباع هذه الأخيرة في جميع الصور، وإمدادها كل فرد من أفراد الموجودات.

* اصطحاب روحانية الرسول عليه السلام بجسمانيته، وجملة من مزاياها.

* غلبة حقيقته - عليه السلام - الباطنية على حقيقته الظاهرية.

* الإشارة إلى ولادته عليه السلام- بلسان أهل الظاهر- وشق صدره.

وقد اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة مطبوعة طبعة حجرية بفاس، متبعا في ذلك الخطوات نفسها التي نهجتها في كتبي الأخرى المحققة؛ مثل: تقطيع النص المحقق، وتوزيع فقراته، ووضع عناوين رئيسة لفقراته، مع تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية...وغير ذلك....

مدخــل

1. ترجمة المؤلف:

ولد الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني عام 1290هـ/ 1973م بمدينة فاس[1]، ودخل الكتاب لتعلم القرآن، فحفظه، ثم التحق ببعض المدارس والزوايا بفاس قبل أن يتم تعليمه بالقرويين، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى نبغ في كثير من العلوم، المنطوق منها والمفهوم، فرزق التبحر في علم التفسير وأدواته وأسراره، وعلم السنة وأسراره واصطلاحه، وعلم الأصول، وعلم الكلام، وعلم الفقه، وعلم التاريخ، وعلم السيرة، وعلم الأنساب، وعلم اللغة، وعلمي المعاني والبيان، وعلم الحكمة، وعلم المنطق، والعلم الإلهي، والعلم الناظر في المقادير وهو علم الهندسة، والعلم الأرتماطيقي، وعلم الموسيقى، وعلم الهيئة، وعلم التصوف الذي هو السلوك، وعلم الرقائق،

---

(1) ترجم المؤلف – رحمه الله – في أكثر من كتاب .من ذلك :
أ-المظاهر السامية ،عبد الحي الكتاني ،(مخ،خ،ع) 1/ 109وما بعدها.
ب-ترجمة الشهيد ،محمد الباقر الكتاني ،ص: 8-9.
ج-روض الجنان .محمد بن محمد المعطي العمراني (مخ) ص: 284.
د-معجم المطبوعات المغربية، إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني ،ص: 303.
هـ-معجم الشيوخ ،عبد الحفيظ الفاسي ، 1/ 45 وما بعدها .
و-الإعلام ..المراكشي ،7/ 155 ،وما بعدها .
ز-الأعلام ، الزركلي ،6/ 214-215.
ن-موسوعة أعلام المغرب ،تنسيق محمد حجي ، 8/ 285.
ط-من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، حمزة بن علي الكتاني ،ص: 11وما بعدها.
ش-ينظر أيضا أطروحتنا لنيل الدكتوراه : شعر محمد بن عبد الكبير الكتاني جمع وتحقيق ودراسة (مرقونة بكلية اللغة العربية بمراكش) .

وعلم الحقائق، وعلم الحروف، وعلم سر الحروف، وعلم المناسبات، وعلم المفردات...وغير ذلك مما هو مشهور[1].

ويصف اطلاعه على هذه العلوم بقوله: «... أما بعد؛ فاعلم أخي وصفيي، أني استكشفت العلوم المتداولة والمندرسة، وفحصت عن حقائقها، وتسورت محراب ماهيتها، واستمنحت واهب الجود في العون على الغوص على مخبآتها، واستنتاج نتائجها، وكرعت كل بحر وردته وخضت على تهيع وساومته، وكان مطمح نظري وآخر بحثي عنها، ومنتهى أمنيتي، وغاية بغيتي، الاطلاع على ملاحظ أهاليها والسر الجامع لكل واضع لمسألة على انتحالها. وبدأت بعلم الكلام فعرفت مثارات أهله وملاحظهم فيما اختاروه وتدينوا به، ورماني ذلك لعلم الحقائق ... فعرفت ما لا يمكن التعبير عنه»[2].

2. نشاطه السياسي والوطني:

يعد الشيخ من أبرز الصوفيين السياسيين في عصره، فبالإضافة إلى كونه عالما متمكنا وصوفيا متبحرا، فهو سياسي متبصر، «دفعت به ظروف البلاد إلى المزج التام بين كل هذه التخصصات؛ سلوكا وعلما وعملا، من هنا كان حضوره القوي في خضم الأحداث، إن لم نقل كان واحدا من أبرز قادتها وصانعيها وموجهيها»[3]، حتى إن المخزن المغربي لم يكن بوسعه الاستغناء عن الشيخ في لحظة عسيرة من تاريخ المغرب (أواخر القرن الميلادي التاسع عشر وبداية العشرين)، فقد اعتمد عليه السلطان المولى عبد العزيز بصورة قوية « لاستمالة قبيلة بني مطير وإخضاعها لسلطته، كما اعتمد على نفوذه الروحي لتهدئة الأحوال وتسكين الانتفاضات في الكثير من المناطق بعد ثورة الروكي بوحمارة، وخروج العديد من الإيالات عن سلطة مولاي عبد العزيز»[4]. وكان

---

(1) ترجمة الشهيد، محمد الباقر الكتاني ،ص: 14.

(2) سلم الارتقاء (مخ) محمد بن عبد الكبير الكتاني، ص: 1- 2.

(3) الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب، أحمد بوكاري، 3/ 936.

(4) آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بقبيلة بني مطير العربي أكنينح، 2/ 407.

من بين علماء فاس الذين نشروا - في هذا الصدد- مذكرة سموها: " تذكرة نافعة ونصيحة جامعة"، ومضمونها: أن الإمام الشرعي بالمغرب الأقصى هو السلطان مولاي عبد العزيز، وعليه ينبغي التحذير من الاغترار بأباطيل الثائر بوحمارة.

ونظرا إلى نفوذ الشيخ السياسي ومكانته الاجتماعية، أرسل إليه السلطان المولى عبد الحفيظ رسالة قصد بيعته سلطانا جديدا على المغرب[1]، فاستجاب الشيخ لطلب السلطان، بعد طول روية وتأمل، فأعلن بالضريح الإدريسي بفاس - بحضور الأشراف والعلماء ورؤساء القبائل وبمؤازرتهم وتأييدهم - خلع مولاي عبد العزيز ومبايعة أخيه مولاي عبد الحفيظ، طبق شروط الشورى والجهاد.

3. طريقته الصوفية:

يعد الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني «المؤسس الفعلي للزاوية الكتانية وطريقتها، والواضع لأحزابها وأورادها، والمحيي للسنة عن طريقها في سائر بلاد المغرب»[2] تولى مشيخة الطريقة الصوفية الكتانية في الفترة بين عامي 1308/ 1890 - 1327/ 1909، وخلال ولايته تحولت الزاوية الكتانية من المحمدية إلى الأحمدية، وهو تحول لا ينفي عنها كونها محمدية مبنية على الكتاب والسنة، لقول الشيخ نفسه: «طريقتنا هذه الأحمدية المحمدية الصديقية المؤسسة على الكتاب والسنة والإجماع، والقياس المستجمع للشرائط؛ التي هي أصول الدين، أما كونها أحمدية؛ فلسقي أكابر أهل الطريق من الروحانية الأحمدية، أما كونها محمدية؛ فلانتساج الأحوال الصادقة من السنة المحمدية صرفا، ولكثرة استحضار الذات المحمدية عند الخواص من أهل الطائفة في

---

(1) ينظر نص الرسالة في كتاب: ترجمة الشهيد، محمد الباقر الكتاني، ص: 191.
(2) مدرسة الإمام البخاري في المغرب، يوسف الكتاني، ص: 517.

جميع الأنات، وأما كونها صديقية؛ فلكونها أقرب إلى الذات المحمدية...»[1].

وقد انتشرت الطريقة الكتانية بسرعة خلال مشيخة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، ذلك أنها اكتسحت جل المناطق المغربية، فحسب دراسة قام بها "جورج بيجول": «كان يوجد في قبيلة بني مطير وقبيلة بني مكيلد وحدهما عشر زوايا كتانية لا نعرف مع الأسف مقر كل واحدة منها»[2].

□ محنته واستشهاده:

يمكن اعتبار شروط بيعة الشيخ الكتاني للسلطان مولاي عبد الحفيظ، نهاية العلاقة الودية التي تربط بين الشخصين، إذ مباشرة بعد عقد البيعة، ساءت الأحوال بينهما، فلم تعد للشيخ الكتاني مكانة وحظوة عند السلطان مولاي عبد الحفيظ.

وفي يوم الخميس 24 صفر عام 1327هـ، خرج الشيخ الكتاني من فاس متخفيا إلى قبيلة بني مطير. ولم نقف - لحد الآن - على أدلة وحجج مستندة إلى وثائق رسمية مقطوع بصحتها من شأنها أن تكشف عن النوايا الحقيقية التي تساور الشيخ الكتاني عند خروجه من فاس[3].

وما يمكن تأكيده - هنا- أن المخزن الحفيظي، لم يكن مطمئنا إلى خروج الشيخ لقبيلة بني مطير المعروفة بمعارضتها للسلطة المركزية، فبعث السلطان مولاي عبد الحفيظ برسالة إلى عماله وخدامه بمختلف الإيالات المجاورة لفاس، يحثهم على استطلاع حقيقة أمر الشيخ وإلقاء القبض عليه.

وقد قام القائد عق البُومَدْمَانِي صحبة القائد عَقٌ الحزرلاوي المطيري،

---

(1) رسالة من محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى عبد الرحمن الزوطي (مخ ضمن مج، خ،ع) ص: 6.

(2) les confréries des kittaniiyen ; pujol george p : 41.

(3) ينظر: آثار التدخل الأجنبي في المغرب، العربي أكنينح، 2/ 371

Revue de Monde Musulman, Michau pi laire, p: 303.304

Au temps des Mhallhs, Armond, p: 266

لاقتفاء أثر الشيخ، وبعد فترة وجيزة تمكنا من الظفر به في منطقة الحاجب. وبعد أن وصل الخبر إلى السلطان المولى عبد الحفيظ، بعث على الفور فصيلة من الجيش مؤلفة من ثلاثمائة فارس من أخلص الرجال لمساعدة القائدين على إلقاء القبض عليه واحتجاز موكبه[1].

وبعد مقابلة بين الشيخ الكتاني وبين المولى عبد الحفيظ بعد إلقاء القبض عليه - حضرها بعض علماء فاس . صدر الأمر باعتقاله واعتقال والده الشيخ عبد الكبير وشقيقه الشيخ عبد الحي وابنه الشيخ محمد المهدي في بيت بقصر أبي الخصيصات بفاس، قال الشيخ عبد الحي الكتاني: «ولما دخل لمعتقله معنا يوم الثلاثاء فاتح صفر عام 1327 هـ، بقي معنا إلى يوم السبت سابع وعشرين ربيع الأول، ففرق بيننا وبينه، وضرب بالسياط ضربا مبرحا، ثم أفرد ببيت بجوارنا لا فراش له ولا غطاء، مكشوف الرأس. فبدأه المرض وهو داء الحلق الذي نقول له نحن "الحلاقم"، فلم يكن يجد مساغا للطعام والشراب - إن أدخل عليه الطعام والشراب - مع عدم المقابل والمفروض، وقل ما تشاء من قساوة وغلظة وتجبر، ولازال حاله يشتد، وحركته تقل إلى أن جادت نفسه - رضي الله عنه - صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الثاني من السنة المذكورة»[2] ودفن عشية الجمعة بمقبرة السماكة، وطمس خبره.

وقد رثي الشيخ بقصائد كثيرة؛ نذكر منها قول عبد الحفيظ الفاسي من قصيدة طويلة: [الكامل]

رُزء أصاب الدين والإسلاما ... وكسى الوجوه كآبة وظلاما

خطب له كل العوالم أرجفت ... وكذا الفصيح وما يطيق كلاما

لم لا؟ وقد فقد الغيورَ محمدا ... ركن الفخار الفارس المقداما[3]

---

(1) Mongraphie d'une tribu-berbère ; Abés (commandant) P: 175

(2) المظاهر السامية، عبد الحي الكتاني (مخ، ح ، ع) 1/ 252-253.

(3) المصدر نفسه، 1/ 262.

5. آثاره والإشادة به:

أ-آثاره

1-مؤلفاته:

للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني من المؤلفات مالا يكاد المرء يصدق صدوره عن مؤلف واحد، مات ولم يناهز عمره السنة السابعة والثلاثين، وعاش حياة لم يوقف كل لحظة من لحظاتها بالتأليف، بل شغل شطرا غير قليل منها فيما يشغل به الصوفية أنفسهم من عبادة ومجاهدة، ناهيك بتحركاته الحثيثة من أجل مناهضة الاحتلال الأجنبي من جهة، ونشر طريقته الصوفية والدعوة إلى الله تعالى من جهة أخرى.

ولو قيس بغيره من مؤلفي عصره لبزهم جميعا في مجال التأليف: إذ ألف ما ينيف على ثلاثمائة كتاب، يقدر بثلاثين مجلدا على حد تعبير ابنه الشيخ محمد الباقر[1]. ومؤلفاته ذات طابع صوفي، وديني، ومنها ما هو مطبوع وما هو مخطوط، ويمكن تقسيم مؤلفات الكتاني إلى مؤلفات مطبوعة وأخرى مخطوطة.

أ-المطبوعة:

1. الإجازة الطرقية وشروط وأركان الطريق ،تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن سلسلة: من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني. السالف الذكر ، ط، بمصر: 1321 هـ، وبالأردن - دار الرازي عام 1420.
2. أدل الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات-ط-بفاس، (د.ت).
3. أسرار الاستعاذة، ط، بفاس، (د.ت).
4. الأمالي في علم الأمهات، تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن السلسلة السالفة الذكر، ط1، دار الرازي .

(1) ترجمة الشهيد، محمد الباقر الكتاني، ص: 160.

5. ارتشافات من الثدي المحمدي وامتصاصات من الوبل الصمدي، ط، بفاس.
6. الاستيذان في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾، ط، فاس، (د.ت).
7. حزب البسط، ط، حج، فاس، 1313هـ.
8. حزب التضرع، ط، حج، فاس، (د.ت).
9. الحزب المطلسم، ط، حج، فاس، 1313هـ
10. الحزب الواقي، ط، حج، فاس (د.ت).
11. الحكم الإلهية والمحمدية، ط، حج، (د.ت).
12. خبيئة الكون في شرح الصلاة الأنموذجية، ط، بفاس (د.ت).
13. ختمة الأجرومية بطريق الإشارة للذات المحمدية، ط، بفاس (د.ت).
14. ختمة البخاري، ط، حج، 1323هـ.
15. رسالة إلى أهل سلا، في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ والحض عليها.
16. رسالة في تحديد السياسة المغربية بعد البيعة الحفيظية. نشرت ضمن كتاب: الشيخ مولاي إبراهيم الكتاني. تأليف أبي بكر المريني.
17. رسالة المؤاخاة، كلاهما من تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن الكتاب السالف الذكر.
18. سفن النجاة وكهوف العباد، وهو: العهود الكتانية. تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن الكتاب السالف الذكر.
19. سفينة المحبة، تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن الكتاب السالف الذكر.
20. الفرق بين الواردات الرحمانية والملكية والنفسانية والشيطانية وكلام في طريقة التصرف، تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن الكتاب السالف الذكر.
21. الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان في سر آية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾، ط، حج، فاس (د.ت).
22. الكمال المتلالي والاستدلالات العوالي في محاججة أهل التفريط

والتغالي وأن فيضان الربوبية والمحمدية لا ينقطع بل متتالي"، ط، حج، فاس، 1318هـ.

23. اللؤلؤة الاستعطافية بالأعتاب المحمدية، ط، حج، فاس، 1323هـ

24. لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية، ط، حج، فاس، 1323هـ، ثم، ط، حديثة (د.ت).

25. لقطة عجلان شرح الصلاة الأنموذجية، ط، حج (د.ت).

26. مزج الصلاة الأنموذجية، ط، حج، فاس (د.ت).

27. مزج الصلاة المشيشية، ط، حج فاس (د.ت).

28. مسألة أبوته ﷺ وعلى آله للمؤمنين، وكل رسول أب لأمته، ط، حج، فاس، 1332هـ

29. مناجاة، ط، حج، فاس. (د.ت).

30. المولد النبوي، مطبوعات مشيخة الطريقة الكتانية بسلا، 1402هـ/ 1981م.

31. نسخة من غاب عنه المطرب، تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن كتابه السالف الذكر.

32. وجوب اقتران ذكر رسول الله ﷺ بذكر الله تعالى، وكلام في وجوب التزام الأدب، تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن كتابه السالف الذكر.

33. الورد الكتاني، مطبوعات مشيخة الطريقة الكتانية، بسلا، 1404هـ/ 1984م.

34. الوصايا الكتانية، تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن كتابه السالف الذكر.

ب)-المخطوطات:

1-المخطوطة بخزانات عامة:

35. إجازة لعبد الحي الكتاني، مخ، ضمن مج، خ، القرويين بفاس، رقم 10515.

36. إجازة لعبد الرحمن الزوطي، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 2804.

37. أوراد الأسحار، مخ ضمن مج، خ، ع، بالرباط، د: 3376. ثم ميكروفيلم بالخزانة نفسها رقم 1222.

38. أوراد الطائفة الكتانية ومناجاة لشيخ هذه الطريقة، مخ خ العلمية الصبيحية رقم 484/ 2.

39. الاستباقات إلى حضور صلة الحق سبحانه للموجودات، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، رقم: 10327.

40. البحر المسجور، مخ، ضمن، مج.خ.ع، بالرباط، ك: 2804.

41. بيان الآفات في حكم تضييع الأوقات باللعبات المسماة بالكارطة والضامة وما شاكلها مما ينطبق عليه اسم الميسر، مخ، خ، ع، بالرباط، ك، 2405.

42. تفسير سورة الفجر، مخ، خ، ع، بالرباط، ك: 2405.

43. حديقة الجنان. أجاب بها عن أمور تنكر على الصوفية، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، رقم ك: 2405.

44. حزب البقاء، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 2870.

45. الحزب السيفي، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 2808، ود: 6151.

46. الدر المنضود في الصلاة على سيدنا محمود، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط د: 6151.

47. دعاء قدسي، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 2808.

48. الديوانة، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 2804 ود: 1736، ومخ، ضمن مج، خ، ح، بالرباط، رقم: 10327. وبخزانات أخرى خاصة.

49. رسالة في تهذيب الصبيان، مخ، خ، ع، بالرباط ك: 3278.

50. الرقائق الغزلية في شرح الصلاة الأنموذجية، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط ك: 2804.

51. سلم الإرتقاء، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 2804.

52. شجرة الأنوار في طريق النبي المختار، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 3285.

53. شرح البسملة، مخ، خ، ع بالرباط، ك: 3036.

54. شرح الصلاة الأنموذجية المسمى: "روح القدس"، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط ط: 2732.

55. شروط الورد، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 2804.

56. الشمعة، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ك: 2405.

57. صلا ة جامعة للكمالات المحمدية والأسرار الأحمدية، مخ ، ضمن مج،خ،ع بالرباط ك: 2808.

58. صلاة أحيد، مخ، ضمن مج، خ، ع، بالرباط، ط: 2406، ومخ، خ، ع، د: 2817.

59. الصلاة الهمسية ، مخ ، ضمن مج .خ.ع ، الرباط 6151 .

60. صلاة عظيمة المقدار جليلة الأنوار ، مخ ، ضمن ، خ، ع، الرباط ، ك 3351 ، مخ ضمن مج ، خ، ع ، الرباط 1735.

61. الفص المختوم في تفسير سورة الضحى ، مخ ، خ ، ع بالرباط ، ك 3351 وك: 1735.

62. كتاب في التصوف ، مخ ، خ، ع، بالرباط ك: 3194.

63. كتاب في التصوف ، مخ ، خ، ع، بالرباط ك ، ك: 3213.

64. كتاب في التصوف ، مخ ، خ، ع، بالرباط ك 2933.

65. المزج ، مخ ضمن مج ، خ، ع، الرباط د: 6151 .

66. مناضلة الحسام لمن يجيز دخول الحمام، أو زبدة المرام في علم دخول الحمام ، مخ ضمن مج ، خ، ع، بالرباط: 10327.

67. ورد النساء ، مخ ، ضمن مج ، خ، ع ، بالرباط ، ك: 2804.

68. الياقوت والمرجان في العلم المحمدي، م× ، ضمن مج ، خ ، ع، بالرباط 2732 .

2- المخطوطات بخزانات خاصة:

هذه الكتب أشار إليها ابن المترجم الشيخ (محمد الباقر) في كتابه "ترجمة الشهيد " [1]، وأكد لي الدكتور بدر الدين بن عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني [2] أن بعض هذه المؤلفات يوجد عنده بخزانته الخاصة، وأخرى بخزانة ابن عم والده الأستاذ زين العابدين بن إبراهيم الكتاني بسلا، وجل نسخها الأصلية موجودة بخزانة الشيخ محمد المهدي بن محمد بن عبد الكبير الكتاني بسلا أيضا. ومن ذلك:

69. إجازة لمحمد بن احساين النجار السلاوي، مخ، خ، زين العابدين الكتاني بسلا.

70. البيان المسدد لمن أنكر التعبير بأحمد بدل محمد. مخ، خ، الشيخ محمد الباقر الكتاني بسلا.

71. تأليف في إيمان أبي طالب. توجد صورة عن نسخة مبتورة، بخط المؤلف بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني بالرباط.

72. تأليف في الفرق بين طريقة الاجتباء وطريقة الإنابة.توجد نسخة منه بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني، وأخرى بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.وكلاهما مبتور.

73. تأليف في رفع اليدين في الصلاة.توجد نسخة منه بخط المؤلف، بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.

74. تحفة اللبيب الخائف في جواز نقل الحديث بالمعنى للعارف. توجد نسخة منه بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.

75. التيسير والظفر في التفضيل بين الملك والبشر. توجد نسخة منه بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.

---

(1) ترجمة الشهيد ، ص 155 وما بعدها .

(2) استاذ جامعي بكلية الاداب والعلوم الإنسانية -عين الشق ، الدار البيضاء - مقيم على الزاوية الكتانية بسلا .

76. شرح أبيات من "الهمزية" للبوصيري. توجد نسخة منه بخط المؤلف، بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.

77. شرح حديث الخميصة المروي في الصحيح. توجد نسخة منه مبتورة، بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني، وأخرى بخط المؤلف، غير تامة، بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.

78. شرح نتائج حلقة الذكر. توجد نسخة منه مبتورة، بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.

79. كشف اللثام في سر الصيام. توجد نسخة منه بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.

80. القول الشافي والبيان الكافي في أن فاعل القبض في الفريضة غير جافي.توجد نسخة منه بخط المؤلف، في خزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.

81. كشف البراقع بشرح: "توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر ...". توجد نسخة منه في خزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني، وعدة نسخ أخرى في خزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.

82. مجموعة الرسائل إلى الآفاق.توجد مجموعة منها بخط الفقيه العارف، سيدي مصطفى الزاودي، في أحد عشر مجلدا، بخزانة الأستاذ زين العابدين الكتاني.

83. المواقف الإلهية في التصورات المحمدية.توجد منه عدة نسخ بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.

84. النهر المزبد في شرح خطبة "ميارة" على المرشد. توجد منه عدة نسخ بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.

85. الولاية الذاتية. توجد منه عدة نسخ بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.

86. السانحات الأحمدية، والنفثات الروعية، بمولد خير البرية. بلسان أهل الباطن. توجد منه عدة نسخ بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.

كما أكد لي كثير من الباحثين أن بعضها الآخرين يوجد في خزانات خاصة

بمراكش ونواحيها.

وأما من حيث صحة نسبتها إلى الشيخ الكتاني، فالكل يتفق على أنها له. وهناك مؤلفات أخرى رغم محاولاتي الحثيثة للإطلاع عليها، لم أتمكن من ذلك لأسباب يعرفها كل من يشتغل بالتحقيق. وحتى لانستطرد في هذا التقديم؛ نذكر أهم هذه المؤلفات:

87. الأجوبة التفسيرية.

88. الأجوبة الحديثية.

89. الأجوبة الصوفية.

90. الأجوبة الفقهية.

91. أجوبة عما أشكل في الصحيحين في حق المقام المحمدي.

92. أجوبة عما أشكل في القرآن في جانب التوحيد.

93. إزاحة الأتراح عما يختلج وهم المبسمل جهرا من إيهام خلاف النجاح من الآي القرآنية والأحاديث الصحاح.

94. اقتباس العقائد الجملية من الصلاة الأنموذجية.

95. البحر الخضم في شروط الاجتماع بالنبي الأعظم.

96. تأليف في الخشوع في الصلاة.

97. تشريح أسرار الشريعة في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾.

98. تعليق على "عنقاء مغرب" للحاتمي.

99. تعليق على "فصوص الحكم" للحاتمي (ابن عربي).

100. تعليق على ألفيته في الكملات المحمدية.

101. تفاسير خمسة للبسملة؛ من علم الكلام والفقه والتصوف والحقائق والنحو.

102. تفسير للقرآن الكريم لم يكمل.

103. الجوابات العظيمة عما أشكل في القرآن في حق المقام المحمدي.

104. حياة الأنبياء.

105. ديوان شعر.

106. رسالة في ضبط الحدود بين المغرب والجزائر.

107. الرشحات الفيضية بفك مبهمات قول ابن الفارض:

عليك بها صرفا وإن شئت مزجها   فعدلك عـن ظلم الحبيب هو الظلم

108. رياض الأزهار في شرح قول ابن الفارض:

قلبي يحـــدثني بأنك متلفـي   روحي فداك عرفت أم لم تعرف؟

109. سبقية النور المحمدي.

110. السر الصمداني والفيض الحقاني في أن العارف لا يزايله الخوف ولو بعد دخول الجنة.

111. شرح بعض أحكام الترمذي الشهيرة.

112. الصلوات الكتانية على الذات المحمدية بلسان جامع.

113. طوالع السعود في حقيقة الحيرة.

114. القهرمان الأقدس.

115. اللمحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية.

116. مجمع البحرين في مشروعية البسملة جهرا في الصلاة الفردية.

117. مدارج الإسعاد الروحاني في السلوك.

118. مقدمة للشمائل الترمذية.

119. مولد بلسان أهل الظاهر.

120. النفثات التوحيدية.

2-جريدته "الطاعون:

ارتفع عدد الجرائد الأجنبية -خلال الفترة المدروسة- بهدف نشر أفكار وإيديولوجيات تعلل التدخل الأجنبي في المغرب. وهذا ما فطن إليه الشيخ

الكتاني، فدعا إلى إصدار جريدة وطنية تشترك فيها جمعية دينية لمواجهة دعاوى الجرائد الأجنبية. يقول في رسالته "المواخات": «وكان ينبغي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت، أن يفهموا أن ظهورها حرب بالأقلام في الحقيقة لأهل الملة. فكان ينبغي لهم أن يضعوا تأليفا، ولو أن تشترك فيه جمعية دينية، ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه، وينسب الكتاب لجمعيتهم في أسرار الشريعة المطهرة.. ويطبعوا هذا التأليف مجانا لله ورسوله، وشكرا للأمانة، وحفاظا للإيمان في قلوب الأمة، ورعيا للوطن، ومقابلة للحرب بالسلم، وإدحاضا للأباطيل، وعرقلة لمساعيها بالحجج الدامغة. ويطبعوا منه الآلاف من النسخ، ويفرقوه في الدنيا لله. ولو وقع مثل هذا لحدثت أمور في العلم خيرية وسماوية. ولكن إهمال القرائح وعقمها أنتج نتائج وخيمة لا تحمد. فأنيبوا إخواني وأحبابي، وتداركوا ما أمكن تداركه»[1].

وفي هذا الإطار أصدر محمد بن عبد الكبير جريدته: "الطاعون" في فاس سنة: 1324هـ/ 1906م، وهي جريدة مخطوطة يرد فيها صاحبها «على الصحف الصادرة في طنجة، والخاضعة للنفوذ الأجنبي. وكانت هذه الصحف، وخاصة جريدة "السعادة"، تدافع عن عبد العزيز(السلطان) وتعتمد على القرآن والحديث لتبين أن الجهاد غير مناسب في الظروف الحاضرة، ولترد فيه على فتاوى علماء فاس. وكانت هذه الصحف تنتقل إلى المناطق المؤدية لعبد الحفيظ بواسطة البريد الأوربي، و خاصة البريد الإفرنسي».[2]

وفي الوقت الذي لم تكن وسائل الطباعة متيسرة في فاس «جمع الكتاني عددا من الفقهاء، وأعطى كلا منهم أوراقا بحجم جريدة صغيرة، وأملى عليهم رده على صاحب "السعادة "(...) وفند الكتاني ما أورده صاحب "السعادة" من صفات الخليفة الأربع (العدل، وحسن التدبير، والشجاعة، والنسب القرشي). واستعرض أخطاء عبد العزيز وفشله في إدارة شؤون البلاد، واستشهد بما آلت إليه

(1) ترجمة الشهيد، محمد الباقر الكتاني، ص: 36.

(2) المسألة المغربية. محمد خير فارس، ص: 177.

أحوالها في عهده، من انهيار مالي، واقتراض من الأجانب، واحتلال وجدة والدار البيضاء، وفشل عبد العزيز في القضاء على بوحمارة والريسوني، وندد الكتاني بسلوك عبد العزيز الشخصي وعلاقته الشخصية مع الأجانب».[1]

وتعد جريدة "الطاعون" أول جريدة وطنية صدرت بالمغرب. وإذا كانت أول نشرتها مخطوطة -كما سبقت الإشارة- فإنها أصبحت - فيما بعد- تنشر بالمطبعة الحجرية بفاس. وكان عدد صفحاتها: 4 صفحات. ومقياسها: 24 × 8 سنتيم. وأما المطبعة الحجرية التي تسهر على عملية الطبع فهي مطبعة الذويب.[2]

وكانت أعداد هذه الجريدة توزع بانتظام على الأوساط الرسمية، وبعض السفارات، باعتبارها ترد على صاحب جريدة "السعادة" في مقالاته الموجهة ضد المغرب ووحدته[3].

3- رسائله:

نظرا إلى ما تقوم به مؤسسة الزاوية الكتانية من أدوار دينية وثقافية واجتماعية وسياسية، فإنها لم تستطع الاستغناء عن الرسائل باعتبارها وسيلة للاتصال في بناء هيكل هذه المؤسسة[4] ونشر أفكارها وبرامجها وطريقتها الصوفية.

ويهدف شيخنا محمد بن عبد الكبير الكتاني من خلال رسائله إلى تحقيق أهداف تربوية ودينية. ومن ثم يمكننا تقسيم رسائله إلى ثلاثة أقسام:

أ. رسائل تعليمية تربوية.

ب. رسائل اجتماعية.

ج. رسائل سياسية.

---

(1) نفسه.

(2) الصحافة المغربية. زيد العابدين الكتاني 1/ 181.

(3) نفسه.

(4) رسائل الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، زين العابدين الكتاني، ص: 58.

أ-الرسائل التعليمية التربوية:

اشتهرت الزاوية الكتانية بإشعاعها الديني والثقافي، فأنشأت معابد للصلاة والذكر، كما أنشأت معاهد للتربية والتعليم، ودعا شيخها محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى ضرورة الإقبال على الزاوية الكتانية وممارسة الشعائر الدينية بها. يقول في إحدى رسائله: «وإياك أن يفوتك وقت في الزاوية؛ فإن الصلاة فيها مقبولة. وإياك أن يفوتك أول الوقت؛ فإن فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا. وإياك أن تنقطع عن الزاوية فيتراخى آخر بسببك.. فلا تجعل الزاوية كالأموات، فلا تزار إلا يوم الجمعة. وإن للحق جلت عظمته عناية بتلك الزاوية، يدركها الروحانيون من أهل الله. فإن للأماكن حظا من السعادة والشقاوة، وللأماكن سرعة من سرعة الفتح وبطئه كما يعلمه أهل فتح الجوارح»[1].

وداخل مؤسسة الزاوية الكتانية، أمر الشيخ الكتاني بتحصيل العلوم الدينية والصوفية، والاطلاع على مصادرها وشرحها. يقول: «ولا نعذر أحدا من أهل العلم بالزاوية أن يكثر سواد العلم وسواد الدين وسواد النسبة، فإن من فيه أهلية للتدريس يُدرس، ونعزم عليه في ذلك. من ليس فيه أهلية، فيلزم القراءات بالجد والحزم، ويحفظ المتن، ويكثر من المطالعات والمراجعات والمذكرات؛ فإن ذلك لذة الدنيا قبل لذة المعرفة بالله تعالى. وقد كادت البلاد أن تشغر من العلم. ويجب أن يجتمعوا كلهم ويحضروا النسخ، ويفتحوا 'جمع الجوامع' في وقت، و'التلخيص' في وقت، والشيخ الطيب في وقت، ويتعاهدوا جميعا، ولا يراعوا رئيسا ولا مرؤوسا، فإن الله لا يعبد ولا يتقرب إليه إلا بالعلم. وتفقدوا المتكاسل منهم والمتقاعد»[2].

ويقول في رسالة أخرى مركزا على قراءة الكتب الصوفية: «وإذا حضرتم

(1) رسالة. فتح الجوارح، محمد بن عبد الكبير الكتاني (مخ)، ص: 1.
(2) ترجمة الشهيد، محمد الباقر الكتاني، ص: 28-29.

مجلسا، فليكن كله ذكرا وتلاوة وسرد كتب القوم (الصوفية) وشرح "الجامع الصغير"؛ فإن الأمة لا ينفعها إلا إرشاد نبيها وعلمه غير المشوب، الغض الطري، القريب العهد من الله تعالى»[1]. ويضيف قائلا: «ولتسرد "الحكم العطائية" كل يوم بين العشاءين مع شرحها ومشاركة الفقهاء بالزاوية في البيان والإفصاح والتبيان من غير ميز لهذا عن ذاك».

كما دعا إلى قراءة "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي. يقول: «وانظروا "إحياء علوم الدين"، فما أتى على المسلمين إلا من عدم تأبطهم للإحياء حضرا وسفرا، قياما وقعودا وعلى جنوبهم»[2].

ودعاهم أيضا إلى قراءة كتاب: "منازل السائرين" للهروي[3]. يقول: «أحب أن تبحثوا عن "منازل السائرين" للإمام الهروي؛ كتاب صغير عظيم الجدوى والفائدة»[4].

ولم يغفل الشيخ الكتاني -وهو الشاعر الصوفي- الدعوة إلى إنشاد الشعر ذي الطابع الديني عامة والصوفي خاصة. يقول في إحدى رسائله: «..ولو كان لطرق القوم محتسب يدقق أعمالهم، لمنعهم من إنشاد الشعر الذي فيه الحقائق، بل إن كانوا في المجالس العامة، فحسبهم الأمداح النبوية: "البغدادية" و"الهمزية" و"البردة". وإن كانوا في حلق الذكر، فالشعر المشتمل على العشق ومحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، والشعر المشتمل على مراتب الفناء وشرائط الطريق ...»[5].

ب- الرسائل الاجتماعية:

دعا الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني في بعض رسائله إلى ضرورة

---

(1) نفسه، ص: 29. (2) نفسه، ص: 30.

(3) هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي الحنبلي (396- 481 هـ)، حنبلي المذهب، وصوفي.

(4) ترجمة الشهيد، المصدر السابق، ص: 30.

(5) نفسه، ص: 42.

الاهتمام بأفراد المجتمع خصوصا النوابغ منهم. واعتبر الإعراض عن ذلك من أسباب انحطاط الأمة. يقول في رسالته "المواخاة" : «إن من أسباب انحطاط الأمة الإسلامية في كل صقع: إهمال من نبغ فيه، كاتبا أو شاعرا أو مشيرا، أو صانعا يحسن التجبيص أو البناء أو الثياب أو صاحب صوت حسن ...»[1].

ومن مظاهر اهتمام الشيخ الكتاني بأفراد المجتمع المغربي في بعض رسائله: دعوته القبائل المتصارعة فيما بينها إلى التصالح، ونسيان العداوة، لأن المرحلة التاريخية (أواخر القرن 19 وبداية 20) تحتم الصراع ضد الأجنبي لا بين أفراد المجتمع المغربي الذين تجمعهم وحدة الدين واللغة والتراث، وفي هذا الصدد دعا إلى عقد مؤتمر وحدوي يضم مجموعة كبرى من سكان الأطلس المتوسط وما إليه من القبائل المتصارعة، للحد من صراعهم. وثم ذلك المؤتمر الإصلاحي الذي دعا إليه بمكناس بتاريخ 12 صفر عام 1326/ 1908، يقول في إحدى رسائله واصفا إياه: «إلى الأخ ...سيدي عبد الحفيظ الفاسي ...

وبعد:

فغير خاف عنك أن موجب نهضتنا من طرفكم السعيد الميمون، إلى حضرة مكناسة الزيتون، وهو ما ثبت لدينا من اضطراب وتفاهم قبائل حوزه، حيث تشوفت أطماعهم، ومالت أهواؤهم إلى ما استخذلهم به أهل الغي من الأموال، واستقروهم به مما عقدته يد العناية الربانية لاستقامة الأحوال، وأزعجنا الأمر إلى تدارك استصلاحه، انتهازا للفرصة في نجاحه.

فلما حللنا -والحمد لله- بالمدينة المشار إليها حلول يمن وأمان، استدعينا من القبائل المذكورة من الوجوه والأعيان، لنقذهم من حبائل الغرور، وردعهم عما أريد بسببهم (...) وتنبيههم من سنة الغفلة، وحضهم -في الدين- على كمال الوصلة. فأتوا يطوون -بالليل والنهار- سبلا فجاجا، بقلوب مملوءة حبورا وابتهاجا. ولم يتخلف منهم أحد ولله حمدي وثنائي وشكري، لا عربي

(1) نفسه، ص: 34.

ولا مطيري، ولا جراوي ولا مزمور ولا زعيري ...» (1).

ج-الرسائل السياسية:

تعد بعض رسائل الشيخ الكتاني وسيلة لفضح النوايا الإمبريالية السيئة من جهة والدعوة إلى مناهضتها من جهة أخرى، وعبرها -أيضا- كان يحرض القبائل على الجهاد في سبيل الله ضد المستعمر. من ذلك قوله في رسالة بعثها إلى أعيان قبيلة ازعير وسكانها: «...إلى كافة المسلمين، إخواننا في الملة والدين: قبيلة أزعير: امزواغة وكفيان، خصوصا أهل النفوس الكبار، السادات الأحرار؛ أعيان القبيلة وشرفاؤهم الذين لا يرضون بيع ذرة من إسلامهم بملء الأرض ذهبا...

أما بعد:

فقد بلغنا أن الفرانصيص أرسل لقبيلتكم أناسا يذكرون أن الفرانصيص يريد المرور بالقبيلة، وليس له غرض بكم، ويوصيكم أن لاتنهبوه ولا تضربوه، بل تتركوه يمر كيف شاء. وهذا الأمر هائل وخديعة بينة واضحة في التولية على القبيلة ونهب زرعها وضرعها، ونزوله بالمحل الذي يرضاه منها. وفي ليلة واحدة يبني أبراجا تحار العقول فيها ويملؤوها مدافع وبارودا حتى تصير نارا...

فالواجب على كل مؤمن -كامل الإسلام- قتل أولئك الناس الذين جاؤوا بهذه الخديعة التي فيها سلب السلاح والمال لهذه القبيلة من حيث لا تشعر، وهو جهاد أكبر»...

ولم يكتف الشيخ الكتاني بالتحريض على الجهاد والمقاومة، بل يشيد أيضا بالانتصار. وفي هذا الإطار أرسل رسالة إلى المجاهدين بالشاوية ضد الاحتلال الفرنسي، يهنئهم بالانتصار، يقول فيها: «.. لتهنأ قبائل الشاوية في مقابلتهم العدو، بما أعد الله -سبحانه- لها، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر في لب بشر. ورباطها في مقابلة العدو ومحاصرتها له خوف

(1) مظاهر يقظة المغرب الحديث، محمد المنوني، 2/ 367، ملحق 66.

أن ينتشر في أطراف المغرب، ودفاعها على أوطانها وحرمها ومالها وأولادها الذين يودون أن تكفروا فتكونوا سواء»[1].

هذه -إذن- نماذج قليلة من رسائل الشيخ محمد بن عبد الكبير الكثيرة، حاولنا الإشارة إلى مقصدية صاحبها منها، لعل ذلك يثير انتباه القارئ، ويشرع في جمعها وتحقيقها ودراستها.

ب - الإشادة به:

نظرا إلى مكانة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني العلمية، والدلالات الكثيرة التي أضحى شخصه يكتسبها في أعين الناس، انهمك العديد من العلماء في الثناء عليه، وتسخير جزء من مؤلفاتهم أو مقالاتهم لتعداد خصاله وتمجيد قدراته، وتقريظ مؤلفاته.

من ذلك قول الشيخ يوسف النبهاني واصفا الشيخ الكتاني: «أبو الفيض الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي، السيد الشريف، العلامة الإمام، الولي الكبير، أحد أفراد العصر، ونوابغ الدهر. وقد بلغني من الثقاة الصادقين أنه من أولياء الزمان، وأوعية العلم والعرفان، وأن له كرامات وخوارق عادات، أعظمها: اجتماعه بالنبي ﷺ يقظة، وظاهر حاله يدل على صدقه في ذلك، فإنه بعد أن ادعى هذه الدعوى الصادقة تفجرت من صدره ينابيع العلوم الشرعية والمعارف الإلهية، فقررها في الدروس في الملإ العام. وأطاب بها النفوس بحضرة العلماء الأعلام، فسلم له صحة دعواه الولاية الكبرى الخاص والعام، سوى من غلب عليهم الحسد لعدم بلوغهم هذا المقام، ومن دأبهم الاعتراض على أولياء الله الكرام، وأنا أصدقه وأومن بولايته، وأسأل الله تعالى أن لا يحرمني من بركاته...»[2].

وقال عنه الشيخ عبد الحفيظ الفاسي: «صدر من صدور عصره، وعالم

(1) المصدر السابق. 2/ 506، ملحق 78.

(2) "جامع كرامات الأولياء". يوسف النبهاني. 1/ 377.

متبحر، حافظ من حفاظ الحديث بمعانيه وفقهه، متمكن في علم التفسير والأصلين والكلام، متبحر في التصوف، غواص على دقائقه، ناهج في ذلك منهج أرباب الحقائق وأصحاب وحدة الوجود... قدير على فك المشكلات وفض المعضلات، مثابر على نشر العلم، دؤوب على تقريره وتدريسه، لا يخلو وقت من أوقاته من الغوص في مسائله»[1].

وكان الشيخ ماء العينين الشنجيطي الحسني المتوفى سنة 1328[2]؛ يصفه بـ: "نوارة الأولياء"، ويأمر أصحابه بتعظيمه ومحبته، ويقول لهم: «اعدوها ليوم القيامة»، وإذا لقي أحدا من الإخوان الكتانيين؛ يقول: «أهلا بأصحاب شمس الضحى»، وكان لا يسميه إلا بها، وزاره جماعة من الإخوان السلاويين، فقال لهم: «نِعم الشيخ شيخكم، ونعم الطريق طريقكم، ونعم الشعار شعاركم، ونعم الناس أنتم!...»، أعادها مرات متعددة، وكتب موافقا ومصححا على كتاب "لقطة عجلان في شرح الصلاة الأنموذجية" للمترجم.

ومنهم: مفتي الشافعية بمكة المكرمة، أبو علي حسين بن محمد الحبشي اليمني الباعلوي المتوفى سنة 1330. قال في آخر إجازته لنجله الشيخ محمد المهدي الكتاني: «إنه من ذوي العلوم الواسعة، والحقائق الجامعة، الذين علت همتهم، وتسامت في العلوم الظاهرة والباطنة رتبتهم، الواصل الموصل إلى طريق الحق والصدق واليقين، البدر السامي المقدار، الظاهر كالشمس في رابعة النهار، العارف بربه، المستغرق فيه بقلبه، من أرجو باتصالي به الخير، وزيادة النور والبركة ودفع الضير؛ سيدي محمد...».إلخ.

ومنهم: مفتي مصر الشيخ عبد القادر الرافعي، الحنفي الأزهري المتوفى سنة 1323هـ[3]، قال في إجازته لنجله المذكور: «قد اجتمعنا بمن فاض سيل

(1) معجم الشيوخ. عبد الحفيظ الفاسي. 1/ 45.
(2) تقدمت ترجمته في "أعلام الفكر المعاصر" 2/ 368.
(3) "الأعلام" للزركلي 4/ 64.

الكمال من سجاياه الكريمة، وتدفق فيض الفضل من مكارمه العميمة، الذي سما استعداده، وزها به اجتهاده، ودنت من مقامه الآمال، ولاذت بجانبه غايات الأعمال، السيد الشريف الشيخ محمد...إلى أن قال: فإذا هو من نخبة العلماء العاملين، وخيرة الأتقياء المرشدين، وقد رقى أعلى مراتب الكمالات، مع غزارة علم وسعة اطلاع في المنقولات والمعقولات، نفع الله به المسلمين، ولا زال ملجأ القاصدين».

ومنهم: الشيخ أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي الدكالي المتوفى سنة 1350، حلاه في إجازته لنجله المذكور بـ: «الشريف الأجل، العالم الأمثل، الحافظ اللافظ، الذي كرع من بحري الشريعة والحقيقة حتى ارتوى، سيدي محمد بن سيدي ومولاي عبد الكبير الكتاني الحسني، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين»[1].

(1) توجد هذه النقول الأخيرة في كتاب: "ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد" لنجل المترجم الشيخ محمد الباقر الكتاني.

مفهـوم الديوانــة

أ- لغة:

من خلال المعاجم اللغوية التي اطلعنا عليها، لم نعثر على مصطلح "الديوانة"، وإنما وجدنا مصطلح: الديوان.

والديوان: كلمة فارسية تجمع على دواوين ودياوين. وهو: مجتمع الصحف، أو الكتاب الذي تجمع فيه قصائد الشعر، أو الكتاب الذي يكتب فيه أهل الجندية وأهل العطية وسواهم، أو المكان الذي يجتمع فيه لفصل الدعاوى أو النظر في أمور الدولة.

ويقال: دَون الديوان بمعنى: جمعه، ودونه: كتب اسمه في الديوان[1].

ب - في الاصطلاح الصوفي:

أسس النص الديني، خصوصا القرآن الكريم والسنة النبوية، مصطلحات إسلامية، نال منها التصوف حظا غير يسير من الألفاظ فضلا عن المضامين[2]، بل إن الصوفي لا يحصل له العروج الروحي إلا في مدلول ألفاظ القرآن وآياته وأقوال الرسول عليه السلام، فتصير «أدوات تعبيره عن تجربته الصوفية هي لغة الأصل الذي استمدها منه»[3].

ومن ثمة ليس من الغريب أن نجد لمصطلح "الديوان" أصولا في النص الديني المقدس، من ذلك ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب، ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتى

(1) لسان العرب، ابن منظور -مادة -دون.

(2) المصطلح الصوفي بين التجربة والتأويل، محمد المصطفى عزام، ص147.

(3) نفسه ص 145.

بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صبا، حتى إن أهل العافية ليتمنون في المواقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله»[1].

واستعمل بعض الصوفية هذا المصطلح ليبينوا من خلاله تلقيهم علومهم بدون وسائط، وهو ما يطلقون عليه: "العلم اللدني"، أو: "العلم الأويسي"، أو: "الكشف"، لكنهم اختلفوا حول مكان الديوان وزمن التلقي منه والحاضرين فيه وغير ذلك، يقول الشيخ عبد العزيز الدباغ في كتابه "الإبريز": «الديوان: مجمع من مجامع الأولياء، ويكون بغار حراء الذي كان يتحنث فيه النبي ﷺ. ويحضره في ليلة القدر الأنبياء والمرسلون والملأ الأعلى والملائكة المقربين وغيرهم وسيد الوجود ﷺ ويحضره معه أزواجه الطاهرات وأكابر الصحابة الأكرمين» [2].

ويرى الدباغ أن الديوان كان معمورا بالملائكة، ولما بُعث النبي ﷺ جعل الديوان يعمر بأولياء هذه الأمة، فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة.

وإذا حضر النبي ﷺ في الديوان، وجاءت معه الأنوار التي لا تطاق، بادرت الملائكة الذين مع أهل الديوان ودخلوا في نوره ﷺ[3].

وليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ - في نظر الدباغ - بل منهم من يقدر على النظر فيه، ومنهم من يتوجه إليه ببصيرته ولا يعرف ما فيه، ومنهم من لا يتوجه إليه لعلمه بأنه ليس من أهل النظر إليه.[4]

(1) المعجم الكبير، الطبري.
(2) الإبريز: ص 326-327.
(3) نفسه.
(4) نفسه.

أما الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني فقد أورد مصطلحي "الديوان"، و"الديوانة "في بعض مؤلفاته، إذ ذكر المصطلح الأول في كتابه: "الأمالي في علم الأمهات"، يقول: «للقطب علامات، منها: أنه إذا نصبت له صنعة القطبانية، وصارت جنود السماوات والأرض تدخل عليه لتبايعه على حسب ما يعلمه أهل الفتوح الكونية، فإنه بمجرد ما يدخل الداخل عليه يفتح عليه بعلم لم يكن عليه قبل...».

«وغاية محافظة القطب على ملازمة الحجاب الذي يعلم أن الحق وراءه»، فيكون كالحاجب في العالم ينفذ أوامره، فليس له دون الله إلا صفة الخطاب، لأنه صاحب الديوان الإلهي لا صاحب الشهود، فلا يكون إلا من وراء حجاب إلى أن يموت، فإذا مات لقي الله وهو مسؤول عن العالم والعالم مسؤول عنه. وهذا مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام».

«ومن هاهنا كان لا تصرف له في الأفراد، ولا يخرج لهم مدد على يديه، لأنهم أعلى في العلم به، وإذا حضروا في ديوان التحكيم ربما لا يستخدمه، لأنه على بصيرة من ربه لم يرد روحانه في الأمور الكونية».[1]

أما مصطلح "الديوانة": فقد ذكره الشيخ الكتاني في كتابه السالف الذكر: "الأمالي في علم الأمهات"، بقوله: «فاعلم أنا قدمنا أن القطب هو بالنسبة لهذه الرتبة (رتبة الختم الأكبر) ككاتب الديوانة، فهو من وراء حجاب، بخلاف الختم؛ فيكشف له عن الذات باعتبار صرافة الصرافة من الذات بالذات للذات، فينمحق تحت سرادقات كبريائها»[2].

كما ذكره أيضا في كتابه: "السانحات الأحمدية "بقوله: «وقد ثبت في ديوانة الأزل أنه: لابد من التعريف والمعرِّف والمعرَّف»[3].

(1) الأمالي في علم الأمهات ،ص : 298-299 .
(2) الأمالي في علم الأمهات ،ص : 298-299.
(3) السانحات الأحمدية ... محمد بن عبد الكبير الكتاني، مخ، ص 4-5.

وفي كتابه هذا "الديوانة" يشير الشيخ الكتاني إلى أنه: تلقى عن النور العرشي هذه المعرفة الصوفية المسطرة في هذا الكتاب، وألقاها للآخر (السائل /بعض الخلان) في ديوان صنعته (كتابه الديوان)، أو بعبارة أخرى: إن ما خطه الشيخ في كتابه إنما هو إملاء محمدي وصل إليه أثناء اليقظة، يقول في مقدمة كتابه: «فوقع لي إذن باطني في أن أسطر ما به أخبر الراوي، وهو النور العرشي ...وسميته: "الديوانة" »[1].

فالروح تخبر الشيخ بما يودعه في بطون كتبه ويسطره، وهو ناطق من غير تعمل ولا روية، لأنه سلب الإرادة وتأثير الفعل لقوة التجلي، وبالتالي فهو لا يملك إلا الإصغاء والتسطير، لأن العلوم التي يتلقاها -كغيره من العارفين - مكنوزة ومسطرة في اللوح المحفوظ الذي هو: النفس الكلية .

وهذا الواقع الإلهامي يجعل صاحبه لا يعمل لتصنيف من تصانيفه مسودة أصلا، بل يخرج عن الوحدة الموضوعية المتصورة في حدود المنطق العقلي، فلا يتقيد بذلك الباب الذي يتكلم فيه، ولكن يدرج فيه غيره، وهذا يتضح جليا في كتاب "الديوانة ".

فالنور المحمدي أو النور العرشي، يختص بالكشف العرفاني والشهود الحقي؛ لأنه هو الملقي إلى القلب علم الغيب .

وهذا التلقي، أو الوارد الرحماني الذي ورد على قلب الشيخ، عقبه بردا ولذة، ولم يترك ألما ولا غيّر صورة، بل خلق علما[2]، يقول الشيخ الكتاني في آخر كتابه 'الديوانة' : «فوضع يده بين كتفي، فلا زلت أجد بردها؛ فعلمت علم الأولين والآخرين »[3]. فهذا هو الإلهام الملكي، فلو أعقب حيرة وكربا وتخبطا وألما...كان الوارد شيطانيا .

(1) ينظر كتاب: الديوانة.

(2) روضة التعريف ، ابن الخطيب ص : 515.

(3) ينظر كتاب: الديوانة.

انطلاقا مما تقدم يتضح أن الشيخ الكتاني يصرح بأنه ورث علم إلهامه وراثة نبوية محمدية، تنأى عن الهوى، فيرى بنور هدايته ﷺ وسراج روح قدسه، وعبر عن ذلك أيضا شعرا بقوله:

أتينا بغَزْل الفتح من حضرة الغِنَى بإذن رسول الله شيخي وعمدتي

فعنه أخذنا ما تدفق جهرة على صِغَــر الأجـرام حيـن شبيبتي

فالشيخ يرى ويعبر من خلال فيض نور صاحب الرسالة ومن حضرته وخزائنه، فلا ينسب لنفسه إلا التلقي الإلهامي، وهذا ما أشار إليه كذلك شعرا في آخر قصيدته: "الدرة البيضاء" بقوله:

وكل الذي أمليت عنك بمسمع فمن بحر فيضها اقتطفت مودتي

ومنه اهتدت لي المواجد حيثما أقاول وجْدهــا المـلـم بحيـرة

وهذه المرآة الرؤوية تحمل غلبة الأسرار الباطنية في طريقة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني على ظاهره، فهو قد خبر النبوة في "معراجه النوري".

وقد كان لأبي يزيد البسطامي والقشيري وابن عربي وغيرهم من أقطاب التصوف هذه الرؤى الإلهامية، وعنها صدرت مقولاتهم الذوقية وتصانيفهم وأشعارهم.

ومن الشواهد الإلهامية / الغيبية / الفتحية الإشراقية ما يلي: «قيل إن تصانيف الغزالي وزعت على أيام عمره، فأصاب كل يوم كراسا. أما ابن عربي فكان يسطر من الفتح المكي كل يوم ثلاث كراريس حيث كان[1] وابن خلدون وضع مقدمته الشهيرة في خمسة أشهر[2]، والسيوطي ألف كتاب "النفحة المسكية والتحفة المكية" في يوم واحد[3]، وحكى سيدي عبد النور -رحمه الله- أنه: كان يثني على حزبه الكبير ويقول: ما رتبت منه كلمة إلا بإذن من

(1) نفح الطيب، المقري 1/ 406.
(2) المقدمة، ابن خلدون 3/ 1365.
(3) موسوعة العلوم العربية، أحمد زكي، ص57-58.

ربي، وأمر من رسول الله ﷺ، يعني على وجه التلقي يقظة ونوما كما هو معلوم في حق أهل الله. وشواهده من الكتاب والسنة كثيرة وشهيرة، وناهيك بآية الوحي إلى أم موسى كما أخبر الله، وبموافقة الفاروق ربه في غير ما قضية...»[1].

وقد لقي الكل في سبيل هذا التصريح بالكشف والإلهام عنتا، و رموا بالتكفير، فهيهات لمكنون سرهم أن يكشف!. ومن جهة أخرى وجدوا تعضيدا وموافقة لبعضهم البعض، يقول الشيخ عبد الكبير الكتاني: «وصح ما أطبق عليه الأولياء من المحادثة والمكالمة، وقولهم: قيل لي ونوديت في سري... وإذا أحطت بهذا كله؛ تحققت وساطة النبي صلى الله عليه وسلم وبرزخيته على الإطلاق، في الغيبة والشهادة، وذلك معلوم لأهل الله ذوقا ومتحقق عندهم شهادة»[2].

(1) ثبوت برزخية الأحمدية، (م ، خ، ع) الشيخ عبد الكبير الكتاني ص: 49.
(2) نفسه، ص: 48.



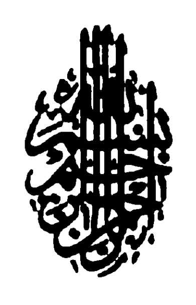
تأليف

الشيخ الأكبر أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المتوفى سنة ١٣٢٧هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور إسماعيل المساوي



صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(1)

تمهـــيد
[سبب تأليف الكتاب]

أحمد الله بالله في مهامه الدوائب، وأتلو فرقان الفرْق في قرآن جمع الغدائر والكواعب، وأصلي صلاة الظهر في أول(2) العصر(3) على من افتتحت به دول العصر، وآله وصحبه المنتخَبين من شيئية(4) الثبوت، القائمين ببسط الأنس تحت بساط مقر الرغبوت والرهبوت.

أما بعد؛ فيقول محمد بن عبد الكبير الكتاني نسبا وطريقة(5)، الأحمدي

---

(1) - في ع/ 2: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، سر الذات، ولوح التشكلات، وآله وصحبه وسلم.
- في ع/ 3: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، كهف الذات، ولوح التشكلات، وآله وصحبه وسلم.
- في خ: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على قطب المنازل وآله.
- في ح: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على قطب المنازل وآله وصحبه وسلم.

(2) عبارة: "وأصلي صلاة الظهر في أول العصر" ترد عند الصوفية بطرق مختلفة منها: "وصل صلاة العصر في أول الظهر"، "وصل صلاة الفجر في أول العصر".
والمراد بها: الرجوع إلى البقاء بعد كمال الفناء، أو إلى السلوك بعد الجذب، أي: الغالب على المريد أن يتقدمه السلوك ثم يأتيه الجذب: فأوله سلوك وآخره جذب. ثم يعود إلى السلوك؛ وهو البقاء الثاني.

(3) في ع/ 3: "العصر" بسقوط العين.

(4) ف ع/ 3: شيئية.

(5) في ع/ 3 وطريقا.

الإبراهيمي، الصديقي الإدريسي[1] الكتاني[2]: إنه وقع بينه وبين بعض الخلان، ممن له المشرب الصافي في هذا الشأن، نزاع في وقت ثبوت الفتح لذاته صلى الله عليه، وزوال الحجاب بينها وبين الروح، هل من أول قِدم؟. أم بعد كمال الأربعين؟. فوقع لي إذن باطني في أن أسطر ما به أخبر الراوي؛ وهو: النون[3] العرشي[4]، فقدمت بين يدي نجواي مقدمة، وبعدها نشرع في المقصود، وسميته: "الديوانة".

(1) في ع/ 2 وع3 و ح و خ الأويسي.
(2) الكتاني: ساقط من خ و ح.
(3) في خ: النور.
(4) النون العرشي: هو باطن الرسول صلى الله عليه وسلم أي: الحقيقة الأحمدية، وهنا يشير المؤلف إلى تلقيه ما سطره في كتابه: "الديوانة" من الحقيقة الأحمدية.

[مقدمة]

[1. حقيقة الرسول ﷺ الإنسانية]:

سبحان من لم يجعل الدليل على نبيه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يعرف به إلا من أراد أن يعرفه به[1]: «من عرف نفسه عرف ربه[2]»،[3] ليست النفس غيره، إذ هي وجه الله المتلو في: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة / 114].

وله ظهور وبطون:

فالأول: وجهه[4] الظاهر الوحداني[5].

والثاني: باطنه الفرداني المعبر عنه بالنفس في الحديث الصحيح المصحح

---

(1) بمثل هذه العبارة بدأ المؤلف كتابه: "البحر المسجورفي شرح الصلاة الأنموذجية"، إذ قال في أوله: "سبحان من لم يجعل الدليل على صفيه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يعرف به إلا من أراد أن يعرفه به"، إلا أن هذا الكتاب تفرد ببيان أسباب ذلك، يقول الكتاني: "لأنه (أي باطن الرسول ﷺ الأحمدي) البرزخ بين بحر الحقية وبر الخلقية، فلا يقدر أحد على التلقي من الجناب الحقي إلا بواسطته. وله الهيمنة على سائر الحضرات، لأنه النسخة الذاتية، وما كانت نسخة إلا لتخلقها بجميع المدلولات". ينظر: البحر المسجور (مخ، خ، خ ضمن مج) ص : 1.

(2) في ع/ 2 " من عرف نفسه عرف الله".

(3) ينظر الحديث في كشف الخفاء ... العجلوني، رقم الحديث 2532، بلفظ: "من عرف نفسه، فقد عرف ربه"، أي بزيادة "فقد". وقال العجلوني: " قال ابن تيمية: موضوع (أي الحديث)، وقال النووي قبله: ليس بثابت ... وقال ابن الغريس: "لكن كتب الصوفية مشحونة به، يسوقونه مساق الحديث ... وذكر بعض الأصحاب عن الشيخ محيي الدين بن عربي، قال : هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف". ينظر: كشف الخفاء ... هامش رقم الحديث: 2532.

(4) في ع/ 3 "وجه".

(5) "الوحداني" ساقط من ع/ 2 و ع/ 3.

عند أرباب هذا الشأن.

فمن عرف نفس حقيقته الإنسانية المحمدية حق يقين، وأميطت عن سماء عقله سحب التقليد والتخمين، فقد عرف ربه، كل على قدر القابلية المبسوط شعاعها من أم الكتاب، الموصول بها شمس الإحاطة، الموسومة بسر الكتاب.

وعن هذا السر أعرب التنزيل: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ [الأعراف / 205]. ضمّن "اذكر"، معنى[1]: اشهد، أي: اشهد ربك؛ الذي هو مجلى باطن سر[2] أحمديتك، في نفسك؛ التي هي محمد يتك أنت، أو تقول: اشهد مرآة ربك؛ التي هي باطن أحمد يتك، في نفس وحدانية[3] هويتك.

[2. ارتقاء روحه ﷺ في المعارج الإلهية، ومشاهدتها الجمال والجلال]:

لكن ضرب بين[4] هذا المشهد وبين مبتغيه بسور ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾؛ وهي: باطن هوية وجوده، إذ أسفر صبح ظهوره عن ليل دوائب هياكل جثمانية ظلمانيته. ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد/ 13]. وهو[5] آنية[6] السلطنة الإنسانية المكتومة[7] في كل:

- فمنهم: من باح مقالا.

- ومنهم: حالا.

- ومنهم: من انقلبت جيوش دوائب ليله[8] بعساكر بلج صبحه بخيله ورَجِله.

- ومنهم: المتردد.

(1) في ح بمعنى.
(2) "سر" : ساقط في ع/ 2.
(3) في ع/ 3 و ح: وجودانية.
(4) في خ: ضرب بينه وبين هذا المشهد.
(5) في ع/ 1 و ع/ 2 و ح "وهي".
(6) الأنية: الأنا.
(7) في ع/ 2: " المكنونة".
(8) في خ: " لعله".

والتفصي[1]/[2] منه هو: الاستهلاك[3]/[4] في نقطة خال جماله، واقتباس عوالم[5] هيكله من قبس نار أحدية وصاله، ي الطور الأيسر القلبي، العرشي، مستوى قدمي الوجوب[6] والإمكان والناسوت واللاهوت[7]، وسائر أنواع تفريد الضدين[8] من مسجد حضرات إزالة الوحشة في قالب خطاب[9]: «اخلع نعلي هويتك وآنيتك لحلل أحمد يتك ومحمد يتك».

فإن تحقق بهذا السر العجيب، وتفرد بهذا الفيض الغريب؛ سمع النداء: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طـــه / 13، 14].

---

(1) في ع/ 2: التفضي، كذا في ع/ 3.

(2) التفصي: الخروج أو التخلص من الحرجة.

(3) يقول الكتاني في كتابه: "الطلاسم": "اعلم أنه على قدر الاستغراق والاستهلاك في سائر عوالمه ﷺ، كل واحد بحسبه، يكون البقاء بالله وفي الله ولله، وعلى قدر معرفته تكون معرفة مشهوده، وعلى قدر الجهل به يكون عكسه، لأنه هو الباب الأعظم والبرزخ المطلسم الذي لا دخول إلا من بابه ..". ينظر: الطلاسم (مخ، خ، خ، ضمن مج) ص: 1.

(4) "الكاف" من قوله: الاستهلاك. ساقطة من ع/ 1.

(5) في خ "عالم".

(6) في ع/ 1 و ع/ 2 الوجود.

(7) الناسوت واللاهوت: الناسوت: جمع نواسيت والمراد به: النشأة الإنسانية، وقيل: أول من تكلم به المالكانية (فرقة مسيحية)، حيث ترى بأن للمسيح طبيعتين: واحدة لاهوتية والأخرى ناسوتية، وطبيعة المسيح الناسوتية اندمجت في اللاهوتية، فهو إله من طبيعة أبيه، وهو بشر من طبيعة أمه. ومن ثم قالوا: تدرع اللاهوت بالناسوت، ثم استعمله الشيخ السهروردي وتبعه من تلاه من الصوفية. ينظر: يا أهل الكتاب ... شلبي، ص: 94.
وقال ابن عجيبة: اللاهوت: عبارة عن أسرار المعاني الباطنية، والناسوت: عبارة عن حسن الأواني الظاهرة، فاللاهوت ما بطن والناسوت ما ظهر. ينظر: معراج التشوف، ص: 35.

(8) تفريد الضدين: جمع التعدد، حيث يصبح ما هو كثير واحدا، ويرمز به المؤلف إلى الاتحاد في الذات الأحمدية.

(9) في "ح الخطاب".

فإن فرغت من هذا الشهود الجَمْعِي[1]، وتلبست بحلل الفرق الثاني الظاهر[2]، فأقم[3] آي القرآنية والفرقانية لذكري، أي: لشهودي[4].

وهذا الذوق هو المعبر عنه بصلصلة الجرس[5] في لسانهم، وإن شئت عبرت عنه بقاب قوسين[6]، لأن هناك يحيط الكل بالكل؛ فيتلاشى[7] الكل ويبقى الكل[8]، وعنه أفصح القرآن: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي[9] كُنتَ أَنتَ﴾ [المائدة / 117]. وعنه أعرب الفرقان[10] في قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور / 35] . وفيه الغزتُ:[11][الرمل]

حدثَني صـبح دياجي الحنـدس   عن قـديم العهد مجلى العَسْعَسِ
عن نديم الصـوت عن خمر بدت   بكـؤوس رصعـت من لَعَـس
عن ليالي الأنس عن سـر غدا   بيننا يسعـى بكـهف المجلس
أن معنى الحسـن لم يودع لمن   لم يصـل صلصـلة من جرس

(1) الشهود الجمعي: رؤية الكثرة في الذات الأحدية.

(2) في خ وع/ 2 الظاهري.

(3) في ع/ 2 فأقم وجهك الصلاة وفي ع/ 3 فأقم الصلاة.

(4) في خ شهودي.

(5) صلصلة الجرس: انكشاف الصفة القادرية عن ساق بطريق التجلي على ضرب من العظمة، ولا سبيل إلى انكشاف المرتبة الإلهية إلا بعد سماع صلصلة الجرس.

(6) قاب قوسين: الوقوف عند مشارف الأبدية ونهاية رحلة المعراج بالروح، ولكل عارف معراجه. والعروج: ارتقاء الروح في المعارف الإلهية، مجتازة السماء بعد السماء، ولكل سماء مقام محدد، له رموزه وهويته وعلومه وأهله وعلماؤه، حتى إذا كان العارف من مستوى غوث أو قطب أو خليل قرب من ذات الله عز وجل.فالمقام عزيز ولا يحصله إلا من كان ذا حظ عظيم.ينظر النصوص في مصطلحات التصوف، عرابي ص: 263.

(7) في ح : فيلاشى.

(8) ويبقى الكل: ساقطة من ع/ 1 و خ.

(9) عبارة : " فلما توفيتني كنت أنت وعنه أعرب الفرقان" : ساقطة من ع/ 1.

(10) في ع/ 2 و خ القرآن.

(11) هذه القصيدة للمؤلف نفسه، ينظرها ضمن أطروحتنا لنيل الدكتوراه في اللغة العربية بعنوان: شعر محمد بن عبد الكبير الكتاني: جمع وتحقيق ودراسة، تحت إشراف الدكتور محمد خليل، (مرقونة بكلية اللغة العربية بمراكش / المغرب).

فافن عــن كل المرائي وادخـلـن باطـــن المعـــنى تجده مُلْبَس
كــم أنـاس ذهـبـوا لـيـس لـهـم من غــواني الحــسن ظل النفَس
وادخــل الحان وزمزمْ واشطحَنْ واجـــتني قهـــوة ثـغـر اللعـس
وهـــنيهات بدت، فاشكـر لـهـا إذ غــدت بالفيض أنس المـويِس
جـاد لي الدهر بساعات غـدت تـــجتني فضـــلا بدير الكـنَس
ومـــثاني الحسُـــن تشدو طربـا اجـتني الأكـــواب بين القـــس

[3. الرسول ﷺ كامل الروحية كامل البشرية]:

وبعد وصوله لهذا المشهد، إنما يرجع لإثبات الحكمة وعدم الوقوف مجردة، لأن المقصود من الخروج لهذا الدير، إنما هو لإثبات الحكمة وعدم إبطالها والالتفات إليها. ورجوعه من ذلك المشهد لهذا، يعبر عنه بالفرق الثاني[1]، وبالرجوع من اللاهوت للناسوت واللاهوت، وبالبقاء[2] وبالصحو وبالتمكين[3]/[4]، قيل: [الوافر]

فـؤادي عـنـد مـشـهـودي مـقـيـم يـشـــاهـده وعـنـدكـمُ لـســانـي

فشموس جدران سـره لا يعقبها أفول ولا انكساف، بل: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى/ 4]. القيام بمقتضيات[5] الحضرة، والعكوف على شؤون الخدمة لايشغله حق عن خلق ولا خلق عن حق، لأنه على لون مشهوده الإنساني العبدي المحمدي الحقاني الذي هو على لون مشهوده[6] المتلو على

(1) الفرق الثاني: ويطلق عليه أيضا اسم: جمع الجمع، وهي: مرحلة تعقب الجمع أو الفرق الأول، أي: الحالة "العادية" للصوفي قبل أن تنزل به حالة الجذب. وخلال مرحلة الفرق الثاني تتحقق حالة الاتحاد بصفة دائمة دون حاجة إلى غيبة أو سكر.

(2) البقاء: حال من أحوال الصوفي في اتحاده بربه، فالصوفي يفنى عن نفسه ليبقى في ربه.

(3) التمكين: مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وهي: صفة لأهل الحقائق.

(4) في ع/ 3 وبتمكين.

(5) في ع/ 1 لمقتضيات.

(6) في ع/ 3 و ح ومشهوده.

شاهده ومشهوده: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق / 1] ، و: ﴿نٓۚ﴾ [القلم / 1]، و: ﴿صٓۚ﴾ [ص / 1]، و: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم / 4][1].[البسيط].

يسقي ويشرب لا تلهيه شربته[2] عن النديم ولا يلهـو عـن الكأس

لارتسام قوة الوجود المطلق الإحاطية الوُسيعة المنزهة عن القيد والتقييد. وعليه؛ فقوله: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي»[3]، المراد به: جنس الوقت، وهو كذلك، فكأنه يقول: قد[4] تجمعت ظاهرا وباطنا في جميع أجناس الأوقات، لا يسعني فيه[5] غير ربي.

والقوة شاهدة لذلك، فإنه باطنا دائم العكوف في محراب جمع[6] الجمع[7]/ [8] العيني الأحدي الصرفي، لا انسدال ولا غيبوبة[9]، وجميع الأوقات أوقات خاصة، وقوته تحميه من سائر الطوارق. وما كان يتظاهر به من انصباب العرق عند نزول الوحي، وقوله: «زملوني زملوني»[10]، وربطه الحجر على بطنه من شدة الجوع، وقوله: «لا أدري حتى أسأل جبريل»[11]، وسؤاله الدعاء من الخلق، وقوله لسيدنا عمر: «أشركني في دعائك يا أخي»[12]...

---

(1) في ح: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، بدلا من: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

(2) في ع/ 1 "سكرته" وفي ع/ 3 "شبته".

(3) رواه الترمذي في شمائله، وابن راهوية في مسنده قريبا منه.

(4) في ع/ 3: "لقد".

(5) في ع/ 3 وح : "فيها".

(6) "جمع": محذوفة في خ.

(7) في ع/ 2 "الجمعي"

(8) جمع الجمع: حالة تحقق الاتحاد بصفة دائمة دون حاجة إلى غيبة أو سكر؛ ويطلق عليها أيضا الفرق الثاني، في حين أن "الجمع" حالة تحقق الاتحاد في حالة السكر والفناء فقط، لذلك يطلق عليه الفرق الأول أوالفرق.

(9) في ع/ 1 "غيوبة" كذا في ح.

(10) ينظر صحيح البخاري كتاب بدء الوحي رقم الحديث: 3.

(11) المستدرك على الصحيحين ،رقم الحديث . 203-204-2148.

(12) في ع/ 1 "ياخي".

وغير ذلك مما وقع منه مدة وجود[1] هيكله ظاهرا، إنما ذلك مما كان له من أنه كامل الروحية، كامل البشرية والملكية، فكان يعطي البشرية حقها من جميع ما تقتضيه.

هذا هو الحق عند الله، ولا ينازع فيه إلا من ضعف سقيه من فيه. وإخوته من الأنبياء والرسل كهو فيما يرجع للتظاهر.

(1) في خ "ظهور".

المقصد

[وقت ثبوت الفتح لذاته ﷺ وزوال الحجاب بينها وبين الروح]

[1. ظهور الحقيقة الأحمدية]:

اعلم أن دوائر هذا الوجود[1]، كانت مكنوزة في طي الأزل، ومكنونة في اللوح الأول[2]، وذلك لعدم مقتضيات الاسم الواحد[3]، وغلبة مقتضى الاسم الأحد[4]، وهو لا يقتضي شيئا زائدا عليه بحسب الظهور العيني لا الحكمي.

فلما أراد الأنموذُج[5] أن يُعرف، أبرز القبضة الأحمدية منه إليه فيه. فظهورها منه[6] هو المعبر عنه بالوحدانية، وهو ظهور إجمالي، وهو التنزل الثالث: إذ من العمى إلى الأحدية[7]/[8]، ومنها إلى الواحدية.

---

(1) في ع/ 3 "المجود".

(2) اللوح الأول: هو لوح القضاء السابق على المحو والإثبات، ويسمى أيضا: لوح العقل الأول.

(3) الاسم الواحد: هو اسم الذات، وفيه تظهر الأسماء والصفات مع مؤثراتها.

(4) الاسم الأحد: هو اسم الذات، ولا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات.

(5) الأنموذج: يقول الشيخ الكتاني في كتابه: "الرقائق الغزلية..." : "المراد بالأنموذج بحسب اللغة: هو صورة الشيء التي تنطبع فيه الأشياء، وكذلك سيدنا محمد ﷺ كل ما في الوجود من أشتات الكمالات المتفرقة، فقد انطبعت فيه ﷺ، ولا تكمل له أفضليته على جميع الجواهر الإنسانية إلا بعد أن ينطبع فيه جميع ما فيهم، أعني: كالأنبياء والرسل والملائكة، وزاد عليهم بما هو مذكور في باطن القرآن المجيد بما يصرح به ومالا".
والمراد: أن صورته ﷺ على صورة أنموذج الكمالات الإلهية التي هي مقتضيات الأسماء والصفات.ينظر: الرقائق الغزلية (مخ، ضمن مج، خ،خ) ص: 3.

(6) في ع/ 3 فظهورها ثمة. كذا في ح.

(7) في ع/ 2 الأحمدية. كذا في ع/ 3.

(8) الأحدية: أول ظهور ذاتي، وجميع مراتب الأسماء والصفات فيها بحكم بطون الذات؛ لأنها حضرة سحق ومحق.

فلما أراد التفصيل التفصيلي، بسط شعاع القبضة الأحدية الحقية، فنقش تلك الأشعة في المرائي المعدومة، فأبرزت تفصيلا[1]. ويعبر عن هذه الحضرة بالألوهية[2].

وأول ما ظهر من الثالثة هو: هيولى[3] الإجمال والتفصيل، والهباء[4] والهيولى، والأرواح المجردة والمهيمة[5]/[6]، وسائر البسائط والمركبات على التدريج بحسب الظهور.

وهناك انشقت أسرار القبضة، وانفلقت في غيرها أنوار الكثرة منها، فلولا الوَحدة التي هي عبارة عن القبضة، ما ظهر مكنون بطون الكنزية، ولبقيت شعشعانية العما[7]، مطلسمة مكنونة ظاهرة بذاتها لذاتها، فلما أرادت إظهار صبح حسنها من دوائب دياجي ليلها، أظهرت مقتضى الواحدية، فكانت ظهورا إجماليا تفصيليا بالنسبة لما قبلها في الجملة. وهو محل: «فأحببت»[8] فافهم.

---

(1) في ع/ 1 تفصيله، وفي ع/ 2: فأبرزها تفصيلا.

(2) الألوهية: جمع حقائق الوجود وحفظها في مراتبها.

(3) الهيولى: اسم للشيء بنسبته إلى ما يظهر فيه من الصور، فكل باطن يظهر في صورته يسمونه هيولي. ينظر: جمهرة الأولياء، محمود المنوفي، ص: 312. وهو ما ليس بجسم، ولا يقوم بذاته، كالألوان، والصوت.

(4) الهباء: هو الذي "فتح الله فيه أجساد العالم، مع أنه لا عين له في الوجود إلا بالصورة التي فتحت فيه، ويسمى بالعنقاء من حيث إنه يُسمع ولا وجود له في عينه، ويسمى أيضا الهيولي. ولما كان الهباء نظرا إلى ترتيب مراتب الوجود في المرتبة الرابعة بعد العقل الأول والنفس الكلية والطبيعة الكلية، خصة بكونه جوهرا فتحت فيه صورة الأجسام". التعريفات، الجرجاني ص 312.

(5) في ع/ 2 والمهيمنة.

(6) المهيمة: يقصد بها الملائكة المهيمة في شهود جمال الحق، وهم المهيمون، وهم الذين لم يعلموا أن الله خلق آدم لشدة اشتغالهم بمشاهدة الحق. اصطلاحات الصوفية، القاشاني، ص: 90

(7) العما: عبارة عن صفة الذات العلية في الأزل قبل التجلي ... خال من الرسوم والأشكال، متصف بأوصاف الكمال من القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام. معراج التشوف ... ابن عجيبة. ص 31.

(8) هذه إشارة إلى الحديث النبوي الشريف، والذي تقدم ذكره: " كنت كنزا لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقا، فعرفتهم بي، فعرفوني".

وخامس الحضرات الرحمانية[1].

فكان بهذا المعنى متحدا[2] لظهور الكل، وإخراج[3] الكل من الكل بواسطة الكل الأول الثاني، الراقم مباني التقييد في لوح المعاني، والمظهر[4] رقائق السبع المثاني في بساط بلوج[5] دوائر الحسان الغواني، وهي[6] المعبر عنها بالرحمانية.

ومن تلك المهامه وهو مقيم في مقابلة الأحدية[7] الجمعية، منبسط شعاعها عليها ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور / 35].

فإن قلت: إنها منطوية[8] في حُلل ذاتها، ومتصلة[9] بهلال حاناتها.

قلت: ليس لها شكل؛ أي: جسم، لانطواء كذا في كذا حُكما[10].

---

(1) الحضرة أو الرتبة حسب تعبير المؤلف نفسه في مواضيع أخرى من مؤلفاته؛ تنقسم إلى خمسة مراتب، وهي:
المرتبة الأولى: مرتبة العما.
المرتبة الثانية: مرتبة أحدية أصل الجمع، وفيها كانت الأرواح الجزئية منطوية.
المرتبة الثالثة: مرتبة الألوهية: وهي أول مراتب الظهور.
المرتبة الرابعة: مرتبة الرحمانية: وفيها وقع الانتشار الكلي بنعت "ورحمته وسعت كل شيء". ينظر "كشف اللثام في سر الصيام"، الكتاني. ص: 6.
ولا شك أن الأرواح في هذه المراتب الثلاثة (الواحدية والألوهية والرحمانية) إنما كانت متصفة بالاتصال الكلي الذاتي حكما وعينا. المصدر نفسه ص 5.
فإن قلت: هل هذا هو عدد الحضرات لدى الكتاني؟. فالجواب ما أجاب به الكتاني بقوله: "ولا غرو أن للحق من الحضرات ما لا تدخل تحت حصر، أعني باعتبار البطون وبطون البطون وهلم جرا، والظهور وظهور الظهور وهلم جرا". المصدر نفسه ص 9.
وقد وقف الكتاني في كتابه "لسان الحجة البرهانية" على أربعين رتبة من مراتب الموجودات ومناهل أوليات الأوليات. ينظر "لسان الحجة البرهانية" ص: 4-5.
(2) في ع/ 2 "مجدا".
(3) في ع/ 2 "فأخرج".
(4) في ع/ 2 "والظهور".
(5) في ع/ 2 "بلوغ".
(6) في ع/ 2 "وهو".
(7) في ع/ 3 "الادية".
(8) في خ "مطوية" كذا في ع/ 3.
(9) في ع/ 3 و"متصل".
(10) "حكما" ساقطة من ح.

وإن قلت: مع انطوائها، هي[1] مجردة في نفسها ظاهرة منها إليها[2] انطواء وعدم الانطواء[3].

قلت: إنها على لون محرابها، وهي ذات حسية لا تُدْرَك، جامعة[4] الأضداد مع نفي وجود الأعداد. قلت: (الطويل)

تجمعت الأضداد في فرد كثرتي[5]

[2. برزخية الحقيقة الأحمدية]:

فصارت هي الواسطة بين الممِد حقيقة بالأصالة، والاستبداد والممَد، لا يقدر أحد كائنا[6] من كان على مكافحة تلك الحضرات، ولا الأخذ عنها مع مقاسات تلك الصدمات[7] مباشرة إلا هو[8]؛ فمنه تخرج الإمدادات، وعلى يديه تنبعث أشعة التقييدات والإطلاقات؛ برزخ البحرين[9]: الإمكان والوجوب، التحقق والتخلق، الحِقية والخلقية، ومجمع الذاتين، وواحد أحدية ذات البين والعين.

[3. تجلي الحقيقة الأحمدية في الموجودات]:

ومن ثم وهي كذلك، تتطور وتتقلب[10] في كل وقت وحين، على لون

(1) في ع/ 2 "فهي".
(2) "منها إليها" ساقط من ع/ 2.
(3) في ع/ 2 "وعدم انطواء".
(4) في ع/ 3 "جماعة".
(5) هذا الشطر من شعر للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ضمن قصيدته التائية: وهو بتمامه:

فليس ورا مرماي مرمى لذي هوى تجمعت الأضداد في فرد كثرتي.

ينظره محققا ضمن أطروحتنا السالفة الذكر.

(6) في ع/ 2 كان من كان.
(7) الصدمات: ساقطة من ع/ 2.
(8) "هو" مكررة في ع/ 2.
(9) برزخ البحرين: هو باطن الرسول ﷺ، لأنه في نظر المؤلف نفسه في كتابه "الطلاسم" لا يصل شيء من الحضرة الإلهية إلا منه وعلى يديه، كائنا من كان ذلك الواصل إليه المدد سواء كان نبيا أو رسولا أو ملكا، فالكل تحت حيطته، وما خرج عن الدائرة أحد". ينظر: "الطلاسم"، المصدر السابق، ص: 5.
(10) في ع/ 3 وتتقلب.

الماء، في نار الطور وفي السؤال وفي الجواب[1]، وفي نار الخليل، وفي بحر ظلمات بحر يونس، وفي كل شيء شيء هي عنوان صورة[2] مادة حقيقته ، وحكما[3] إلى أن آن وقت البروز لعالم الظهور وإدراج الحقيقة في الحقيقة ، راج ريح القدرة بين والديه حتى تزوجا .

[4. اصطحاب الذاتين: الأحمدية والمحمدية]:

والحال أنه: لما كان ملتحفا بوحدات الذات، مستويا[4] بقدم الأحدية[5] على[6] عرش الصفات، كان الحكم لأحمديته المقابلة لأحدية الأنموذج، فكما أن الأنموذج له اسم[7] لا يقتضي الظهور أصلا، كذلك الناموس له اسم لا يقتضي الظهور. وكما أن له اسما يقتضي الظهور، كذلك له اسم يقتضيه.

لكن هذا الاسم كان في طي حُلل الأحمدية منطويا ومنغمرا[8]؛ بحيث إنما كان الحكم لأحمديته، فكانت هي الظهور، والمحمدية بحكم البطون[9].

ولك أيها الأديب أن تقول: إنهما كانا[10] ظاهرين باطنين . ويرشدك لهذا قوله: «فكوني[11] محمدا»[12]، وإنما لم يقل: «كوني أحمدا»؛ لأن المراد[13]: الظهور؛ وهو لا يقتضيه -كما تقدم آنفا.

(1) ساقطة من ع/ 2.
(2) ساقطة من ع/ 1 وح وفي ع/ 2 سورة.
(3) ساقطة من ع/ 2.
(4) الياء ساقطة من ع/ 1 و ع/ 2 وع/ 3 وح.
(5) في ع/ 2 أحدية.
(6) "على" ساقطة من ع/ 3.
(7) "اسم" ساقط من ع/ 3.
(8) "ومنغمرا" الواو ساقطة من ع/ 2.
(9) "والمحمدية بحكم البطون" ساقطة من ع/ 2.
(10) في ع/ 3 كان معا ظاهرين.
(11) "فكوني" الفاء ساقطة من ع/ 2.
(12) هذه إشارة إلى ما اطرد من كلام الصوفية؛ وهو: "أن أول شيء فعله الله سبحانه وتعالى، أنه قبض قبضة من نوره، فقال لها: كوني محمدا، فكان ﷺ أول التعيينات أو الموجودات". ينظر: الكشف عن الحقيقة الصوفية...محمود عبد الرؤوف، ص: 285.
(13) في ع/ 1 لا المراد.

أو: لما[1] كان محمد عين أحمد؛ عبر بأي اسم شاء[2] ، إذ الكل يطلق عليه أحمد ومحمد...فتأمل سر رمز هذا الخطاب الإلهي جيدا .

وهاهنا سر بديع فيه أيضا، وهو أنه: لما قبض قبضة من نوره - وهي: الحقيقة الأحمدية - قال لها: «كوني»[3]؛ أي: أيتها الحقيقة الملتحفة بإزار العظموت والرغبوت: «كوني»؛ أي: التحفي[4] بحقيقة الحقائق التي هي: المحمدية[5].

ولاشك أنها لا تكنها إلا بالاصطحاب المعبر عنه في هذا البساط. فالكينونة المعبر عنها هاهنا - هي: المرادة بالاصطحاب لمن دخل حانات الخطابات الإلهية.

ولاشك أن أمر الحق لا بد أن ينفذ، وإذا نَفَذ فلاشك أنه يقع، وإذا وقع فالاصطحاب وقع.

[5 . نزول القرآن التفصيلي على الحقيقة الأحمدية]:

وقد تقرر -عندنا- أن الأحمدية لما كانت في دياج الصحاري، ألقي عليها جميع الشؤون الإلهية، ومن جملة ذلك: "القرآن التفصيلي".

يقول: جل ذكره: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل / 6].

نقول: المراد بالقرآن التفصيلي: اللفظ المنزل عليه، فكان ثابتا في حلل أحمديته.

وقال جل ذكره: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف / 157]. المراد به هو: القرآن التفصيلي، المتلو عليه في محراب التقاء الشمسين،

---

(1) في ع/ 2 ولما بسقوط الهمزة.
(2) في ع/ 2 عبر بأي شيء. وفي ع/ 3 عبر بأي شاء.
(3) إشارة إلى الحديث السالف الذكر : "كوني محمدا ".
(4) في ع/ 3 "التحف" ، كذا في: ح.
(5) في ح "محمد بتك".

والمراد بالنزول: أنه لازال مصاحبا له بعد البروز لعالم الشهادة.

[6 . زوال الحجاب بين ذاته ﷺ وروحه]:

ومن حين خرج، لم يبق بين روحانيته وجسمانيته حرج[1]- مع ثبوت النبوءة له، وكمون الرسالة في حقيقته - إلى أن يأتي وقت الظهور بها، وإلا لم يبلغ - مع كونه عالما بها وبكل ما تحتوي عليه، وما معها وما فيها وما قبلها وما بعدها- فأدرجت الروح في الهيكل الشريف، فحصل الازدواج حقيقة حكيما[2]، فصار ما في الذات في الروح وما في الروح في الذات، لا تدريجا، بل قدما قدما، جميع[3] الحلل التي تُفرغ[4] على الأحمدية تفرغ على المحمدية[5] بدون فارق ولا زيادة، وإلا لزم[6] عليه كون الذات غافلة جاهلة عما لم تتوجه إليه.

[7. الرد على من ينفي الاصطحاب بين ذاته ﷺ وروحه]:

قال بعض الفضلاء[7]: «الروح عالمة بالأشياء، مطلعة عليها، سواء توجهت إليها أم لا، بخلاف الذات؛ فإنها لا تدرك إلا ما توجهت إليه»، ورتب عليه سر سهوه ﷺ.

ونحن نقول: لا؛ والله ما هو كذلك، بل جميع ما تطلع عليه الذات،

(1) قال الشيخ عبد الكبير الكتاني (والد المؤلف) في هذا الصدد: "وقد تقرر عند أهل الله تعالى رضي الله تعالى عنهم أن له صلى الله تعالى عليه وسلم ظهورين:
-الظهور الأول: في عالم الغيب بمادة جسمانيته زيادة على روحانيته، لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو أبو الأرواح كذلك هو أبو الأجسام...
-الظهور الثاني: في عالم الأجساد بهيكله المتعارف الذي تولد من أبويه الكريمين"... "ثبوت برزخية الأحمدية" ...(مخ) ص: 14.

(2) في ع/ 2 حكما. (3) في ع/ 3 جمع.

(4) في خ يفرغ.

(5) تفرغ على المحمدية: ساقطة من ع/ 3. (6) في ع/ 3: والازم.

(7) أشار أحد قراء الكتاب (الديوانة) المخطوط بالخزانة الحسنية إلى أن المقصود ببعض الفضلاء هو: مولانا عبد العزيز الدباغ.

تطلع عليه الروح بدون فرق، والترقيات بينهما[1] واحدة، تختلف باختلاف المقامات، فالذات تملي على الروح والروح تملي على الذات؛ للازدواج[2] الحاصل لهما من أول قدم، وذلك لأن نهاية جميع الرسل ذاتا وروحا هي[3] بداية روحانيته وجسمانيته ظهورا بلسان الفرق[4]. ووساطة جميع الرسل كان حصل لهم فيها الاصطحاب قطعا، فأحرى نهايتهم التي هي بداية له!.

[8. رد آخر على من يزعم ان نهاية ارواح الأنبياء هي ما بلغ إليه جسمه الشريف ﷺ]:

ولا نقول كما قال بعض النظار[5]: «إن نهاية أرواح الأنبياء هي: ما بلغ إليه جسمه الشريف[6]، والروح من وراء ذلك». لا؛ لا، بل نهاية أرواحهم وذواتهم هي بداية له، وأول قدم، وهي الاصطحاب التام والسلام.

[9- مسالك توضح اصطحاب روحانيته ﷺ بجسمانيته]:

ويستأنس لما ذكر بمسالك، وليس سوقها كلها مرادا به التنويه، بل ليرتب عليها غيرها:

[المسلك] الأول
[بيان الاصطحاب من القرآن الكريم]

[أ - الاصطحاب مع نساء الأجسام]:

قال جلت عظمته: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة / 187].

---

(1) بينهما: ساقطة من خ.
(2) في ع/ 3: للازدواج والاصطحاب بزيادة "الاصطحاب".
(3) هي" ساقطة من ع/ 2.
(4) في خ: هي بداية روحانيته بلسان الفرق وجسمانيته ظهورا.
(5) أشار بعض قراء (ح) أن المقصود ببعض النظار هو: عبد الكريم الجيلي.
(6) في ع/ 3: جسمه الشريف هو: الجلي، بإضافة "هو الجلي".

هذا خطاب للأرواح الكلية[1]، وهي: الروح الأعظم[2]، وجمعها إما لتعددها في الأرواح الجزئية وإما للتعظيم. والصيام: كناية عن الخروج من ليل بطنان الأزل: الرفث إلى نساكم.

انظر كيف جوز الاصطحاب والمزاوجة[3] مع نساء الأجسام، وذلك بتزويج الخامر بعدما أزيح برقع[4] الخمار، بل: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾. وما ذلك إلا للاصطحاب الحال لهما من أول قدم.

[ب - الاصطحاب بين اسميه ﷺ: أحمد ومحمد]:

وقال جل ذكره: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف / 6]. آثر التعبير بالأحمدية لما قلته، وذلك لأنه إذا وقع الاصطحاب الحكمي كأن تسمي كلا باسم الآخر على حد قول مجنون:

سقطت الوصلة بيني وبينها أنا هي وهي أنا

[ج -الاصطحاب بين الحقيقة الأحمدية وذات الرسول ﷺ البشرية]:

وقال جل من قائل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾

---

(1) الروح الكلية: يرى المؤلف نفسه في كتابه: "تأليف في الروح": أن الهيكل المحمدي له روحان: روح كلية وروح جزئية.
أما الروح الكلية: فلم يقدر الهيكل الجامع على حملها، لأنها من جانب الحق، فهي متصفة بنعت الإطلاق ...وهذا منزع دقيق وهو كشف صراح. تأليف في الروح(مخ، ضمن مج، خ، خ) ص: 4.
والروح الكلية صدرت من نفس الجوهر العمائي حيث لا يوم.
وقال المؤلف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ ليس المراد بالروح عند الله هاهنا إلا الأرواح الكلية الهيولى القابلة لارتسام جميع الأشكال والصور السارية في جزئيات النواسيت. شرح توضأ بماء الغيب، الكتاني ص: 2.

(2) الروح الأعظم: هو العقل الأول والحقيقة المحمدية والنفس الواحدة وغيرها من الأسماء التي تطلق على باطن الرسول ﷺ.

(3) في خ: والزواجة

(4) في ع/ 2: بعدما ألزم برفع الخمار.

[الإنسان / 1] ؛ أي: قد أتى[1] تحقيقا على الإنسان الكامل، المقرو بجميع[2] الكمالات، المتحقق بمدلول سائر المراتب والهيولات؛ حين من الدهر، أي: الزمان، لم يكن هو الإنسان الكامل، أي: ما تركبت منه الإنسانية الآدمية، وهي: العناصر الأربع[3]، شيئا أي: موجودا لا حكما ولا عينا، وذلك لأن المعدوم ليس بشيء في الاصطلاح[4]، والحق نفى عنه الشيئية؛ وهي من خواص الموجود. ولم يكفه هذا؛ فقال: ﴿مَّذْكُورًا﴾؛ أي: موجودا ثابتا متحققا.

[المسلك] الثاني
[أدلة معرفة الحقيقة الأحمدية: النبوة والرسالة]

[الدليل الأول: سقي الأنبياء والرسل من الحقيقة الأحمدية]:

إنا[5] نقول: سبب غبطة الأنبياء والرسل الكون من هذه الأمة، هو أنهم: فاتهم السقي من هيكله ومحتده[6] في آن ووقت ومشهد واحد، فتمنوا الكون من هذه الأمة ليقع لهم ذلك ببشريتهم وروحانيتهم في الحياة[7] المتعارفة، لكنهم هم[8] أول من[9] سقوا منها لما بدت لهذا العالم وحدها[10] وهي مدة الأربعين[11].

وكيف يقال: إنهم سقوا من هيكل وهو لا يدري[12] ماهية الإيمان ولا حقيقة القرآن، ولا كنه الرسالة، وإنما كان له ما كان لأفراد العارفين؟!، هذا

---

(1) أتى محذوفة في: ع/ 1. (2) بجميع ساقطة من: ح.
(3) وهذه العناصر الأربع هي: التراب الماء الهواء والنار.
(4) في ع/ 1: الاصطحاب كذا في: ح. (5) في ع/ 1 وع/ 2: أن.
(6) في ع/ 2 ومحتوه. وفي ح ومتحده.
(7) في ع/ 2: في الحالة. (8) "هم": ساقطة من: ع/ 2.
(9) في ع/ 1، ع/ 2.ع/ 3. ح ما. (10) في ع/ 3: وجدها.
(11) قال الشيخ عبد الكبير الكتاني في هذا الصدد: "فروحانيته ﷺ وروحانية كل نبي ورسول موجودة، فكانت الأمداد تأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة بما يظهرون به من الشرائع والعلوم في زمان وجودهم رسلا وتشريعهم الشرائع". "ثبوت برزخية الأحمدية"، ص: 12.
(12) في ح وهيولا.

لا يقال أصلا.

[الدليل الثاني: معرفة الحقيقة الأحمدية الكتاب والإيمان]:

فإن قلت: ما معنى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى / 53][1]، وقوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف / 12].

قلت: لك أن تقول: إن[2] هذا النفي منصب على الكينونة[3] الماضوية، وهي عبارة عن حال[4] عدمه، إذ له بداية. وهذا يرشدك له قوله: "كنتَ" الدالة على الماضي[5].

فإن قلت: إن هذا لا يُتوهم حتى يُنفى، لأن من كان معدوما لا يتعلق بنفس ماهيته علم.

قلت: الآية خرجت في معرض الامتنان، فكأن الحق يقول: إنك في حال عدمك لا تدري الكتاب ولا الإيمان، واليوم أنت تدري الكتاب والإيمان، بل أنت الكتاب والإيمان، بل أنت مبنى الفواتح ومعناها، ومكنون باطن الأم ومغناها، وأنت الجامع لما بين الباء والسين ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس / 12]، لكن: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء / 198]. كما كان قبلها بشاهد: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل / 6].

وهو يحتمل أنه: كان يوم لا يوم، ويحتمل أنه بعد البروز لعالم الشهادة، وذلك لأن[6] التجريد الحاصل ثمة حاصل هنا؛ للاصطحاب الثابت بما تقدم.

وعليه؛ فالقرآن ما فُرِّط فيه من شيء، ومن ذلك: الإيمان[7]، فهو عارف

---

(1) انظر شرحا مفصلا لهذه الآية في كتاب المؤلف: "الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان في سر آية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾" مطبوع طبعة حجرية بفاس.

(2) "إن" ساقطة في ع/ 2.

(3) في: ع/ 2: الكينونية.

(4) في خ حالة " كذا في: ع/ 2.

(5) في خ المضي، كذافي ع/ 3 و ح.

(6) في ع/ 1 لا.

(7) في ع/ 2 الأيمن.

بها[1] ومتحقق بها حق يقين لا علم يقين[2] ولا عينه[3]، ويشهد له: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه / 114]؛ فإنه كان مقررا[4] وثابتا.

ولا يقال: إن ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ [الشورى/ 52]. يعني[5]: قبل نزول الوحي. لأنا نقول: الوحي من لوح أحمديته يقرأ وعلى محمديته يتلى، وإنما أريد تشريف تلك الوسائط بمشاهدة ورؤية محيا ذلك الجمال، بل النبوة والرسالة كانتا حاصلتين له في تلك المدة، أعني: قبل نزول الملك[6].ولك أن تقول: المراد بالكتاب: المجمل. أي: الوجود المطلق الحقي.والمراد: ما كنت في الماضي - أي:[7] والآتي الذي هو[8] المستقبل - وذلك لأن[9] الإنسان إذا وصل لمقام الفتح يرى الماضي فيه هو الآتي، إذ له الأولية والآخرية. ما كنت[10] الوجود الحقي العيني[11] الذاتي، وما كنت تدري ما

(1) "بها" ساقطة من: ع/ 2.
(2) لا علم يقين ساقطة من ع/ 3وفي ع / 2 يقين ساقطة .
(3) في ع/ 1 ولا عينا كذافي ح.
(4) في ع/ 3 و خ متقررا.
(5) "يعني" ساقطة من ع/ 1.
(6) قال الشيخ عبد الكبير الكتاني مشيرا إلى ما قاله الابن (المؤلف): "كل نبي تقدم على زمان ظهور الرسول ﷺ فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة ... فنبوته ذاتية دائمة، ونبوة المظاهر عرضية منصرفة إلا نبوة سيدنا محمد ﷺ، فإنها غير منصرفة ، إذ حقيقته حقيقة الروح الأعظم وصورته التي أظهر فيها الحقيقة بجميع أسمائها وصفاتها، وسائر الأنبياء مظاهر ببعض الأسماء والصفات تجلت في كل مظهر بصفة من صفاتها واسم من أسمائها إلى أن تجلت في المظهر المحمدي لذاتها وجميع صفاتها ، وختم به النبوة، وكان الرسول ﷺ سابقا على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة متأخرا عنهم من حيث الصورة". ثبوت برزخيته الأحمدية ، ص: 16 .
(7) أي: ساقطة من ع/ 2.
(8) والآتي الذي هو: ساقط من خ.
(9) في ع/ 1 "إن".
(10) في ح "ما كنه" كذا في ع/ 3.
(11) في خ "الغيبي" كذا في ع/ 2 و ح.

الإيمان به؛ أي:[1] المعرفة، أعني على سبيل التفصيل في سائر مراتب الكُنهية؛ لقوله هو: «كلكم في ذات الله حمقى»[2]. ولسماعه ليلة الإسراء: "الله أكبر".

وإذا كان الإنسان كذلك، فكيف يدري ما ذكر على سبيل التفصيل التفصيلي؟!. على أنا نقول على لسان هذا المتكلم. وأما عندنا؛ فهذا أمر ضروري لا نتوقف فيه. كان عنده في تلك المدة ما لم يشم له أكابر أولي العزم رائحة. فكيف يقال هذا؟!.

وأيضا فإن القرآن كان مقررا وثابتا عنده في مدة الأربعين.

[الدليل الثالث: الشاهد على ثبوت النبوة والرسالة للحقيقة الأحمدية]:

[أ - الشاهد على النبوة]:

أما النبوة؛ فلقوله: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»[3] حقيقة، إذا النبوءة والرسالة عبارة عن انبساط أشعة الفيض الإلهي على العبد[4] المراد للتربية[5]. ولاشك أن هذا أمر من[6] يوم لا يوم.

وإذا كان كذلك؛ فهو [7] القابل للفيض الإلهي، وبعد ذلك ينبسط[8] على من شاء الله. بخ بخ[9] ليس غيره وليس في العلم.

[ب - الشاهد على الرسالة]:

وأما الرسالة: فلقول التنزيل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن

---

(1) "أي" ساقطة من ع/ 2.

(2) لم أجد له أصلا.

(3) ينظر: - مسند الإمام أحمد بن حنبل 4/ 59 -66- 5/ 379.
- سنن الترمذي: 9/ 237 رقم الحديث 3613 وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(4) "العبد" ساقطة من ع/ 2.

(5) في ع/ 2 للزينة.

(6) في ع/ 2 "بين".

(7) في ع/ 2 فمن.

(8) في ع/ 3 يبسط.

(9) بخ: اسم فعل معناه: عظم وفخم، يكون للرضى والإعجاب أو الفخر والمدح ويكرر للمبالغة.

كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ[1] مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران / 81][2].

لاشك أن الإتيان حصل في تلك الأعصر الماضية لكل على حدته؛ بدليل: ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ﴾.

ولاشك أنه وقع ما ذكر فسماه رسولا[3] في تلك القرون الأولى[4].

تأمل، فلنفسه ولمن تقدم من الأنبياء والرسل إلى آن وقت الظهور.

[المقصود بنبوة الحقيقة الأحمدية]:

فإن قلت: ما معنى وصفه بالنبوة في تلك المهامِه مع كونه لم يكن له هيكل تتعلق به، وإنما هناك الروح ؟.

قلت: اعلم أن حقيقته الأحمدية المعبر عنها بالبرزخية، وبالنسخة الحَقية، وبحقيقة الحقائق[5]، وبالأول الثاني، وبالعقل الأول، وبالروح الأعظم، وبباطن النقطة، وبالوجود المطلق، وبعرش التجلي[6]...لها شكل وهيكل

---

(1) في ع/ 2 تتمة الآية الكريمة.

(2) قال الشيخ عبد الكبير الكتاني مفسرا الآية الكريمة : "إن الأنبياء عليهم السلام آمنوا به حين أشرف نوره عليهم في عالم الأرواح، فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ﴾؛ معناه -والله أعلم- لتظهرن الإيمان بها ولتجلدنه في عالم الأجساد منه بلفظه، فالمتوقف على اجتماع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في عالم الأشباح إنما هو النصرة والاتباع بالفعل. وأما الرسالة فلا تتوقف على ذلك، إذ القصد بيان أنه عظيمهم وسيدهم وأعلاهم". ثبوت برزخيته الأحمدية. ص: 15.

(3) رسولا: ساقطة من ع/ 2.

(4) في ع/ 1 الأول

(5) في ع/ 2 وبحقيقة الحقائق حقيقة.

(6) هذه بعض صفات النور الأحمدي عند الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، ومن صفاته أيضا عند الشيخ ما يأتي: آدم الأكبر، النسخة الذاتية، النقطة المجردة، منتهى الحيرة، إنسان عين الوجود، منتهى سدرة الشهود، روح القدس، الوحدة المطلقة، كهف الذات، عين الوجود، كنز الغيب، سر الباء، لوح البطون، أم الكتاب، سر الباء، الهباء، القلم الأعلى...وغيرها من المفردات التي تفوق السبعين مصطلحا، تتبعتها في كتابات وأشعار الشيخ ".

وصورة وتمثال في تلك المغارات، وفي طي هاتيك المفازات، وذلك لأن لون الماء لون إنائه، فكما أن الذات الأقدس ذات محسوسة لا تدرك منفردة بالأضداد، كذلك ظاهرها الذي هو لون هُوِّيَّتها وماهيتها، ويحتمل ذلك قوله عليه السلام[1]: «خلق الله آدم على صورة الرحمن»[2].

المراد "بآدم الأكبر": الأول الثاني، العالم الكبير.

والمراد "بصورة الرحمن": ما هو عليه من التفريد والتجريد، والجمع الفردي والضدي الجمعي الفرقي.

وخصوصية ذكر الرحمن على غيره: ما فيه من معنى[3] الوسع والإطلاق، والإحاطة المفادة[4] من الحاء ومن تجويفها، ومن خروجها عن شكل وضع الحروف...تأمل!، فكأنه يقول: خلق الله آدم الأكبر، المظهر الأجلى، على ما هو عليه من الحيطة والشمول وتفريد الضدين؛ كالظهور في البطون وفي الظهور.

وعليه؛ فيقال: إفاضة[5] الحضرة الأحدية التجريدية خلعَها[6] على الحضرة الواحدية الأحدية، من ذلك: النبوة والرسالة في هاتيك المراسيم والمناسم والأحذاق[7]، المتشكلة بمقتضى[8] غين بين الطواسم ومضاداة أشعة النور بنور الطلاسم: [الطويل].

---

(1) عليه السلام ساقطة من ع/ 2 و خ.
(2) رواه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة. ينظر فتح الباري، ابن حجر 7/ 175.
كما ينظر شرح المؤلف لهذا الحديث في مؤلفاته الآتية: "الطلاسم"، "رياض الأزهار"، و"الرقائق الغزلية".
(3) "معنى" ساقط من ع/ 2.
(4) في ع/ 3 المادة.
(5) في ع/ 2 أفاضت.
(6) في ع/ 2 خلقها.
(7) في ح والأحذاق " على الحضرة الواحدية الأحدية، أي: بإضافة ما بين مزدوجتين.
(8) في ع/ 1 وح لمقتضى.

وثم أمور ليس يمكن كشفها   لقد قلدتني عقدهن الشرائع

وإذا كان هذا ثمة، فما يقال - هنا - الذي هو المقصود من التعرف من أصله، بشاهد: «فأحببت أن أعرف»[1] ، وذلك لأن المقصود هو: التعريف للغير، فكانت الحقيقة أولا مطلسمة بسرادقات حجب الكنزية، وملثمة بنقاب[2] بطون سر الهوية، فلما أرادت التعرف للغير أبرزت ما ذكر لما ذكر[3]- كما[4] تقدم ويأتي.

فهذا هو المقصود، وعليه مبنى الوجود، فمن أول قدم تتحقق برقائق: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر/ 29]. فمن يوم برزت النقطة الشَنوية، وليس ترقيها بمقتضى الاصطحاب إلا أحدية الجمع الكل المطلق الأصلي له، لأنه لا انفكاك عنه، فطورا ترفل في مظهر ثياب عظمتها، وآونة تلتحف برداء كبرياء لطفها ونقطة شكلتها، وحينا تروج[5] في ميادين سرادقات الأرواح، ووقتا تتلذذ بنعيم معين ماء مُدام الأقداح، وزمنا تطير بأجنحتي[6] القدرة في رياض مجال الجبروت، مخيطة[7] العين بخيط: ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة/ 187]. في غيبوبة[8] الرغبوت والرهبوت، وصباحا قائمة الشكل في محراب جمع الجمع الجمعي، سامعة بجميع جزئيات جواهرها: «ادن مني واقتربي[9] واسمعي»: [الطويل]

سمعت الندا من قاب قوسين: مرحبا   وأهــلا بمعشــوق لسر هويتي[10]

فأنت مبنى الفواتح ومعناها، ومكنون باطن الأم ومغناها، وفيك انتهى ما

---

(1) تقدم ذكره.
(2) في ع/ 2 بصفات.
(3) "لما ذكر": ساقط من ع/ 2.
(4) في ح "لما".
(5) في ع/ 2 : "تدوم".
(6) في ع/ 3 "وزمنا تصير بأجنحة".
(7) في ع/ 3 " محيطة".
(8) في ع/ 1 "غبوبة" كذا في ع/ 2 و ح.
(9) في ع/ 2 "واقترب".
(10) ينظر البيت ضمن أطروحتنا: " شعر محمد بن عبد الكبير الكتاني: جمع وتحقيق ودراسة".

بين الباء والسين. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس/ 12] [1].

وهذا شيء حاصل له من أول قَدَم على ما جرى في[2] القِدَم.

فإذا سمعت ما تلي عليك وكان لك قلب؛ تبين لك ما قاله بعض[3] الأفراد من أن طلعة الحق إنما كان له مدة الأربعين، كما يحصل لأفراد العارفين.

وأقول: العقل الأول كان ينشد من قِبَل الحضرة الإلهية[4] في كل وقت وحين: [الطويل]

تدَلل بأُنس البسط في حضرة المنى على عزة تبدو بكهف هويتي

ودونك حُسني فاشهدنْه مجردا على نعت فرق الجمع من قاف قوتي[5]

والتعبير في البيت الثاني: " فاشهدنه" دون رؤية؛ مبني على الاصطحاب، وذلك لأن عنده الرؤيا والمشاهدة شيء واحد، للاصطحاب الحاصل بين الخمرة[6] والآنية.

ويمثل ما أجيب عن الآية المتقدمة[7] يجاب عن قوله جلت عظمته: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف/ 3].

وأما في هذا العالم؛ فليس فيه شيء من الجهل والغفلة.

لا يقال: إن النافي يسلب الجهل كالغفلة عنه، لأنا نقول: أتى في كلامه

---

(1) من قول الكتاني: "ومن يوم برزت النقطة النونية"، إلى قوله: "ما بين الباء والسين"، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. ذكره كاملا في كتابه "طلاسم" مخ خ.ع، ص: 150.

(2) في ع/ 2: "به".

(3) بعض: مكررة في ع/ 3.

(4) الإلهية: ساقطة من خ و ع/ 2 و ح.

(5) البيتان ضمن التائية المشهورة للمؤلف نفسه. ينظرها محققة ضمن أطروحتنا: شعر محمد ابن عبد الكبير الكتاني: جمع وتحقيق ودراسته".

(6) في ح: "الخمر".

(7) يقصد بالآية المتقدمة قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾.

بما ينبئ بلزوم ما ذكر، وذلك لأن من يقول: إن[1] الذات لا تطلع على شيء إلا توجهت له، بخلاف الروح. فهو لازم بأن يقول: في وقت عدم[2] توجهها لإدراك ما ذكر من العلوم والمعارف والرقائق، هي غافلة عنه وجاهلة به[3] قطعا.

ولقائل أن يقول في قول من تعاظم: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [القلم/ 4] . أي: في كل وقت وآونة وطور، تلقى أنت مجردا بدون واسطة[4] بين الذاتين.

وتلقيه هنا:

- إما كناية عن تلقيه ما فيه بدون سفير.
- وإما كناية عن تجريد الذات.

أي: وإنك لتلقى القرآن. أي: أم القرآن، أي: أم الكتاب. أي: هوية أحدية الجمع المطلق البحت[5] من لدن حكيم عليم. لا ثالث - هنا.

فلما كان يأتي جبريل بالوحي، كان يجده مكنوزا في خزانة هويته، فكان يتلى عليه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ 114].

[الدليل الرابع: إحاطة الروح الأعظم بجميع مراتب عوالم الإمكان]:

واعلم أني فكرت يوما في دليل من الكتاب على أن للروح الأعظم إحاطة بجميع مراتب عوالم الإمكان، فألهمت من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر/ 1]. فكأن الحق يقول: إنا أعطيناك الإحاطة بجميع دوائب[6] كرة العالم؛ علويها وسفليها، باطنها وظاهرها، كثيفها ولطيفها، جملة

---

(1) "إن" ساقطة من ع/ 1.
(2) في ع/ 1 "عند" وفي ح "عد".
(3) في ع/ 1 "عنه" كذا في ع/ 3 و ح.
(4) في ع/ 2 "وساطة"، كذا في ع/ 3.
(5) في ع/ 2 "المبحث".
(6) في ع/ 2 دوائر.

وتفصيلا، وعنه أفصح الكاف: ومع كونك هكذا فليس فيضك إلا من الوجود المطلق، وعنه أعرب الواو. ثم إنك وإن حصل لك ما ذكر، فلا تخرج عن رق الحدوثية والحدَثان، فليس فيك[1] شائبة حرية بالنسبة لهذا المقام. لكن وإن كنت كذلك فالرب والمربوب مرتبطان ارتباط الألف واللام. وإليه الإشارة بالراء. كذا لاح.

على أن هذا أمر لا يصح لصاحب فلك القطبية الاتصاف بهذا الاسم، إلا إذا كان العالم جملة وتفصيلا في ظفُر إبهامه، ومنه وعلى يديه تخرج الرقائق، كل على قدر قابليته، حتى ما وراء الحجب السبعين أو السبعين ألفا، فكيف يقال في الأحاديين[2] - مرتبة فوق الأفراد وفوق الكنوز الأربعة الذين لم يذكرهم غيري - وهو: مقام فوق القطبية الكبرى[3]، ولا تصرف للقطب[4] فيهم، بل ربما يؤثرون [5] فيه.

ومقامهم[6] في الديوان حجره ﷺ أو جيبه[7]، فكيف بالصحابة على مراتبهم على؟. فكيف بالأنبياء؟. فكيف بالرسل؟. فكيف بأولي العزم؟. فكيف بمن له الهيمنة على الكل - سقاني الله من فيض سره المقابل للكل؟.

ثم ما تقدم؛ إنما هو بلسان الفرق يتكلم به من لا ذوق عنده مثلي، كما يتكلم في قوله: «اللهم لا أحصي ثناء عليك»[8] كذلك.

[تفسير قوله ﷺ: اللهم لا أحصي ثناء عليك]:

واعلم أن قول سيدنا صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا أحصي ثناء عليك»،

(1) في ع/ 1 "فيه"، كذا في: ح.
(2) في خ: "الأحاديون"، كذا في: ع/ 2 و ع/ 3.
(3) القطبية الكبرى: مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.
(4) القطب: رجل ويسمى أيضا: الغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه. ويسمى أيضا: قطب العالم وقطب الأقطاب والقطب الأكبر... وهو: مقام من مقامات التصوف.
(5) في ع/ 2 "يترون". (6) في ع/ 2 "ومقام".
(7) في ع/ 2 "وحبيبه" وفي ع/ 2 "جبته".
(8) رواه البيهقي من طريف العلاء بن الحارث وقال: هذا مرسل جيد.

هو كلام خرج بلسان الفرْق؛ بدليل الإتيان بهمزة التكلم، أي: "لا أحصي"، إني[1] أنا من حيث أنا باعتبار التجريد فقط.

وأما باعتبار الجمعية، أو جمعية الجمعية، أو ما وراءها؛ فما ثم إلا النداء من ذاته لذاته بذاته في ذاته:[2] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝﴾ [الفاتحة/ 2 - 4]، أنت كما أثنيت على نفسك: إن اعتبرت التفريد؛ وجدت أنت كما أثنيت على نفسك[3]، أي: لا غيرك يقدر على ذلك، للعجز منه والبدء والنهاية، وإلا دخل تحت القيد والتقييد وعدم إدراك[4] بعض البعض، فأحرى الحيطة بما هناك من إدراك الماهية والكنه والهوية، بل أنت الذي تثني عليك.

وإن اعتبرت تفريد الضدين؛ قلت: أنت كما أثنيت على نفسك وهي:[5] "أنا" باعتبار: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور/ 35].

تنبيـــه: ذكره في "المدونة الكبرى" نقلا عن أم الكتاب: هل هو ﷺ أحصى الثناء على نفسه أم لا؟.

إن قلت: إنه خارج: «فما[6] عرفني حقيقة غير ربي».

قلت: هو مطلق خارج عن قيد التقييد بمجلى الثناء على نفسه من حيث الإحاطة .

وإن قلت: إنه داخل في: «ما عرفني حقيقة».

قلت: لا يحصي الثناء على نفسه[7]، وذلك لعدم الإدراك لماهيتها بالحيطة والشمول.

(1) في ع/ 1 " إني" كذا في ح و خ . (2) " في ذاته" ساقطة من: ع/ 1 و خ.
(3) " كما أثنيت على نفسك" ساقط من ع/ 1.
(4) في ع/ 2 "موعد و أراكب". (5) في ح "وهو".
(6) في ع/ 2 "مما" ، كذا في ع/ 3.
(7) من قوله: "من حيث الإحاطة إلى قوله: على نفسه" ، ساقط من ح.

فهذا فيه كمال[1] كمال الكمال المطلق، لأنه على لون مشهوده[2] من حيث الوُسْع ومن حيث إن مشهوده[3] كذلك لعدم النهاية ، فماهيته وهويته غير محيط هو بها على ما تعهده المؤثرات[4]؛ فهو محيط، ومحيط بأنه لا يحيط لعدم البدء والنهاية والتقييد والانحصار.

«اللهم لا أحصي ثناء عليك»: الذي أنت أنا باعتبار جمع جمع الجمعية، حين[5] تكون العين منبسطة العين، محيطة[6] العين بالعين طمسا وتجريدا.

وهناك يُتلى نداء[7]: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾، فيجيب ضدا[8] باطن تفريد الضدين: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه/ 14]، وفيه قلت:

قد خلت ذاتي بذاتي في عما سري[9]

﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى/ 1 - 2]، حيطة الحق بالحق في الحق الذي هو طلعته[10]، حيطة محمد بمحمد في محمد الذي هو حق حقه بلسان ما وراء الجمعية.

وبعد الجمعة ربما ترجع العين واحدة[11] حين غيبوبة اللاهوت في اللاهوت، «إني لست كهيئتكم»[12].

وبعد حيطة العين بالعين وقع التنزل باعتبار، فيحصل استواء الرحمانية على عرش الوجود المطلق، فيعطى قوة قوته، فلا ترجع العين واحدة، بل الأنموذُج للناموس[13] والقاموس للقابوس.

---

(1) كمال: ساقطة من ع/ 2 و ح .
(2) في ع/ 1 "شهوده".
(3) في ع/ 1 "شهوده".
(4) في ع/ 2 "المورثات".
(5) في ع/ 2 "حتى".
(6) "العين محيطة" ساقطة من ع/ 3.
(7) في ع/ 2: "يتلى عليك بداء".
(8) في ع/ 2 "سرا"، وفي ح صدى".
(9) ينظره ضمن أطروحتنا السالفة الذكر: "شعر محمد بن عبد الكبير الكتاني: جمع وتحقيق ودراسة".
(10) في ع/ 1 "طلعة".
(11) "واحدة" ساقطة من ع/ 2 و خ.
(12) البخاري -صوم / 20 . 48 . 50.
(13) في ع/ 1 " القاموس"، كذا في ع/ 3.

﴿قٓ﴾ [ق/ 1]، ﴿نٓ﴾ [القلم/ 1]: إذا بسطت حروفه وجدت نور الوجود المطلق، والوجود المطلق، ونور الوجود الوُسْعي[1]، فهناك ينادي من تجويف "واو" الإطلاق "بالطاء" من ﴿طه﴾ [طه/ 1]، فيترقى من: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾. إلى باطن هوية الباطن المُضَنْضَم.

فعين معرفته ﷺ بنفسه عين معرفة مشهوده بنفسه، وعين معرفة مشهوده به ﷺ عين معرفة شاهده بمشهوده، وعين إحاطته بعدم الإحاطة هي عين الإحاطة[2] في عينها.

[نكت من قوله ﷺ: «اللهم لا أحصي ثناء عليك»]:

ثم اعلم أن في هذا[3] الحديث نكتا:

الأولى: تعويض "الميم" عن "الياء" الدالة على البعد من جهة العبد، الدالة على المكافحة.

الثانية: آثر التعبير بالاسم الجامع، لأنه مجلاه وغاية مرماه، ولأنه عنده يصلح للتعلق والتخلق في سائر الأسماء دون غيره، فلا يصح[4] له التعلق فيه، وإنما له التخلق. وعنه أفصحت مولاتنا عائشة الصديقية الكبرى؛ حيث قالت: «كان خُلقه القرآن»[5].

ولك أن تقول: إن "القرآن" هو اسم كان، و"خُلقه" خبر. وهو الذي يرتضيه الملكي الإنسي سيدنا الوالد.

الثالثة: الإتيان فيه[6] بالفرق والجمع في قوله: "أحصي" كما تقدم.

---

(1) في خ " الوسع "، كذا في ع/ 2.
(2) "هي عين الاحاطة" ساقط من ع/ 2.
(3) "هذا": ساقط من ع/ 2.
(4) في ع/ 2" فلا يصلح"، كذا في ع/ 2.
(5) ينظر: صحيح مسلم 1 / 139 .
(6) في ع/ 1 "به".

الرابعة: عبر بالثناء دون الحمد أو الشكر أو المدح[1] أو شيء من المحامد؛ لشمول الثناء لما ذكر.[2]

الخامسة: لما لم يقل: على ذاتك، أو: ماهيتك، أو: ما أنت عليه؛ لإيهامه[3] أنه أحصى الثناء على[4]بعض كمالاته أو أفعاله أو أسمائه، فرفع ذلك الأديب[5] الأكبر وقال: "عليك"، ليشمل ذلك جملة وتفصيلا.

السادسة: آثر التعبير بكاف الخطاب، ولم يقل: على الذات. مثلا؛ لأنه في مقام المكافحة والمسامرة والمنازلة[6]، والدنو والاقتراب.

السابعة: قابل ماله بما[7] للحق في قوله: "أحصي"[8] أي: أنا. وقوله: "عليك".

الثامنة: الإقرار بالحيطة[9]والشمول ووسع العلم في قوله: «أنت كما أثنيت»؛ أي:[10] أحصيت الثناء على نفسك، أي: أحصيت عدم الإحصاء لعدم النهاية.

التاسعة: إطلاق النفس على الله، ومنه: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة/ 116]؛ أي: [تعلم][11] ماهيتي ولا أعلم ماهيتك.

العاشرة: المكافحة أيضا في قوله: «أنت كما أثنيت على نفسك».

الحادية عشر: فيما[12] ذكر غاية العجز وعدم إدراك ما ذكر، هو مقام الحيرة التي هي غاية المواصلة بالنسبة له، وليس فوقها مقام، وإنما فيها الترقي لا غير. وبالنسبة لغيره تسمى أيضا بالبهتية لنقصه، لأنها مجلى ﴿وَخَشَعَتِ

---

(1) في ع/ 2 "الحمد والشكر والمدح".
(2) في ع/ 2 "ذكرت".
(3) في ع/ 2 "لا هامه".
(4) في ع/ 2 "الثناء عليه على".
(5) "الأديب": ساقطة من ح.
(6) في: ع/ 2 "والنازلة".
(7) "بما" ساقطة من ع/ 2.
(8) في ع/ 2 " لا أحصي".
(9) في ع/ 1 "بالإحاطة".
(10) في خ "إني".
(11) "تعلم" ساقطة في جميع النسخ.
(12) في ع/ 2 "فما".

﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه/ 108].

* فمنهم من يكون على بساط الكمال.
* ومنهم من يكون على سبيل الكمال الذوقي[1].
* ومنهم من يتلاشى.
* ومنهم من يبقى شاخصا ببصره مدة من السنين.
* ومنهم ومنهم...

الثانية عشر: ليس المراد بـ: "لا أحصي": عدم العلم بما ذكر، بل المراد: عدم الإطاقة؛ أي: لا أطيق الثناء من جهتي.

ولقائل أن يقول: ليس المراد بـ: "لا أحصي": عدم الإطاقة، بل الإطاقة بالنسبة لغير الكنه حاصلة[2]، وإنما المراد: الاعتراف والعجز والتحقق بالإمكان وعدم الوجوب.

ومع كونه كان قائما على بساط العبودية، فهو محمول أيضا على نهج الحرية في آن واحد. وهذا[3] أيضا حالة الكمال رضوان الله عليهم.

يقول جل ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ بأن جاؤوا فرادى كما خلقناهم أول مرة؛ وهو: التفرد[4] بالعبودية، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت/ 69] الذي هو: الحرية.

وقال سيدنا ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد في الصلاة»[5]؛ أي: على قدر عبوديته تكون حريته.

وقال جلت عظمته: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾؛ أي: في مظاهرك ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾؛ أي: شجرة الكثرة: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ

---

(1) في ح "الدوني".
(2) "حاصلة" ساقطة من: ح.
(3) في ع/ 2 "وهو".
(4) في ع/ 2 "التفريد".
(5) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة. وينظر أيضا: كشف الخفاء... العجلوني رقم الحديث: 479.

عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح/ 18، 19].

وانظر كيف أكرم الحق من تحقق في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء/ 1]، قارن الإنزال بالعبودية كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف/ 1]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان/ 1].

(شعر)[1]: [الخفيف]

وإذا مـا أردتَ رفـعـا بـقـدري بين قومي فنادني: يا غلامي

وقد تتمحض الحرية؛ فتارة يظهر أثرها وحينا لا، باعتبار القوة القابلة وعدمها، لكن يختلف ذلك بحسب البداية والاستشراف، والنهاية ونهايتها[2]... وهلم جرا.

[رد على من يعترض اتصاف الحقيقة الأحمدية بالنبوة والرسالة]:

رجع: فإن قلت: وإذا ثبت كونه متصفا بالنبوة والرسالة من أول قدم، فلم لم يرسل من ثمة واسترسل في حكم البطون في الجملة إلى أن بلغ حدود الأربعين؟.

قلت: معلوم أن من صفاتها[3]: الغيرة، ولما خرج ناموسها من حضرة إلى حضرة، وكان أولا لم يره غيرها[4]؛ فلما خرج كان في ذلك إظهاره[5] لغيرها بالضرورة حسا، فأبت ذلك وخبأته في زوايا إزالة وحشته؛ لما سطر في لوح المحو أنه لا يظهر في تلك المدة ظهورا كليا.

فلما آن وقت الأربعين، وكان سطر في لوح الإطلاق أن لا واسطة في التدبير إلا هو - ولو دام ذلك لتعطل ما ذكر؛ للسبقية[6] المذكورة بالتعليق المذكور - ناسب أن يخرج من زوايا البطون إلى حكم الانتشار الظهوري؛ لما ذكر حتما، مع بقاء ما ذكر.

---

(1) "شعر" ساقط من خ.
(2) "ونهايتها" ساقطة من ح.
(3) في ع/ 2" صفتها".
(4) في ع/ 2 "غيره".
(5) في ع/ 1 و ح "إظهار".
(6) في ع/ 3 " لا سبقية".

فعدم إرساله من أول قدم؛ إنما هو لأجل كونها أرادت أن لا تسمح به لغيرها تفصيلا، مع كونه كان ظاهرا لنفسه وللأنبياء والرسل.

وكأني بالحضرة كانت تخاطب دوائر الكونية من حيث هي، وتقول في تلك المدة (شعر)[1][الطويل]:

سيكفيك من ذاك المسمى إشارة ودعه مصونا بالجمال محجبا

وتقول: [الطويل]

وإياك واسم العامرية[2] إنني أخاف عليه من فم المتكلم

بل قد يترقى[3] فينشد[4]: [الطويل]

أغار عليها أن يراها سواي، بل أغار عليها أن أراها لغيرتي

ولك أن تجيب بمثل هذا عن نومه[5] ﷺ في نومة[6] الوادي.

فإن قلت: من المنبئ لك بهذا؟.

قلت: أنبأني العليم الخبير، والله واسع[7] عن القيد والتقييد!.

[المسلك] الثالث

[الاصطحاب بين ظاهره ﷺ المحمدي وباطنه الأحمدي]:

وهو: أن[8] نهاية رؤوس أولي العزم من الرسل بأرواحهم وأجسامهم[9] إلى ما لانهاية لهم هي بداية هيكله الشريف في أول قدم. وأما الروح؛ فتقدم بيان[10] مركزها.

---

(1) "شعر" ساقط من خ (2) في ع/ 2 "العارية".
(3) في ع/ 3 وخ " يرتقي".
(4) في خ و ح "فينشأ" وفي ع/ 2 وع/ 3 "فينشاد".
(5) في ع/ 2 "عن قوله". (6) في ع/ 3 " في نومته".
(7) في ع/ 1 "وسع"، وفي ع/ 2 و ع/ 3 "واسع تعالى".
(8) " أن" النون ساقطة من ع/ 3. (9) في ع/ 2 "وأجسادهم".
(10) "بيان" ساقطة من: ع/ 1 وع/ 2 وح.

ولا شبه أن واسطية[1] عمرهم لمن عمر أو قرب[2] كانوا حصلوا على الاصطحاب، فأحرى أواخر دوائرهم!.

وآخر ما ذكر لهم هي: بداية لجسمه المنيف في هذا العالم. فأين يسع عاقل أن يقول بعدم الاصطحاب، وهو من يوم خرج لم يبق بينهما حرج؟، فاصطحبت الخمر بالأوان، وبقي ما كان على ما كان، فلم يبق بينهما ستر مذ انمحقت[3] نقطة الأسر[4]، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة/ 187]: وذلك بتزويج الخمار بعدما أزاح برقع[5] الخمار، فامتزج العَقار بالحباب، واتحدا[6] حكما من شدة ممازجة الاقتراب.

فإذا ثبت أن باطنه الأحمدي مظهر اللاهوت، لزم أن ظاهره[7] المحمدي كذلك، وذلك لتبعية لون الإناء للون الماء، ما ارتسم فيه ظهر فيه. قلت: [الطويل]

تبدت على كأس فكان للطفه ... بها هو إياها وإياه حلّتي[8]

لأنه عين العين والنقطة التي ... أديرت به من قوس وترهويتي

بل لك أيها الأديب أن تقول: إن الاصطحاب واقع عينا، وذلك بأن استولت سلطنته الروحية على عرش الجسمية، فعمتها بحللها جملة وتفصيلا. ولذلك كان لا يُرى[9] له ظل، وذلك لأن الروحية لا ظل لها. وكان[10] يَرى من خلفه كما يَرى من أمامه. وكان لا يتثاءب[11]. هكذا أخبر الناموس الجمعي. وقلت: [الطويل].

---

(1) في ع/ 1 " واسطة"، كذا في ع/ 2.
(2) في ع/ 2 "وقرب".
(3) في ع/ 2 وع/ 3 وخ "انمحت.
(4) في ع/ 2 "الاسم".
(5) في ع/ 2 "برقع".
(6) في ع/ 2 واتحد".
(7) في ع/ 1 "ظهوره".
(8) البيتان من تائية المؤلف المشهورة، (ينظر: أطروحتنا السالفة الذكر).
(9) في ع/ 1 " لا يرى ".
(10) في ع/ 2 " فكان".
(11) في ع / 2 " لا يتاوب ".

مطلسمة تبدو على عهد كنزها بلون الأنا في الهوّ، بل كل صبغتي[1]

إلا أنها تمثلت بتمثال الهيكل على سبيل التشبيه مع التنزيه، ولا غرابة في ذلك لمن علم عين يقين وقوع الأضداد المتكاثرة، على أنه لا ضد-هنا- تأمل.

فإن قلت: -مع هذا- كيف يتظاهر بأحوال البشرية الدالة على خلاف ما ذكر؟.

قلت: إنما كان يتظاهر بذلك مناسبة بالإناء الحال فيه؛ وهو عالم الحكمة، وليقدر على التلقي منه، ولئلا يُدعى فيه ما ادُعي في غيره.ومع هذا، سُتر الحسْن منه بالحسْن.

وهاهنا أسرار تُقطع دونها الأعناق، يدريها[2] من حام حول تلك الأحداق.

يقول سيدنا ﷺ: «إني لست كهيئتكم»[3]: هيئتنا هي الصورة الإنسانية الآدمية المركبة من الكثائف والعناصر، و هو ليس كذلك، لأنه قال: «إني[4] لست كهيئتكم»، أي: الصورة والشكل والهيئة والقانون والهيكل كهيئتكم، وفي المعنى: لست كأنتم، وذلك لأن "أنتم" ركبتم من كذا، وأثر فيكم، وأنا ركبت منه وغلب على الإناء[5] لون الماء: [الطويل]

ولُطـف الأواني في الحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني بهم[6] تنم[7]

وهذا خطاب عام في الذات والصفات والأفعال، لأنه أحدي الذات، واحدي الصفات كالعالم، وحداني الأفعال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم/ 4] بالإضافة.

(1) البيت من تائية المؤلف المشهورة، (ينظر: أطروحتنا السالفة الذكر).
(2) في: ع/ 1 "ويدريها" بإضافة "واو".
(3) تقدم ذكره.
(4) "إني" ساقطة "من: ع/ 2.
(5) في" ع/ 2 "لون الإناء".
(6) في ع/ 2 "بها"، كذا في ع/ 3 و ح.
(7) في ع/ 2 تنبوأ".
(8) في ع/ 1 "وأنت".

[المسلك] الرابع
[الاصطحاب بين اطلاع الذات واطلاع الروح]

[1 - الرد على نفاة هذا الاصطحاب]:

يلزم على عدم الاصطحاب المحكوم به عليه، نسبة الهيكل الشريف إلى الجهل، لأنهم يقولون: إن الروح تطلع على معالم توجهت إليها أم لا، بخلاف الذات فإنها لا تطلع على ما ذكر إلا بعد التوجه إليه.

ويلزمهم: كونها كانت جاهلة به قبلُ وغافلة عنه قطعا[1]، وذلك لأنهم رتبوا على عدم الاصطحاب: سر سهوه ﷺ ، وهو عدم توجه الذات إلى ما ذكر، فحصل له السهو.

فنسبة الجهل لازم لهم أو الغفلة. مع أن القطب الدسوقي قال: «فككت رموز القرآن كلها وأنا[2] ابن كذا وكذا، في سنين قلائل، أيام الصبا». وآخرون يقولون مالا يفي به بنان.

وقد فككتُ مكنون حرف[3] معجم في القرآن في اللوح لم يطلع عليه أحد قبلي ولا بعدي . اللهم بحسب الإرث لي ، كما خُصصت بالتجلي الذاتي من الذات للذات بالذات بنعت إجمال الإجمال.

وأول هذا التجلي: الاستهلاك في سره الأخفى ﷺ . ونهايته ما ذكر . وكل من حصل في هذه الشبكة عثر على نعوت العلم الثالث الخاص به ﷺ، وقد أطلعني الله عليه ولا فخر!.

وكذلك تراه[4] ميتا في صورة حي دائما، أزراره متناثرة، وهو مستهلك في نعوت الجمال المطلق المتشكل .

---

(1) "قطعا" ساقطة من ع/ 1 و ح .
(2) "وأنا" ساقطة من: ع/ 1.
(3) للذات ساقطة من : ح.
في ع/ 2 و خ "حروف".
(4) في خ "نراه".

واتحدت بهذا التجلي حتى صار لا يؤثر في. وهذا التجلي كان خاصا بالصديق الأكبر المشار إليه[1] بقوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة/ 40].

لأجل ذلك نقول: طريقتنا هذه صديقية[2] كتانية، وبداية أهاليها نهاية غيرهم من الأكابر، والمنة لله.

[2- الرد على نفاة الاصطحاب بدليل سهوه ﷺ]:

وأقول: سر سهوه ﷺ ، ليس مما كان[3] يطرقه من الصدمات، وذلك لعدم تأثره[4]؛ بها لقوته الإحاطية الوُسعية، وإنما ذلك مقابلة قوله جلت عظمته: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم/ 45]، فظهر هو بمقتضى خلاف ما ذكر عبودية وسترا وشريعة. وعليه فلا نسيان.

[3-نفي الفرق بين اطلاع الذات واطلاع الروح]:

وأقول: إنه لا فرق بين اطلاع الذات والروح، وذلك للاصطحاب الحاصل بينهما[5] من حيث الازدواج، فصار جميع ما تطلع عليه الذات وتدركه بلطافتها وصفائها صفاء أكثر من الزجاج المشار إليه بقوله جل ذكره: [6]﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، سماء الأرواح وأرض الهياكل، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾، وهي[7]: الهيكل المحمدي، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، وهو: شعاع الروح، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾، وهي: لطافة باطن السر، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، لون الماء لون

(1) في ع/ 2 وع/ 3 "له".
(2) قال المؤلف في مؤلف آخر له: " وأما كونها (الطريقة الكتانية) صديقية فلكونها أقرب إلى الذات المحمدية، وليس بينها وبين الحضرة الإلهية إلا الحضرة المحمدية ..."رأس العقل مخافة الله عز وجل مخ .خ. ع بالرباط.
(3) في: ع/ 1 : "ليس كان مما كان".
(4) في ع/ 2: " تأخره".
(5) في ح "لهما".
(6) "الله" ساقطة من ع/ 2.
(7) "وهي" الواو ساقطة من ع/ 2 و ع/ 3.

إنائه، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور/ 35]. كنى عن الوحدة[1] المطلقة بالشجرة، باعتبار واحديتها[2] أو باعتبار: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف/ 189]، أو باعتبار[3] تعددها في فردانيتها ظهورا، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ فتشرق، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فتغرب، بل بين ظهور وبطون[4] ووجوب وإمكان، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور/ 35]: نور[5] المحمدية على نور الأحمدية، أو: "على" بمعنى: في أي نور في نور، اصطحابا في اصطحاب[6]، عَقارا[7] في حُباب، تطلع عليه وتدركه. كذلك الروح قدما بقدم، حلة بحلة، جميع ما أفرغ على الهيكل الأحمدي من الرقائق والمعارف والتنزلات والمكافحات يُفرغ مثله على الشعاع المحمدي الروحي، مثلا بمثل، لا تدريجيا ولا انفصالا: []

زَوّجـتُـهـا والـزمـان طـفـل   مـن قـبـل أن تـوجَـد الـطـروس

هذا الحق عند الله، وقد وقع التفريق والكل واحد[8].

[4- أسباب تأخر هيكل الرسول ﷺ وعدم إبرازه في تلك الأزمنة الغابرة]:

فإن قلت: ولم تأخر ظهور هيكله ولم يبرز في تلك الأزمنة؟.

[أ - السبب الأول: اعتباره ﷺ الأنموذج في الخلق]:

قلت: اعلم أنه ﷺ نسخة الوجود المطلق، ووحدة الوحدات الإحاطية والإنسان الحقي، فهو مظهر لكل شيء من الكمالات الإلهية، فكما أن

---

(1) في ع/ 3 "عن الواحدة".
(2) في ع/ 2 "وحديتهما".
(3) في ع/ 3 "وباعتبار".
(4) في ع/ 2 "وباطن" وفي ع/ 2 "وبصطون".
(5) "نور": محذوفة في: ع/ 1 و ع/ 3 وح.
(6) في ع/ 2 "نور في نور الاصطحاب اصحابا" كذا في ع/ 2.
(7) في ع/ 1 "عقار".
(8) في ع/ 2: "وقد وقع الحق والتفريق واحد".

الأنموذج تقدم له البطون الذاتي وهو حالة الكنزية على الظهور الجلي[1] بشاهد: «كنت كنزا»[2] المصحح عندنا، كذلك ناموسه تقدم له البطون على الظهور بمعونة: «خلق الله آدم على صورته[3]»[4]، أي: على[5] ما هو عليه من استحقاق جميع الرتب الذاتية، المنبسطة منه إليه، غير الوجوب الذاتي؛ فهو خاص بالأنموذج كما يرشد لذلك[6] قوله: "خلق"[7].

[ب - السبب الثاني: زوال الفرق بين اطلاع الذات واطلاع الروح]:

فبان[8] أنه لا فرق بين اطلاع[9] الجسمية والروحية، وذلك لانتفاء مقتضى العنصرية فيه من أول قدم على ما جرى في القدم. يقول جل ذكره: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى/ 8] [10]. عياله: هي عوالمه: النفس والعقل والقلب والروح والسر، أي: وجدك أيها الحبيب المحبوب يوم قدومك على سطوح هذه البسيطة بمجموعك عائلا بحسب[11] التركيب الدوري بالنسبة للذات؛ فأغنى، أي: أغنى جسمانيتك كروحانيتك بأن أوقع الاصطحاب بينهما، فصارا[12] يدخلان معا من كل[13] باب، ويناد‍مان بقوارير الزوجية والاقتراب بالجمع وجمع جمعه، فصار ما في الذات في الروح وما في الروح في الذات بمقتضى خطوط اسم الذات؛ وهو: الاسم الجامع[14].

فالألف: إشارة للأحدية المحضة المجردة، الغير القابلة غيرها سوى

---

(1) في ع/ 1 تجلى.

(2) كشف الخفاء ... العجلوني رقم 2016.

(3) في ع/ 3 "سورته".

(4) كتاب الاستئذان، صحيح البخاري رقم 27 62.

(5) "على" مكررة في: ع/ 3.

(6) في ع/ 2 وح: إلى ذلك

(7) في ع/ 3 "حق".

(8) في ع/ 2 "فبان لك".

(9) في ع/ 3 "الطلاع".

(10) ينظر تفسير المؤلف لهذه السورة في كتابه: الفص المختوم " (مخ، خ، ع، ك: 3351، ص: 1 وما بعدها).

(11) في ع/ 2 "بسبب".

(12) في ع/ 2 "فصار".

(13) كل محذوفة من: ع/ 1 وح.

(14) الاسم الجامع هو اسم الله جل جلاله.

سحقه ومحقه؛ بشاهد ما دل عليه؛ وهو الألف.

واللام[1] الأولى: إشارة لروحانية حقانية قدسية محمدية أحدية.

واللام الثانية الملاصقة لها: إشارة لجسمانية عنصرية نورانية متمثلة بتمثال العناصر حقانية روحانية ملكية. وإشارة تلاصقها: شدة ازدواج ما ذكر بما ذكر فرقا وتفصيلا، وعلم يقين وعين يقين.

[ج - السبب الثالث: المحمدية هي الأحمدية]:

وأما تحقيقا وتدقيقا: فالمحمدية هي الأحمدية، هي هي، فرقا أيضا ظهرت بها[2] أو جمعا، تفصيلا أو إجمالا وحق يقين. لذلك كان لا يظهر لهم ظل. وإلى هذا أشير[3] بالهاء في آخر الاسم.

فأشار الحق لذلك -أولا- إجمالا ثم تفصيلا؛ لِحكم[4] يدريها من جاوز[5] آوْن الفَطْم.

[5- أدلة الاصطحاب بين الأحمدية والمحمدية]:

[أ- الدليل الأول: الحروف المقطعة في أوائل السور]:

وعنه أفصح أيضا بقوله:

"حم": فالحاء: إشارة لحيطة وشمول الروح المطلقة الإحاطية الوسعية المقابلة لأم الكتاب. والميم: جامعة الكل المشار بها لحيطة محمديته على ما في أحمديته تدقيقا، وهذا هو السر في تجويف الحاء. والميم: إشارة لحيطة الكل بالكل.

وعنه - أيضا - أعرب بقوله: "طه"؛ فالطاء: إشارة لباطن سره الحقاني، المنزه عن الدوائر والتقيدات، وكأن الحق يقول: طأ أيها الجسمانية المحمدية

---

(1) في ع/ 3 "وللام"

(2) بها: محذوفة في: ع/ 1.

(3) في ع/ 3: أشلير".

(4) في: ح: بحكم.

(5) في ع/ 2: "جوازر".

العنصرية الخلقية بساط الأحمدية المطلقة الإحاطية، بأن تحل محلها، وتطأ رتب رتبها، وتفرغ عليك حلل سننها[1]، فإنك إذا وطأتها تصير هي هي، وإليه العبارة[2] بالهاء.

كما أبان عن ذلك بقوله:

"الم": فالألف: تقدمت إشارتها، واللام للأحمدية الروحية الحقية. ووصلها بقوله: "ميم": إشارة لما ذكر أيها الأحمدية المحمدية، وأيها المحمدية الأحمدية[3]. وعنه عبر بقوله:

"ألمص": فالألف واللام والميم تقدمت إشارتها، إلا أنه لشدة الاصطحاب قال: تمثلت الأحمدية بصورة المحمدية، فصارت حالة محلها ومتمثلة بها. وقد أشار لذلك بالصاد.

[ب- الدليل الثاني: من الصلاة الأنموذجية الكتانية]:

وإذا أردت الارتقاء عما ذكر، فاتل تلك الصلاة الجامعة[4] علوم ما نسب إليه من الكمالات في الفرقان وسائر الكتب الإلهية. وفي علمي أن الدهر لم ينسج على منوالها، ولا حكى حلل جمالها. وهي تعدل[5] ثمانية مائة[6] من "دلائل الخيرات"؛ الواحدة منها[7] بثمانمائة.

---

(1) في خ "شنبها" كذا في: ع/ 3 و ح. وفي: ع/ 2 شؤونها.
(2) في ع/ 3 "العباة".
(3) من قوله: " فالألف تقدمت إشارتها إلى قوله: المحمدية الأحمدية: " ساقطة من : ع/ 2.
(4) يقصد الصلاة الأنموذجية: قال عنها في كتابه: الرقائق الغزلية": "هذه الصلاة الأنموذجية الكتانية الأحمدية التي الواحدة منها بثمانمائة من دلائل الخيرات، والواحدة منها بتسعمائة ألف من صلاة الفاتح المنسوبة للبكريين، وهي عندهم بستمائة ألف صلاة من غيرها." ينظر : الرقائق الغزلية ص: 6.
(5) في ح/ 1 "وهي" تقول".
(6) في ع/ 2" بثمانمائة". وفي ع/ 3 "ثمانمائة " كذا في خ.
(7) "منها" ساقطة من :ع / 2 و خ.

وهاهنا قال نبي الله دانيال عليه السلام، كما أخبر بذلك المصطفى[1] ﷺ: «طوبى لمن أدرك المائة الرابعة بعد الألف من أمة محمد».[2]

وليس المراد بهذا إلا شفوف طريقتنا وعلوها على سائر الطرق. ومن جملة تفضيلها: هذا التضعيف في الأعمال، فإن آخر الأمة أخبر عنه ﷺ بقوله: «كل يوم ترذلون». وتكاثرت القواطع القاطعة عن الله، ولا فراغ للناس للتوجه إلى الله، فأبرزها الحق تعالى لتقوم عبادة[3] كذا وكذا من السنين، لأجل ذلك[4] ادخرها ﷺ لنا ولم يبرزها[5] للصحابة؛ لاستغنائهم بقوتهم المقتبسة من مشكاة باطنه ﷺ. وأيضا: كان المقصود من العالم وفائدة الكون معهم، فلم يحتاجوا لها في الجملة.

وهي[6]: «اللهم صل وسلم وبارك[7] على سيدنا ومولانا أحمد[8]. الذي جعلت اسمه متحدا باسمك ونعتك. وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذج حقيقة "خلق الله سيدنا[9] آدم على صورته"، وفجرت عنصر موضوع

(1) في "خ" كما أخبر به صلى الله عليه وسلم".
(2) نسب المؤلف هذه المقولة في عدد من مؤلفاته إلى نبي الله دانيال عليه السلام.
(3) في ح : "عيادة". (4) في ع/ 2 : "هذا".
(5) في ع/ 1 "يبرز".
(6) وهي: يعني الصلاة الأنموذجية قال الكتاني في كتابه: "الرقائق الغزلية" : " فمن قرأ الأنموذجية كان عند الله ولا عبرة بالمنتقد، كمن قرأ صلاة الفاتح أربعا وخمسين مائة ألف مليون مضعفة أربع مرات، والمنة للبرزخيات الثلاث. وقد كان القطب الأشهر سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه رآها في لوح التعيينات فأراد أن يخرجها لأصحابه فقيل له: إنها ليست لك ، إنها لمحمد بن عبد الكبير الكتاني الأحمدي الإبراهيمي الصديقي الأويسي يظهر في القرن الرابع عشر" .
ونص المؤلف رضي الله عنه أن الرسول ﷺ يحضر بمنه عند قراءة الصلاة الأنموذجية، وهي صلاة على النبي عليه الصلاة والسلام للمؤلف نفسه(الشيخ الكتاني)، وقد شرحها المؤلف شروحا كثيرة أعظمها : "خبيئة الكون" وشرحها غيره من أئمة أتباعه.
(7) سلم وبارك" ساقطة من خ.
(8) في ع/ 1 "محمد".
(9) "سيدنا" ساقطة من ع/ 3 و ح.

مادة محمولة من أنية "أنا الله"، بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده، وآله وصحبه وسلم».

[ج - الدليل الثالث: وقوع الاصطحاب للفرد المحمدي]:

فإن قلت: هل[1] الفرد المحمدي يقع له اصطحاب أم لا؟.

قلت: نعم، وراثة أحمدية[2] محمدية، لكن بعد بلوغه الأشُد[3] وهو: مقام التسوية[4] التي يكون فيها قابلا للنفخ المشار له بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر/ 29]. والتسوية هنا: عبارة عن إمداده بالقابلية المستحق بها إجلاسه على بُسُط الخلافة الظاهرية والباطنية: «امروا أبا بكر فليصل بالناس»[5].

وأما[6] النفخ؛ فعبارة عن نفخ الروح الأعظم فيه من قوته [7]الوُسْعِية الإحاطية، القادر بها على الجهتين، التي هي من مقتضيات الخلافة، وعند ذلك: ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر/ 29]، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل/ 44].

[د- الدليل الرابع: الاصطحاب بين الروح والشبح]:

فإن قلت: هل[8] الفضل للروح على الشبح أو العكس ؟.

قلت: أما في حقه ﷺ؛ فإن قلت: الاصطحاب عيني على ما قدمته ، فلا تتصور المفاضلة لأنها إنما[9] تعقل بين اثنين. وإن قلت: الاصطحاب حكمي كما قدمته أيضا؛ فلا مفاضلة، لأن المفيض والمفاض[10] عليه مستويان -هنا-

(1) في: ع/ 2 "هذا".
(2) "أحمدية: ساقطة من: ع/ 1 و ح وفي ع/ 2 أحمدية لا محمدية.
(3) في: ع/ 2 : "لاشك".
(4) في: ع/ 2 النهوية".
(5) صحيح مسلم/ كتاب الصلاة .الباب: 97.
(6) في ع/ 3 "وما".
(7) في ع/ 1 "قوة" كذا في ح.
(8) في ع/ 2 "أهذا".
(9) في ح "إما".
(10) في ع/ 2 و "المفيض".

في الاطلاع والفيض ، اللهم إلا أن يكون من جهة الظهور وعدمه، فلولا الروح ما ظهر الجسد ولولا الجسد ما ظهر مقتضى الروح المخلوقة له [1].

والكلام كله في هذا العالم . وأما[2] في غيره؛ فلابد من المفاضلة، إذ لولا الروح ما قام الجسد ولولا كثافة الجسد ما ظهرت لطافة الروح .وهذا من قبل الاصطحاب .

وأما بعده؛ فلا نقول: إن الاصطحاب الواقع للأفراد عيني،لا ؛ لا ، بل حكمي فقط.وعليه فلا مفاضلة أيضا -كما تقدم -والله اعلم .

وهاهنا يقول صاحب هذا المقام [3]: [الطويل]

وإن خطرت لي في سواك إرادة   على خاطري سهوا قضيتُ بردتي[4]

لأنه ليس هو سوى حتى يخطر عليه السّوى، وكنى بِـ"ردتي" عن كونه ليس في هذا المقام، بل إلى العامية الصرفة، فهي ردة بالنسبة لأرباب هذا المقام.

(1) له ساقطة من ع/ 1 .
(2) في ع/ 3 "وما".
(3) صاحب هذا المقام هو الشاعر الصوفي ابن الفارض.
(4) البيت ضمن التائية الكبرى لابن الفارض (ينظر :الديوان ،ص: 229).

خـــــاتمـة

[1- الفناء والبقاء]:

اعلم أنه على قدر الفناء في محمديته على قدر البقاء[1] بأحمديته، وعلى قدر الفناء[2] فيها على قدر الفناء[3] في بعض غيوبها، وعلى قدر البقاء بما ذكر يكون البقاء بالله.

والفرد الكامل ارتقت همة هامته إلى الفناء في تلك المراتب الباطنية التي أشرت لها[4] بـ:

" الصلاة الديجورية " ؛ وهي: «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد سر سر نقطة هوية محيط الجمال، وباطن شَكلة باء غيهوبية سُرادِقات الجلال، وسلم عليه بلاهوتية باطن سره[5] الحقاني، وعلى آله بمحيطات قوس حضرات التداني، وصحبه وسلم[6]».فتأمل أيها الأديب ما تحت هذا اللغز، وفك[7] معمى[8] هذا الرمز.

والمقام الذي يحصل للفرد المحمدي فيه رفع الحجاب بالكلية[9]، ويتحقق بمعية المعية فيه ﷺ ، يسمى عندي بـ: "قاب قوسين أو أدنى" ؛ كما يقع في جانب الربوبية. وهناك يسمع[10]: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم/ 10].

---

(1) في ع/ 2 الفناء، كذا في ح.
(2) في ج "البقاء".
(3) في ح" البقاء"، كذا في: خ و ع/ 3 . " وعلى قدر الفناء ساقطة من ع/ 2.
(4) في ع/ 2 "إليها".
(5) في ع/ 3 "سر".
(6) في ع/ 2 "إضافة انتهت".
(7) في ع/ 1 "وفيك".
(8) في ع/ 2 "معنى".
(9) في ع/ 2 "الكلية".
(10) في ع/ 2 "يسمع أيضا" كذا في خ.

[2- مقامات الحب]:

ولعل هذا المقام لم يذكره أحد من الأفراد[1]، وهذا الحد[2] الذي يصل إليه[3] فيه معه هو[4] غاية مقامات المحبة، وذلك لأن أولها[5]: سماع[6]، ثم: الهوى: [الطويل]

بحق الهوى يا أهل وُدي تَفَهَّموا ... لسانَ وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرض للهوى ... يكون لغير الحق فيه نصيب[7]

وقلت: [مجزوء الرمل]

تفنى الدهورُ وما هوى ... مني الفؤاد سوى الهوى
مني له ذل ورا ... ليت الصدود له حدودا!
طعم الهوى مر ولـ ... ـكن[8] كل ما وصلت حَلا
تسقي المتيَّم بالسـ ... ـلافة، إنها تُنسي الصدود[9]

ثم الوجد، ثم الشوق، ثم اشتياق وصبابة، ثم الحب[10]، ثم خالِصهُ وأرَقُه؛ وهو: الوُد، ثم إن لازم؛ فغرام، ثم إن تبعه حزن؛ فوجد، ثم إن اشتد؛ فكآبة وتفجع، ثم إن تبعه هم وحزن؛ فشجو، ثم إن تبعه هم؛ فبلبال، ثم تبتل[11]؛ وهو: سُقم الهوى: [البسيط]

---

(1) الأفراد: مرتبة فوق مرتبة الأقطاب. (2) في خَ "الجد".
(3) إليه" ساقطة من ع/ 2.
(4) في ع/ 2 "هذا".
(5) تحدث المؤلف في كتاب آخر له لم يذكر اسمه عن هذه المراتب وبشيء من التفصيل، ولذلك سنعمده في شرح بعض هذه المراتب. ينظره: مخ ، خ، ح ضمن مج، رقم 10327، ورقة 30 وما بعدها.
(6) السماع: يعني سماع الأحدوثة "عن شمائل المحب، فهناك تنطبع في مرآت القلب.
(7) البيتان لشاب مجهول. ينظر: الرسالة القشيريه، القشيري، ص 388.
(8) "كن" ساقطة من: خَ.
(9) من شعر المؤلف: ينظر: أطروحتنا الجامعية السالفة الذكر.
(10) الحب: عبارة عن وصول المحبة إلى حبة القلب وتمكنها منها.
(11) في خَ :تبل".

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول[1]

ثم علاقة: [الطويل]

ولقد أردتُ الصبر عنكِ فعاقني عَلَــقٌ بقلبي في هــواك قديم

ثم كَلَفٌ، ثم شغف، ثم شعف؛ وقرئ به قوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا[2] حُبًّا﴾ [يوسف/ 30]. وفي معناه: اللوعة[3]، و اللاعج[4]، ثم الجوى. ثم تنفعل مقتضيات المراتب فيه، فطورا تعلوه غيبة وآونة ينقدح له[5] السُّكر، وحينا يفقده فناء، ثم هيام، ثم مرتبة الاستغراق [6]، ثم مرتبة[7] الخلة[8]،[9]، وهي: مقام توحيد الحب الذي يقول صاحبها[10]: [الطويل]

وعن مذهبي في الحب مالي مذهب وإن مِلْتُ يوما عنه فارقتُ ملتي[11]

ثم مرتبة الانقلاب، وهي: عبارة عن انقلاب إدراك العاشق في سائر جزئيات العالم، فمهما سمع أو رأى أو لمس، توهم أن ذلك محبوبه. وربما تجرد عن صورته[12] فشاهدها المحبوب: [الطويل]

---

(1) الشطر مطلع لقصيدة كعب بن زهير المشهورة وتتمته:

بانت سعادة فقلبي اليوم متبول متيم إثرهـا لم يفد مكبول

(2) في ع/ 2 "ولقد". (3) في ع/ 2 "اللودعة".

(4) في ع/ 2 "الاعج.

(5) "له" : سافطة من ع/ 2.

(6) الاستغراق: يعني استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة بأسرارها، وارتسام صورة المحبوب في مرآة العاقلة وحدها .

(7) في ع/ 1 و ح "رتبة".

(8) مرتبة الخلة: وهي مقام تفريد الحب في توحيده. وهذا مقام الصديق الأكبر معه ﷺ، فإنه من يوم علا بمطمح بصر بصيرته إلى سماء عوالم هيكله ﷺ به، صار بلونها. وهنا قال فيه ﷺ: " من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى أبي بكر " ، وذلك أنه رضي الله عنه تمكن منه هذا المقام، فصار معدوما في طي حلل محبة.

(9) "الخلة" سافطة من: ع/ 2.

(10) هو ابن الفارض الملقب بسلطان العاشقين .

(11) ديوان ابن الفارض ص، : 229.

(12) في: خ "صورة".

ولم تفن مالا[1] تُجتلى فيك صورتي[2]

ثم مرتبة المحْق: وهي فناء الوجود في الوجود، وهي: المكنى عنها بالعدم المحض، وبالقيامة[3] الصغرى، وبسلسلة الجرس، وبجمع[4] الجمع[5].

ولولا خوف الإسهاب لأطرينا في هذا الجناب.

[3- بحار الأحدية]:

فإن قلت: هل فوق هذا ترق[6]؟.

قلت: نعم؛ لليوث غابة الأحمدية اللاهوتية الحقية الفردية. فقد روي أن القرآن له ظاهر وباطن . ولباطنه سبعة أبطن. والذي عندي في هذه الأبطن باعتبار التدلي هي أن:

الأول[7]، [8]: مفتاح الغيب، أي: الأسماء التي ظهرت بها صور الممكنات حتى يظهر على ما هي عليه.

الثاني[9]: باطن الغيب .

---

(1) في جميع النسخ : ما لم"، وفي ديوان الشاعر: "ابن الفارض" "مالا".

(2) هذا الشطر الشعري لابن الفارض من التائية الكبرى. وتمام البيت .

فلم تهـوني ما لـم تكن في فانيا ولـم تفن مالا تجتلى فيك صورتي

ينظر الديوان ص 233.

(3) في ع/ 3 "البلقيامة".

(4) في: ع/ 2 : "ومجمع".

(5) كما يعبر عنها" بتنزيل الأرض غير الأرض والسماوات". كتاب في التصوف لمحمد بن عبد الكبير الكتاني. مخ ضمن مج. خ.ح رقم 10327ورقة 30.

(6) في ع/ 2 "ترقى".

(7) في ع/ 2: أول.

(8) الأول: ويسمى أيضا: غيوب الغيب الشهادي، وهوظاهر جسمانية الرسول ﷺ. وهو للخواص.

(9) الثاني: مرتبة من مراتب أحمديته وهي لخواص خواص الخواص من هذه الأمة الأحمدية.

الثالث[1]: غيب[2] السر.

الرابع[3]: سر الغيب.

الخامس[4]: باطن سر الغيب.

السادس[5]: سر سر باطن الغيب.

السابع[6]: غيب[7] مفتاح بطون الماهية، وهو: حقيقة الاسم الباطن، وهو مقام البحتية المضمتة الباطنية البحر المحيط.

وهذه هي الصرافة الباطنية الغيبية الممنوعة لكل أحد، لأن عندنا:

* صرافة باطنه[8]: وهي الأحدية المشهودة للحكيم من القوم.

* وصرافة باطن باطنه وهي[9]: كل غيب من هذه الغيوب.

وللأفراد حد لا يجاوزه إلى غيره في هذه الدوائر، وللأنبياء والرسل حد، ولنبينا ونبيهم[10] حد لا يجاوزه.

والمرتبة السابعة: هي المختصة بالحق، وهي اسمه الباطن الذي لا كشف

---

(1) الثالث: مرتبة أيضا من مراتب باطنه. وهي لخواص خواص الخواص من الأفراد. وفيه يقع التنافس.

(2) "غيب" ساقطة من: ع/ 1 كذا حَ.

(3) الرابع: وهو خاص بالصحابة على تفاوتهم فيه، ولوارثه مزيد معرفة بهذه الحضرة.

(4) الخامس: ويسمى أيضا غيب الغيب وهو للأنبياء والرسل وأولي العزم حسب تفاوتهم فيه. ولا مدخل للصحابة فضلا عن غيرهم فيه مع معرفة الرسل بالرتب المتقدمة كالصحابة.

(5) السادس: ويسمى أيضا باطن سر غيب الغيب، وهو كنه حقيقته ﷺ. وهي اللطيفة الأصلية المطلقة الوسيعة الإحاطية المعبر عنها بالأحمدية، وبباطن الحق، وباللاهوت، وبالبحر المضمضم، وبحقيقة الحقائق، وبطلعة الحق، وبالأحدية، وبالحقية، وبالوجود المطلق. وعلمها مختص به لا يشاركه فيه إلا الأنموذج. ينظر: "الطلاسم" . محمد بن عبد الكبير الكتاني مخ، ص: 6.

(6) السابع: وينفرد به الله عز وجل.

(7) "غيب": ساقطة من ع/ 2.

(8) في: ع/ 2 "باطنه" كذا في: ع/ 3.

(9) في ع/ 2 ولنبيهم.

(10) في ع/ 1 "باطنة باطنه" كذا في ع/ 2 و حَ.

لمغرب عنها[1].

ولك أن تقول: إن هذه المراتب هي المكنى عنها في لسان العارفين ببحار الأحدية[2]، ونعني بهذه الغيوب: كل حد أقيم فيه صاحبه ولم يتعداه إلى غيره.

[4- وصوله ﷺ إلى غيب مفتاح بطون الماهية]:

واعلم أنه ﷺ عُرج به وزُج به في جميع الحجب إلى أن وصل لهذا السابع، فأراد[3] أن يزجه بمقتضى كون الحق ركب في هذا النوع الإنساني أنه[4] لا بد أن يطلب الزيادة ولو كان فيها حتفه، فسمع: قف إن ربك يصلي. والصلاة -هنا- كناية عن عدم إدراك هذه الرتبة[5]، وذلك لأن من شأنه الصلاة في الحس، لا يصدر منه سوى ما هو فيه، فكنى عن عدم الإدراك بالصلاة، بل والوصول. وهناك[6] سمع: " الله أكبر" ، فكأنه قيل له[7]: وإن تمكنت مما تمكنت به من استحقاق الكمالات، وحزته من موارد التضمينات والإنشاءات[8]؛ فقف!.

وهاهنا قال كما قال قبل: «اللهم لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[9]. هو. هو. هو.

فمن هاهنا كان دائم الأحزان، مسترسل الأشجان، وذلك لأن ما فاته أعظم مما أدركه، فكان مركز نقطة دائرته وقطب رحى مسقط[10] لطيفته هو الغيب السادس، ولم يجاوزه[11] إلى غيره.

وهذه الدوائر هي المـُعَنْوَن عنها بالأمانة التي أعجزت كل الأنام، وذاب الكل تحت ظل شعاع ذلك الحسام.

---

(1) في ع/ 2 "ولنبيهم".
(2) في ع/ 2 الأحمدية.
(3) في ع 1 "أراد".
(4) في ع 1 " لأنه".
(5) في ع/ 1 "المرتبة".
(6) في ع/ 1: "وهاهنا".
(7) "له" : محذوفة من: ع/ 1 وخ.
(8) في ع/ 3 والإنشاء".
(9) تقدم ذكره.
(10) "رحى مسقط" : ساقطة من : ع/ 2.
(11) في خ: "ولم يتجاوزه" : كذا في ع/ 2.

نكتة: [مقام الرسول ﷺ "المحمود" الباطني]:

وتقلبه ﷺ في هذا المنزل هو: المعبر عنه عندي بصلاة الله عليه، فهي التي أشار إليها[1] بقوله: «وجُعلت قرة عيني في الصلاة»[2]، أي: صلاة الله علي[3] وعليه، فهي حين يكون محمودا محبا مطلوبا مخصوصا مرادا أحدا في هذا المشهد، وذلك لأن له مشاهد بالنسبة للظاهر:

- تارة صفاتي، وآونة أسمائي، وطورا ذاتي، وحينا أحدي، ووقتا غيبي.
- وزمنا باطن الغيب.
- وصباحا غيب السر.
- وضحى سر الغيب[4].
- وسَحَرا باطن سر الغيب.
- وظُهرا سر سر باطن الغيب.

فحين يكون في هذا المشهد السادس - وهو أقصى مشاهده - يكون[5] في شيء[6] لا يعلمه غيره، وذلك[7] الشيء هو المتلو في صلاة الله عليه، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة/ 2].

وهذا هو[8] مقامه المحمود الباطني الذي أشرت له بقولي على لسان ليلى الأحمدية: [الطويل][9]

وثم وراء الحسن معنى شهدتُه بِمَهْمَهِ غيب القدس في طي حُلتي

(1) في ع/ 2 "لها".
(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل 3/ 128-199-285 النسائي 7/ 61.
(3) قال في كتابه الرقائق شارحا الحديث "وجعلت قرة عيني في الصلاة " أي: صلاة الله علي في هذه المواكب المضروبة بصحاري ارتفاع البين من البين. ينظر "الرقائق الغزلية". (مخ). ص: 5.
(4) في ع/ 2 "وضحى غيب سر الغيب".
(5) " يكون" ساقطة من ع/ 1.
(6) في ع/ 1 "في لا شيء" كذا في خَ.
(7) وذلك"/ الواو ساقطة من ع/ 2 و خَ و ع/ 3.
(8) "هو" ساقطة من ع/ 3.
(9) البيتان من تائية المؤلف (الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني) المشهورة.

هناك انمحى عن فَرْق نقطة غينه وصرتُ وراء الجمع من جمع شَكلتي

وهاهنا قال أيضا: «إن الوسيلة أعلى مكان في الجنة، ولا تكون إلا لواحد، وأرجو أن أكون أنا[1] ذلك الرجل».

[6- جملة من خصيصاته ﷺ]:

وهاهنا قال أيضا: «إني لأجد نَفَسَ الرحمن[2] تأتيني من قبل اليمن[3]»[4].

فمن جملة[5] خصيصاته: كونه له الطور الأيسر العجمي، المتلو عليه فيه: ﴿الَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء/ 218]. مصليا في محراب جمع الجمع على بساط الفَهْوانية من "أو أدنى" المعبر عنه بالطور الأيسر.

ولك أن تقول: المراد بالنفس: بسط أشعة الحرية[6] التي هي نعت الحسن المطلق المشار لها بقوله: «التأني من الله»[7] أي: دعاء الأثنية[8] الحقية[9] الصرفة لا يصدر إلا من الله. وكل من ترنم بها على سبيل الاستعارة إنما هي في مقام التلبيس المزجي للمحقق، أو[10] الصرفي لغيره، "يأتيني من قبل" يمن نوافح القرب المعنوي، أعني: مكافحة الذات بالذات، فلا يكون المحقق محققا حتى يرتكب[11] متن[12] معاني سائر الآيات القرآنية، ويقيم في رياضها؛ كأبي يزيد البسطامي.

---

(1) "أنا": ساقطة من: ع/ 2 و ع/ 3.
(2) في ع/ 3. "نفس الحق".
(3) في خ: "اليمين".
(4) كشف الخفاء، العجلوني رقم 801.
(5) في ع/ 1 "فمن جهة".
(6) في ع/ 1 "المحمدية".
(7) رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن منيع والحارث بن أبي أسامة في مسانيدهم عن أنس رفعه، وأخرجه البيهقي عنه أيضا، وله شواهد عند الترمذي.
(8) في ع/ 3 "الأننية".
(9) في ع/ 3 " الحقيقة" كذا في ح؛
(10) في ع/ 3.
(11) في ع/ 1 يترکب.
(12) "متن" ساقطة من: ع/ 2.

وهذا يعثر عليه عند قوله: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾. وهي: عبارة عن التنزلات الذاتية[1] في بساط التنزيه الذاتي العيني في ذات الحق؛ المرادين في قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾. والمراد بالكتاب: الإجمالي الجمعي[2] حقيقة الحقائق، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران/ 7]، في بساط المكافحات التشبيهية الحكمية، لأن التشبيه حكمي في ذاته لا عيني.

وهنا يعلم أن حسنه يسبي حسنه، لا غيره يهواه، ولا يتعشقه سواه، بالنسبة للرابطة في [3] العاشقية والمعشوقية، فالمحقق هو الذي يشهد التشبيه في التنزيه والتنزيه في التشبيه، لا يزايله[4] الاستواء بالقدمين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ عن مقام التنزيه الحقيقي[5] الذاتي العيني ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ على سبيل التجريد، وهو زندقة محضة، ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ على نفسهم وقلبهم، وعقلهم وروحهم، وسرهم الأجلى، والأخفى والغالب ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ بأن يلاحظ التنزيه أيضا؛ فتغلب عليه الزندقة؛ لعدم المربي، أو وجدانه وعدم الانقياد إليه ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ على سبيل ما هي الكائنات عليه من الاتصال المعنوي ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، لاستبداده بمفاتح الغيب المجهول. فالله هو الولي، وهو يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير. ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، الباء: هي أول مراتب الأعداد، فتدل على التعدد والانتشار، وقد اتصلت الباء بهاء الهوية المطلقة، فتدل على اندماج الكثرة في التنزيه، وهو المعبر عنه بشهود الكثرة في الوحدة.

وثم مقامات أخر؛ وتسمى:

- شهود الكثرة وحدة.
- وشهود الوحدة كثرة.

---

(1) "الذاتية" ساقطة من ع/ 2.
(2) في خ: العجمي".
(3) في خ "أي العاشقية".
(4) في ع/ 3 "لا يزاويله".
(5) في ع/ 3 "الحقيق".

- وشهود الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة.

وبينها فرق، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران/ 7].

[7 - من فتوحات الكتاني]:

وهاهنا لغز: ساعدنا الدهر في بعض الأوقات بالجمع مع غريب في بعض الحضرات، ملتحفا برداء الواحدية، مؤتزرا بإزار الصمدية، متمنطقا بمَنطقة الجبروت، منتعلا بنعال الملكوت، معمما بأنوار الأحدية، مشتملا بمعاني الفردية. فأومأ بالتسليم، وأشار إشارة النديم، فحييته بالجواب كأني ثمل بقهوة الشراب، فزمزم حادي المجلس، وفاح عرف معنى النرجس، فأحضرت الأكواب، مملوءة بثغور الرضاب، فآونة تبدو كالأكؤس[1]، على حسب الأنفس، وطورا تبدو كالقوارير، على شكل المنابر، ووقتا كالأباريق[2]، مصطفة على مجرة النماريق، وحينا كالسوار، وساعة كالمزمار. وما ذلك إلا للتشكل في مقام التنزل، ممزوجة بزنجبيل ﴿صٓ﴾، وكافور ﴿قٓ﴾، في سر ﴿نٓ﴾.

فلما ضربت دياج الغدائر، على كهف غار الدوائر؛ انتزع السر للمحادثة، والروح للمباحثة، والفؤاد للكفاح، والعقل للرواح[3]، والنفس للمنازلة، في قاب قوسي مهاهه المغازلة. وقام وُرْق الحضرة ساجعا، وباز نغمات الأوتار راتعا، فلبى وحمد وكتب: أيها التبيان[4]، المقرو بخضاب البنان[5]، الفاتك بالسنان، القائم بالجنان: ما الوصف والوسم، والاستقرار والاسم؟، وما الطواسم[6] والحواميم، والبرنامج والأنموذج والرقيم، والبدء والختم، وعنقاء[7] مُغْرِب الرسم، والاسم الباطن؟، ومعنى الخازن؟.

فانتصب على ساق بنعت ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة/ 29]، وكتب: «الحمد لي[8] من حيث الاصطحاب، والصلاة والسلام على جوهرة حسن النقاب.

---

(1) في ح " الكؤوس".

(2) في ع/ 2 "الأبارق".

(3) في ع/ 3 "للراح" كذا في ح.

(4) في خ التبان.

(5) في ع/ 1 "التبيان".

(6) في ع/ 2 "الطواسيم".

(7) في ع/ 1 "عنقا".

(8) في خ " الحمد لله لي ".

أما بعد؛ فإن الطواسم والحواميم، والبرنامج والأنموذج والرقيم، فقد يعثر عليه الأدباء، ويتنسم عَرف أريجه الغرباء.

وأما البدء والختم: فالأول والآخر والظاهر والباطن.

وأما المستقر: ففي المنزل السادس من[1] القمر، من حيث إلا الدوائب والخضاب، والسوالف والغدائر والدولاب!».

فقلت: لم أفهم بالرمز والتلويح، بل ولا بالبيان والتصريح؟.

فإذا بطير أخضر، قد طوق بالتضاد[2] ما صيره عنقاء أشقر، ونور عرشي وقاف فرشي. وقد قلدَته نجومَها[3] الجوزاءُ، وطوقته حليها دراري السماء. فتلى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان/ 1]، وعلى الجناح الأيمن: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص/ 46]. وعلى الجناح الأيسر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء/ 60]، فكان الرسم والاسم والفدلكة والوسم ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات/ 164]، وعلى خاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص/ 1] ، وعلى عينه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة/ 5] ، وعلى باطنه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل/ 6]. وعلى ظاهره: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح/ 1] ، بل إنسان عين الأنموذج[4]، ونقطة باء سر[5] نور رقائق الهوية على نور الإنسانية العبدية، الملثمة بمعاني الغزليات، الساري سرها في مباني لوح المظاهر الحرفية، ومراتب عوالم الإمكان الفرقية، الدالة عليه في سائر[6] الحضرات، المتمثل بصورة أنموذج: «خلق الله آدم على صورته[7]»[8].

(1) "من" ساقطة من: ع/ 3 كذا في حَ.
(2) في ع/ 2 "بالتضداد.
(3) في ع/ 1 بخدها. وفي ع/ 2 نجواها.
(4) في ع/ 2 أنموذج.
(5) "سر" ساقطة من ع/ 1 و حَ.
(6) في ع/ 1 "في جميع" كذا في حَ.
(7) في ع/ "خلق الله أدم على آدم على صورته".
(8) تقدم ذكره.

فأنا خريدة العجائب، وجزيرة الغرائب[1]، وكهف الذات، وعين الأسماء والصفات، منهل[2] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم/ 1]، وجدول: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى/ 1، 2]، ومحيط ﴿يسٓ﴾ [يس/ 1]. «فإذا أنا بموسى؛ فلا أدري أرفع قبلي أم كان ممن استثنى الله»، «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة[3] ولا فخر»[4] فلا أفتخر بهذا؛ بل شنشنتي ودأبي[5] ومسقط رأسي: «أوتيت جوامع الكلم»[6].

«فوضع يده بين كتفي، فلا زلت أجد بردها فعلمت علم الأولين والآخرين». وهي إلى الختام... والسلام.

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه بمنه وكرمه

---

(1) في ع/ 1 "وفريدة الغرائب "كذا في ح.
(2) "منهل" ساقطة من :ع/ 1 . وفي ع/ 3 "ومنهل" بزيادة "الوا".
(3) يوم القيامة" ساقطة من ع/ 1 و ع/ 3.
(4) "مسند الامام أحمد بن حنبل 1/ 5.
(5) "ودأبي" ساقطة من : ع/ 1.
(6) صحيح مسلم رقم 533 - أحمد المسند 2/ 34.

الكشف والتبيان
عمّا خفي عن الأعيان
من سرّ آية
(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)

تأليف

الشيخ الأكبر أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المتوفى سنة ١٣٢٧هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور إسماعيل المساوي



وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

□ **وسميته: الكشف والتبيان[1]:**

1) نسيم الصبا عنعن وسلسل بنا فح التـ
ـتحيات من مضنى تغلى على الجمـر

2) وأنجـد في التطلاب يقـبس مشكاة
بـجذوة أنوار الـمـواهب فـي القـفـر

3) وهـام على الأكوان عـلـه يظفـرن
بأوكار عـنقا الغـرب مهمـه السير

4) ولاقى عـلى الأوطان أهـوال عاشق
عـرتـه أهـاويـل عـلـى الـطـي والـنـشـر

5) وكابد غـبر الأرض يصـطاد، ما عنا
،، ما خـانه، ما كان يعلـم من صبـر

6) وجاب سـباريت السباسب وهـو في
الـسـباريت أبري من قطاربـة الـحجـر

7) ووجـه بالأخطار من حيث قد بدا
التشـاجر في الأسما وأين ذووا الـسيـر

(1) تنظر القصيدة محققة في أطروحتنا السالفة الذكر.

8) فما لهم في البحر أيد طوائل
يغوصوا بها كيما يروا معدن التبر

9) ولا لهم في البحر علم به يخو
ضوا لجته العظمى قتب الدهر

10) ولو سبروا فلكا تسير بهم على
متون ظهور أو بطون على البحر

11) ولو جر ليل الهجر إذ عسعس النوى
وعرس جند الوهم في غضون الفكر

12) وأرخى زمان البين راووق فرقة
فأقصى قلوبا عن مشاهدة السير

13) ألا إن بحر الفضل خضناه لانكن
ـني عنه ولا نوري، وقد فاض بالدر

14) وقد أبت من بحر العجائب ناشرا
غرائب ما أوتيت من قاموس الوتر

15) وأسأرت من خلفي بسؤر بقية
وأوردته العلم اللدني بلا مخبر

16) وخضت بحارا طافيات زواخرا
برشحتها هامت خلائق بالسكر

17) وشاهدت أسرارا تنوء بها
عقول أهل الحجاب الصاديات من الخير

18) وقربني ربي وأطلعني على
مكامن أسرار وقرب لي سيري

19) وعلمني العلم المصون، وكان لي
وأصدرني للكون أورد ذا إصري

20) فمـن رامنا يلقى المعارف تنجلي
علـيـه وألـطـاف الـعـوارف والبـر

21) يـردد مـا نـال الأوائـل أو يـزيـ
ـد من منح الوهـاب ذي الطول للدهـر

22) مـربي البرايا جل أمـر إلـهـنـا
لقد عجز الإرسال عن إحصاء الشكر

23) لك الحـمد رب العالمين كـما انبغى
لسلطـانك القهـري في الخلـق والأمر

24) بألـسـن جند العالمـين وأنواع التـ
ـحاميـد أثـنـي يـا إلـهـي ومـا أدري

25) بـألـسـن أمـلاك، وألـسن أرسـال
وألسن صحـب، أحـمد الله بـالسيـر

26) وألـسـن أمـداد وألـسـن أعـوان
وألـسـن أجـراس تـنـوء عـن الـحـصـر

27) وألسـن أضعاف الكمال المحمـدي
عـلـيـه صـلاة الله في الدهـر للدهـر

28) وآله أهـل الورث ما قد تماسـكت
بهم أحبل الأكوان في الصدع والكسر

29) فيا ربنا رب العـوالم عـجلـن
مـآريـب أوطـانـي فـي الـعـسـر

30) وواجهـنـا بالألطاف في كل حـالة
وبادهـنـا بـالـخـيرات يـا مـالـك الأمـر

31) وفرج غمـوم الخلق والبسنا جلباب
المراحم والإسـعـاد والـنـجـاة واليـسـر

32) وسلـم لنا الأزمان يا سـلام من الـ
ـحـــوادث والأوحـال والـهـم والـجـور

33) وطهـر قلوبا من قواطــع أسرفت
على الملك يا قـدوس يا كاشف الضـر

34) إلى وطـن الأحباب مركز أهلـــي
ومسقط رأس الفضل والمجد والفخـر



والصلاة والسلام على طور التجليات وآله وصحبه، ملء ما علم، و عدد ما علم، وزنة ما علم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة/ 2-7].

[تمهيد: أسباب تأليف الكتاب]

اعلم أنه رفع إلينا سؤال يستكشف عن سر قول ربنا العظيم: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى/ 52]. فقلنا مستعينين بالله العظيم، ومستمنحين الرؤوف الرحيم:

اعلم أن ظاهر هذه الآية مشكل، وهي وما شاكلها من الآي القرآنية المقتضية لنفي الإيمان عن أكمل الأنواع الإنسانية وأطهر الذوات الآدمية وأنزه العقول القدسية والأعلم بالله من جميع الخليقة الربانية، والمقتضية لنفي دراية الكتب؛ من المتشابه في حق الحضرة المحمدية، ومن المعمى في جانب الجلالة الأحمدية، فلا ينبغي الخوض في ذلك إلا لأهل الكشوفات العرفانية، ومظاهر الحقائق التنزيلية، السابحين بسفن النور الإلهي في أبحر الغوامض.

وأما من عداهم فحسبه أن يقرأها كما أنزلت، ويكون معناها عنده هو تلاوتها، وليكتف بتلاوتها عن تطلب معانيها؛ فإن السلامة مقدمة على الغنيمة،

وإن استكشافه عن معانيها ممن يسر من أهل الإرث المحمدي ربما ما يحصل له بسماع ما يخل بالرتبة المحمدية، لا يفي إثمه وعقابه وسوء مغبته بثواب ما يحصل من تطلب مغزاها.

ولكن لم يكن بد من ذكر فذلكة تنبئ عما وراءها، فالحق أحق أن يقال، وكتمان العلم مذموم، وبذله لمستحقيه أكيد محتوم، سيما العلم الذي فيه حفظ العقائد، وحياطة النور الإلهي المودع في الضمائر، وليس إلا بحفظ الآداب مع جانب الرسالة. ولننقلب فنقول: ولنقدم بين يدي نجواي مقدمات:

مقدمـــــــات

المقدمة الأولى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[منزلة الحقيقة الأحمدية في الوجود]:

اعلم أن الحضرة الإلهية لما دبرت بمقتضى الاسم "المدبر" في عالم البطون وجود هذا العالم، اقتضى جلال الربوبية - بحسب ما أعطاه الاسم المفصل - أن لا يكون هذا العالم الخارج على نمط واحد، ونسق واحد، بأن يتساوى في الأفضلية والأعلمية، والأكملية والأخيرية، والأسبقية والأخيرية، والجمعية والفاتحية والخاتمية، بل اقتضى أن تكون الأشياء بحسب التفصيل والبسط، فتكون الأشياء على مراتب ثلاثة: أدنى وأعلى وأوسط. حتى يكون من هو في الحضيض إلا وهو لا يقدر على تلقي الكمالات من محالها، ولا قدرة له على استيفاء اقتطاف الحقائق من جرثومها وأصلها، بل يكون من الزمنى الذين لا يقدرون على شيء، إلا أنهم بالمكانة القابلة لتلقي ما يفاض من أي جهة ورد.

وكذا الطرف الأعلى: يقتضي حاله أنه مهيأ لأن يقبل الفيض والتجلي، وله استعداد، لكن عند السبر والتقسيم وجدت قابليته موقوفة على برزخ آخر؛ دائرته أوسع من دائرته، وعلمه أفسح من علمه، وقابليته أوسع من قابليته، لما أن القوابل تابعة للنشآت. فكلما كانت النشأة أكمل والذات أطهر وأشمل والاستعداد أحق وأشرح وأقبل؛ كانت القابليات أتم وأعون على قبول الفيض، فكان الحضيض إلا وبدا لزمن عن التلقي بنفسه وإن كان قابلا له حين التجلي مراتب من عرى الأنبياء والرسل والملائكة، وكان الأوج والطرف الأعلى هو

دوائر الأنبياء والرسل والملائكة عليهم السلام، ومن ألحق بهم من الورثة.

فلما وجدنا بطريق التقسيم هذين القسمين، والطرفين غير مستقلين بأنفسهما في التلقيات، نظرنا فوجدنا الاسم الحكيم والبديع والمعطي والمصور والعزيز والمقسط الجامع، جعل ذلك الطرف الأوسط الذي هو أحد الأطراف الثلاثة في القسمة العقلية، هو: الحقيقة الأحمدية، وجعل لها علقتين ونسبتين ووجهتين ودولابين، بل علقات ثلاث، ونسب ثلاث، ووجهات ثلاث، ودواليب ثلاث. بل علقات أربع، ونسب أربع، ووجهات أربع، ودواليب أربع. فالعالم كله بمنزلة الطرفين، وتلك الحقيقة الأحمدية بمنزلة الطرف الوسط.

وكان هذا الطرف على حد عظيم من الاعتدال، لا تتغلب عليه الطبائع، ولا تفعل فيه العناصر، ولذلك اختير للإفاضات. فكانت إحدى وجهاته الثلاث، بل الأربع، انبسطت منها خيوط من نور على قابلية كل فرد من أفراد أهل الدائرة السفلى، على اختلاف طبقاتها، وعلى أهل الدائرة العليا على اختلاف مكنها؛ فأعطت قوابلها أولا للانقياد حتى أقرت بربوبية الحق جل أمره، ضرورة أنه: أرسل رحمة للعالمين بنص المتواتر القرآني. والعالم كل دوائر هذين الطرفين . والفرض أنهما مجموع العالم. ومن المقرر أن نوره المحمدي أول موجود أوجده الحق سبحانه .

وصل: [الحقيقة الأحمدية رحمة للعالمين]:

ولم يرد في القرآن الكريم تخصيص هذا النص بأنه: إنما أرسل رحمة للعالمين بعد ظهور جسمانيته في هذا العالم، فيفيد انقطاع مادته عن العالم قبل بروزه. أو بعد أن انتقل عنه إلى ربه، انقطعت إرسالاته للعالمين، لم يرد في القرآن نص على هذا، فمن ادعى التخصيص فهو مفتات على القرآن.

فيفيد هذا أنه: من يوم أنشئت العوالم العلوية والسفلية، الكلية والجزئية، البسيطة والمركبة، وهو مرسل "رحمة للعالمين"،كما أنه من يوم سافر من

هذه العوالم وهو مرسل "رحمة للعالمين" .فلم تنقطع مادة إرساله عليه السلام لا في أول العالم ولا في وسطه، كما أنها لا تنقطع مادته عنهم يوم القيامة، ولعلم الأنبياء والمرسلين بأنها لم تنقطع مادته عنهم من عواليه في الموقف إذا عصف الصراط بهم فنادوا: وا محمداه وا محمداه. فهو صريح في أن رسالته لم تنقطع عنه ولا عن متبوعيه من أهل العالم العلوي والسفلي، وأنه قطبهم ومددهم، ونقطة كمالهم الصوري والمعنوي، والذاتي والصفاتي.

على أن مدعيها بعد أن شد الرحلة إلى ربه وانتقل لعالم البقاء الصرف، كأنه يصرح بأنه لم يبق رسولا بموته، بل انقطعت عنه الرسالة. وهو هجوم على ما لم يرد به كتاب ولا سنة، فالنبوة والرسالة لا تنقطع بالموت، بل ولا بدخول الجنة، لأن الناس تحتاج هنالك للمدلين على الله سبحانه، فلا يستغنى عن العلم حتى في الجنة، وخصوصا أكبر العلماء بالله وبأحكامه وبآدابه؛ وهم: الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وخصوصا أحكم العلماء وأعلم الحكماء، روح العالم والنفس الناطقة فيه كله: الحقيقة المحمدية .

استطراد:[رد على من يزعم أن الرسالة والنبوة تنقطع بالموت]:

وهذه المسألة من جملة مسائل نسبت للإمام الأشعري وهو منها بريء، وهو يقول: إن سيدنا محمد ليس بنبي في قبره ولا رسول بعد موته. وهي من جملة فصول اشتملت عليها الرسالة المسماة بـ: "شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة" للإمام القشيري. وقال في جواب هذه المقالة: «إنها بهتان عظيم، وكذب محض، لم ينطق به أحد منهم، ولا سمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم، ولا وجد ذلك في كتاب لهم، وكيف يصح ذلك عنهم وعندهم أن سيدنا محمد ﷺ حي في قبره؟!. قال الله تعالى:﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران/ 169]، فأخبر سبحانه بأن الشهداء: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران/ 169]. والأنبياء أولى بذلك؛ لتقاصر رتبة الشهيد الكافة عن درجة النبوة، قال الله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء/ 69]، فرتبة الشهداء ثالث

درجة النبوة».

ثم ذكر في " الرسالة" أخبارا وآثارا تدل لذلك. ثم قال: «فإذا ثبت أن نبينا ﷺ حي، فالحي لابد أن يكون عالما أو جاهلا، ولا يجوز أن يكون النبي ﷺ جاهلا، يقول الله تعالى في صفته: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم/ 2]. وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة/ 285]؛ فثبت أنه مؤمن، ورتبة النبوة رتبة الشرف وعلو المنزلة، وهو ﷺ يزداد كل يوم شرفا ورتبة إلى الأبد، فكيف لا يكون عارفا ولا نبيا، والرسول "فعول" بمعنى المرسل، ولا نظير له في اللغة؟!. والإرسال: كلام الله وكلامه قديم، وهو قبل أن خلق كان رسولا بإرسال الله، وفي حالته اليوم وإلى الأبد رسول؛ لبقاء كلامه، وقدم قوله، واستحالة البطلان على إرساله الذي هو كلامه» .

«ولقد سئل رسول الله ﷺ فقيل له: متى كنت نبيا؟، فقال: وآدم منجدل[1] في طينته[2]. وقال ﷺ: إني لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته. فإن قيل: فأين وقعت هذه المسألة إن لم يكن لها أصل؟. قيل: إن بعض الكرامية - ملأ الله قبره نارا، وظني أن الله سبحانه قد فعل - ألزم بعض أصحابنا، وقال: إذا كان عندكم الميت في حال موته لا يحس ولا يعلم، فيجب أن يكون ﷺ في قبره غير مؤمن؛ لأن الإيمان عندنا: المعرفة والتصديق، والموت ينافي ذلك؛ فإذا لم يكن له علم وتصديق لا يكون له إيمان، ومن لا يكون مؤمنا لا يكون نبيا. وما ألزموه باطل؛ لأن عندنا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله حي يحس ويعلم، وتعرض عليه أعمال أمته، ويبلغه الصلاة والسلام على ما بينا. ثم الأشعري لا يختص بقوله: إن الميت لا يحس ولا يعلم. بل

(1) منجدل: أي ملقى على الجدالة وهي الأرض، ينظر: النهاية والبداية، ابن الأثير 1/ 248.

(2) أخرجه: أحمد في المسند: 4/ 127، البخاري في التاريخ الكبير 3/ 68 ، الطبراني في المعجم الكبير 8/ 252-621-630.

البيهقي في دلائل النبوة 1/ 80، ابن سعد في الطبقات 1/ 149 والبغوي في شرح السنة، 13/ 208.

جميع الطوائف - ما عدا الكرامية - عليه، وجواب الأشعري كجواب جميع الناس، وأحسن من هذه الاستدلالات ما قدمته» .

وصل: [مصادر فيوضات الحقيقة الأحمدية]:

ثم هذه الوجهة التي انبسطت منها أشعات من أنوار إمداداته لها نسبتان:

أ. **نسبة إلى الطرف الأعلى**: وبها كانت تفيض على دوائر الأنبياء والرسل عليهم السلام قبل ظهور جسمانيتها، وقبل وبعد، ومع ظهور روحانيتهم وجسمانيتهم عليهم والسلام، وهي إحدى الوجهات الأربع.

ب. **ونسبة إلى الطرف الأسفل**: وهي إحدى الوجهات.

والوجهة الثالثة: تفيض على نفسها من الحق جل جلاله، إذ هي شاووس الحضرة، والحجاب الأعظم، وهذه الوجهة ليس ثم من يشرب منها، ولا من يساويها في الأخذ عنها، ولا من له تلك القوة حتى يقدر على هذا الوسع الإلهي بأن يسقى بوجهة أهل الدائرة السفلى ويسقى بوجهة أهل الدائرة العليا ويسقى بوجهة نفسه الكلية .

والوجهة الرابعة: هي الجمعية الكمالية الخلافية عن الله جل شأنه في أرضه وسمائه، التي أعطته وأوجبت له هذا الوسع الرحماني.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

وصل: [معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾]:

وهذه المقابلة الأكملية للعالم العلوي بدوائره والعالم السلفي بمراتبه وطبقاته؛ هي في الحقيقة معنى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ 107]، فجعل نفسه رحمة، وجعل الرحمة عينه، فلم يجعله موصوفا بها فقط بأن تكون من صفاته الغالبة عليه.

وصل في المقدمة الثالثة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[من فتوحات النبي عليه السلام]:

وإيتاء مفاتيح هذه الوجهات الأربع يورث من العلم بالله تعالى ما لا يمكن

معه جهل ولا تلبيس ولا وسواس ولا خاطر، فلهذا كان سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات أعلم خلق الله سبحانه على الإطلاق؛ وهو قوله: «أنا أعرفكم بالله»[1] .

نكتة: [فضل أنواع فتوح العلم]:

ثم هذه أنواع فتوح العلم هي المشار لها بقول القرآن الحكيم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح/ 1]، فالفتح المبين الظاهر هو: إيتاؤه أنواع هذه الفتوح الأربع، ويكفي من ظهورها أن كانت سبب أتمية أكملية المكانة المحمدية عند الخلق، وإظهارها عندهم، وإظهار الحق جل أمره لعبيده أنه: السر الجامع والنور الساطع والنجم الثاقب، فبعد أن وجدنا الأسماء الإلهية فصلت مراتب الأكوان وجعلتها على أنماط عديدة؛ بأن جعلت الطرف الأسفل والطرف الأعلى. ولما نظرنا لا بحسب الأدلة ولا بحسب الكشف؛ لم نجد تلك العُلقة الوسطية ولا النسبة الجامعة بين طرفي العلويات والسفليات إلا هذه الحقيقة الأحمدية؛ فكانت هي المظهر الأكمل في الملك، والمجلى الأوسع، والمرآة الجامعة، والمنزه الأرفع.

إلا أن الرتبة الصالحة لها في نفسها تسمى بالحقيقة الأحمدية، فهي إحدى وجهاتها الغيبية. ولم يتيسر السقي منها إلا لأفراد من العالم، والوجهة الجامعة بين الطرفين تسمى بالمحمدية؛ لما أن معاني الحمد كثرت منها فسميت بما قام بها. وهذه الحقيقة المحمدية لها شعبتان:

أ. **شعبة تسمى بالعقل الأقدس**: وهي مجلى ما كان ولازال يفاض على دوائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

ب. **وشعبة تسمى بالنفس الأطهر**: وهو محتد ما كان يلقى على من عداهم. ثم هذه الشعبة لها شعب لا بحسب المفاض عليهم ولا بحسب المفاض منه -

---

(1) ينظر صحيح البخاري ، كتاب :بدء الوحي، رقم الحديث: 13، وأيضا: كشف الخفاء، العجلوني رقم الحديث : 607.

وهو الحضرة الأسمائية - ولا بحسب المفاض منه؛ الذي هو هذه المرآة الكمالية الإحاطية بالمراتب الكونية، إذ هي ذات قلب وروح، وسر أجلى، وسر أخفى، وقالب، ويدين ورجلين، وعينين وسمعين، ولسان وشم وذوق...

نكتة: [علامات من كان من الذات المحمدية في رتبة من الرتب]:

وكل قوة من هذه القوى لها رجال يستمدون منها يسمون بأسماء، ومن هاهنا ما دام العالم بالله تعالى لم يعرف أين هو من الذات المحمدية، هل اليد أو الرجل أو السمع أو البصر أو الشم أو الذوق أو اليمين أو الشمال أو القلب أو السر أو الروح أو النفس أو العقل؟، وهو ليس من الله جل حكمه على بصيرة من أمره، وكل من كان من الذات المحمدية في رتبة من الرتب له علامات تختص به، وليس المحل محل بسطها لما أنا ليس لنا فراغ كبير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

وصل: [إمدادات الحقيقة الأحمدية ووسطيتها بين العالم والله عز وجل]:

فمن أحاط بهذا خُبرا، وتيقنه وتحققه، وكوشف به؛ علم أن العالم من يوم كان وهو ذو أطراف، ومن يوم كان وهو لا يستغني عن الإمداد، فإذا من يوم كان والإفاضات المحمدية والعلاقات المحمودية والنسب الأحمدية والوجهات الحامدية غير مقطوعة عن العالم ولا مجذوذة عنه، بل ولا مقطوعة عن ذلك الواسطة بيننا وبين الله سبحانه، وهو عين القول بأن رسالته تقدمت على العالم وتوسطته وكانت معه، وستبقى بعد الحلول بدور القرار.

ولا مرية أنه لما كانت الحقيقة الأحمدية 'لولاها لم تخرج الدنيا من العدم'[1]؛ وكانت متقدمة على العالم بباطنيتها كما تأخرت عن العالم

(1) هذا شطر من بيت بردة الإمام البوصيري وهو في الحقيقة الأحمدية ، يقول البوصيري:
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
ديوان البوصيري، ص: 192.

بجسمانيتها، كما قال: «نحن الآخرون السابقون»، كانت هذه الكمالات لا توجد في ذات بغير العلم التام الواسع، والمعرفة المتعلقة بمراتب الموجودات - أسفلها وأعلاها - حتى يصح له الإمداد، ويمكن أن يفيض على العالم الإفاضات.

وإلا؛ فإن لم يصاحبه علم كبير تام يتعلق بالأكوان أجمعها؛ فلا يمكنه عموم الإرسال" رحمة للعالمين"، وهذا حصل له قبل بروز العالم، ضرورة أنه أول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العماء، ونبيء إذ ذاك "فكان نبيا"، وليت شعري هل النبوة أن أخذت من النبو - وهو: الارتفاع - إلا صيرورة ذلك الشخص المهيأ للإنباء عن الله سبحانه أعلا من سائر الموجودات؟!. وهل يكون العلو والارتفاع والشفوف على العوالم بلا علم؟!. لا، لا ،لا. ومن طلب الدليل على هذا فليخض في ظاهر قوله عليه السلام: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»[1] ، فإن النبي هو ما ذكرناه، أي: كنت مرفوعا وآدم بين الروح والجسد، أي: كنت أعلم النوع الإنساني، وكنت أطهر الذاوات الآدمية.

وهل تكون الطهارة بدون التحاف بحلل العلم والمعرفة الحقيقية؟، إذ العلم بالله على سبيل الشهود والعيان هو الذي يطهر الذوات من ظلمات طبيعتها ومقتضى ما أكن في أصل نشأتها، مما يثبط عن هذه الرفعة التي أخبر بها في قوله: "كنت نبيا". ومن قال غير هذا يلزمه أن يقول: لم يكن نبيا -أي: مرفوعا على العالم - وليست الرفعة إلا بالعلم.

فإن قلت: النبي هو: المخبر عن الله سبحانه، وكيف صح إخباره ﷺ قبل أن يخلق وقبل وجود من يخبرهم؟!.

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل 4/ 66، دلائل النبوة 1/ 85، المستدرك، الحاكم: 2/ 608-609 قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد. وينظر كذلك: صحيح الترمذي، رقم الحديث: 2870 وقال الترمذي في صحيحه: حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني.

قلنا: أجاب الشيخ الأكبر(1) عن ذلك بأن رسول الله ﷺ: كان يعرف ذاته بذاته بإذن الله تعالى في غير مجلى، قبل أخذ الميثاق، وهو الحال التي كان فيها ﷺ يعرف نبوته، وذلك قبل خلق آدم، كما أشار إليه الحديث المذكور. فكان له ﷺ التعريف في ذلك الحال، فإن النشأة الإنسانية كانت مثبوتة في العناصر ومراتبها إلى حين وجودها، لكن من الناس من أعطي في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته، إما على غاياتها بكمالها، وإما بأن يشهد صورة ما من صوره؛ وهي: عين تلك المرتبة التي له في الدنيا فيعلمها ليحكم على نفسه بها. وهنا شاهد ﷺ نبوته.

ولا ندري؛ هل شهد صور جميع أحواله أم لا؟. قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: 12]، فما من فلك من الأفلاك التسعة إلا وللإنسان صورة فيه؛ فيحفظها ذلك الفلك إلى وصول وقتها، فوجودها كوجود الصورة الواحدة في المرايا الكثيرة المختلفة الأشكال من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر، فتختلف صور الأشكال باختلاف المجلى والعين واحدة. فلذلك قلنا: إنه ﷺ كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى بإذن الله تعالى.

وإذا كان بهذه المثابة؛ لم تؤثر فيه المراتب إذا نالها. قال ﷺ وهو في المرتبة العليا: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(2)، فلم تحكم فيه المرتبة في كلامه. وإن أردت زيادة بسط بعد هذا، وأنه أوتي علم جميع الأكوان في أول ما خرج من بطنان العدم؛ فاسمع.

المقدمة الثانية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[وصول الإنسان الكامل دون غيره إلى الحضرة الإلهية]:

لتعلم أن هذه الحقيقة الأحمدية لما اقتضى التدبير الإلهي أنه لا يصلح

(1) الشيخ الأكبر هو: محيي الدين بن عربي الحاتمي.
(2) المستدرك، الحاكم، رقم الحديث: 4189.

للدخول على حضرة الاسم الجامع المتلقي عنه جميع الشؤون والمقتضيات كل من له حصة إنسانية، بل لا يصلح إلا من حاز حصص الإنسانية أجمع، وتفوق عليها باعتبار مراتب ما يتفاضل من أجله، وليس إلا الإنسان الكامل، فكان هو الذي صلح للدخول على الله تعالى مكافحة بدون أستار ولا براقع من أول هذا النشأ العالمي .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

وصل: [اشتمال القرآن الكريم على العلوم الضرورية للفيض]:

ولما علم الحق سبحانه هذا، وعلم أن المفيض على الأدوار الكونية لا بد له من علم المراتب الكونية وما يصلحها وما يردها إلى ربها ردا جميلا، وما يقطعها عنه، وعلم المبدأ والمعاد، وعلم الشقاوة والسعادة، وعلم تفاضل مراتب الكمالات، ومراتب الكمال في أنفسها، وعلم ما يشترك فيه الأنبياء، وعلم ما يختص به الرسل، وعلم ما يختص به أولو العزم من الرسل، وعلم ما شاركهم فيه، وعلم ما زاد عليهم في كل ما علمه معهم، وعلم ما انفرد به في خاصته. وكان مجموع هذا وما لا يكتنه كنهه كله، اشتمل عليه القرآن الكريم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

وصل:[نزول القرآن على الرسول عليه السلام في عالم الأرواح]:

فكوفح عليه الصلاة والسلام ثمة في عالم الأرواح بالقرآن الحكيم، فأنزله عليه ربه منه إليه بدون وساطية القوى الجبرئيلية، فضلا عن اللوح المحفوظ، فضلا عن الأملاك الأخر. إلا أنه لما شرفه بنزول القرآن عليه في عالم الغيب؛ استكتمه الحق سبحانه هذا السر، فأودعه في حماطة جلجلانه، وضرب عليه ستور أكناف الغيرة والعزة حتى لا يشعر أحد من الأكوان بهذا السر.

وبالضرورة؛ إذا نزل عليه القرآن الكريم؛ علم جميع ما فيه. إذ علم ما في القرآن بالتفصيل والحقيقة، لا يعلمه إلا الله جل جلاله وحده، ثم رسوله

العظيم، ثم الورثة على حسب تفاوتهم واستغراقهم في الحقيقة المحمدية. ويدلك - لهذا - أنه عليه السلام لما برز جسمه المحمدي لهذا العالم، وصار ينزل عليه جبريل نزولا ثنويا بحسب الوقائع والأحوال، كيف كان المحبوبية العظمى والمكانة الزلفى من الحق سبحانه. وشعشعانية أنوار النبوة والرسالة بالخاصية تعطي حرارة التفوق والترؤس بالله ولله ومن الله وإلى الله ، تنطقه بعض الأحيان. فكان يعاجل جبريل بالآي، فلاطفه الحق سبحانه بقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ 114]، أي: لا تعجل بتلاوة ما عندك من القرآن القدسي المسموع منا وإلينا، والمتلقى عنا وإلينا؛ فيفشى السر المكتوم من ﴿قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾؛ أي: وحيا ثانيا، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه/ 114]، حيث اقتضى الحال الإنزال مرتين:

- مرة في عالم الأرواح.

- وهذه المرة في عالم الأشباح؛ لحكم وأسرار. كما لم ينزل دفعة واحدة لتلك الأسرار أيضا.

وصل: [الأسرار الموجبة لإنزال القرآن مرتين]:

ولنذكر السر في عدم إنزاله دفعة واحدة؛ فمنها:

الأولى منها: مراعاة ميزان العدل لميزان الطبيعة، فلو نزل دفعة واحدة على الخلق لكان يثقل عليهم، ولما نزل مفرقا، لا جرم نزلت التكاليف كذلك منجمة، فكان تحملها أسهل. كما روي عن بعض الصحابة أنه قال: «لقد أحسن الله إلينا كل الإحسان، كنا مشركين، فلو جاءنا رسول الله بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت علينا التكاليف، فما كنا ندخل الإسلام، ولكنه دعانا إلى كلمة واحدة، فلما قبلناها وذقنا حلاوتها؛ قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة، إلى أن تم الدين وكملت الشريعة».

الثاني منها: أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجما، ثبت كونه معجزا، فإنهم لو قدروا لوجب أن يأتوا بمثله منجما مفرقا، فكان في ذلك غاية

التنكيث والتقريع والتعجيز لهم.

الثالث منها: فيه تعليم كيفية إلقام الخصم واستدراجه إلى أن يسقط ما بيده؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من يحيى عن بينة.

الرابع منها: إظهار خاصية النبوة في عالم الأرواح؛ وهي: كمال العلم الاستقصائي بالمراتب الكونية، ومعرفة الله تعالى بما ينبغي لجلاله وجماله وكماله. وإلا ؛ فاستنباء فرد من الأفراد بدون تدثره بدثار العلم الإلهي الوهبي العندي اللدني ليس باستنباء، بل مجرد ولاية الشخص تستدعي تلبسه بحلل المعارف والأسرار. حتى شاع وذاع: «ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا وعلمه»، فكيف ينبأ سيدنا محمد في عالم الأرواح، ولا يؤتى خاصية الإنباء التي هي: العلم الكامل بالله تعالى، ذاتا وصفة وفعلا واسما؟!، هذا يؤدي إلى تعطيل مؤدى هذه المادة التي هي: النبي، ويقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أطلقها في قوله: «كنت نبيا»[1] على غير مسمى، فكيف وهو الصادق المصدوق الذي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم/ 3]؟.

الخامس من تلك الأسرار: تخصيصه بحقيقة النبوة؛ وهي: الرفعة، ولا يكون مرفوعا حتى لا يبقى بينه وبين الله تعالى واسطة، وهو عين إثباتنا أنه نزل عليه القرآن مرتين:

- مرة قبل الواسطة الجبريلية، وهذا من الأسرار فيها.
- ومرة بتلك الوساطة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

وصل: [تلقي الرسول عليه السلام]:

قد كوشف لي حال كتابتي لهذا الموضع أن مركز دائرة الأنوار سيدنا محمدا عبد الله رسوله كان بعد بروز جسمانته لهذا العالم. وكان يستفتى في

---

(1) تقدم ذكره.

النوازل والمسائل العلمية، وكان يعلم بإعلام الله سبحانه له وما أودع في سره من القرآن المكتتم حكم الله تعالى فيها.ومع ذلك كان يتأدب مع عالم الحكمة - أي: التأسيسات التي أسستها القدرة الربانية في العالم - فلا تتخطى ولا ترفع، فكان يراعي ما رعاه ربه ويثبت ما أثبته، وذلك شأن العالم المؤتى التفصيل في التجليات، وليس ثمة إلا الإنسان الكامل، فكان في وقت إنزال جبريل عليه الحكم في الواقعة من الوجه العام.

كان سيدنا محمد يؤخذ عنه فيتلقى ذلك الحكم من الله تعالى من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه، لأن كل نبي من الأنبياء والرسل اكتنفت ذاته القدسية ثلاث دوائر:

* دائرة النبوة.
* دائرة الرسالة.
* ودائرة الولاية.

ودائرة الولاية هذه: لا يحتاج فيها لوساطية متوسط في تلقي شيء من الأشياء، وهي الوجهة التي علم من قبلها "الخضر" العلم اللدني: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف/ 65]، وحجر على الكليم -عليه السلام - العمل بمقتضى دائرة ولايته هو إذ ذاك؛ لحكم أيضا يطول شرحها، ففي حالة اشتغال دائرة نبوته عليه الصلاة والسلام بالتلقي عن جبريل عليه السلام في تلك اللحظة نفسها يشتغل بالتلقي في حضرة ولايته من الحق جل جلاله.

نكتة: [أفضلية سيدنا محمد عليه السلام على سيدنا جبريل]:

ولذلك كان يأخذه الغط كما يأخذ المرأة عند الطلق لما يفاجئه من صولة الخطاب الثقيل، المتلقى عن الحضرة الربانية من الوجه الخاص من دائرة الولاية. وتصبب العرق، والسقوط إلى الأرض، والثقل الذي تسقط من أجله الناقة، وكادت الصحابية أن يرتضى فخذها من الثقل. هكذا أشهدني ربي في

حالة كتابة هذا المحل، وإلا لم يكن مجمع الحقائق الإنسانية يتضاءل من رؤية جبريل عليه السلام أو يتضعضع ركنه من أجله.

ولو قيل بالعكس؛ لاتجه. فإن جبريل عليه السلام، إنما لم يكن يأتيه دائما في الصورة الأصلية لئلا يظهر عليه بالتعاظم والتفاخر، ولا يليق ذلك بالشرفة أن تفعله مع الملوك، ولا يتشكك في هذا مع إجماع أهل السنة على أفضلية سيدنا محمد على سيدنا جبريل عليه السلام، ومن خالف في ذلك؛ لُمز وطُرد وجهل مذهبه. فإن المعتزلة بعد أن فضلوا الأملاك على الأنبياء والرسل، استثنوا الحضرة النبوية من التفضيل؛ ففضلوها على جميع الأنبياء والرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام.

ويلزم من أفضلية سيدنا محمد على سيدنا جبريل: أنه أرقى منه في العلم، إذ التفاضل ليس إلا بهذا، والقائل بأعلمية جبريل على سيدنا محمد عليهما السلام، يلزمه ما لزم من فضل جبريل على سيدنا محمد.

إلا أنه بقي أن يقال: ولأي شيء كان يرجع في جميع المستفتيات إلى جبريل، مع أنه كان يعلم ذلك؟.

قلت: الجواب عن هذا هو الجواب عن نزول القرآن مرتين، وقد أسلفناه مفصلا بلسان يفهم ويعقل؛ فإن الله لما استكتمه البَوْحَانَ؛ أخذ عليه في بساط المباسطات والإدلالات عدم التظاهر بما يقتضي علم ذلك حتى لا يتزحلق جبريل عن رتبته، أخذ عليه العهد في أن لا يخرج عن افتاءات سفير من السفرة يكون بيننا، كما أخذ عليه العهد أن لا يعلن بذلك، فما أعلن ولا خرج عن دائرة جبريليته، ولذلك قيل له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾..[طه/ 114]، حتى لا تسأل تقديم ما أخر الله، ولا تأخير ما قدم، ولا إظهار ما أبطن ولا إبطان ما أظهر. بل الق الصماخ ما تواجه به، فقد أردنا أن لا يبقى فرد من أفراد العالم إلا واحتمى بحماك، ودخل تحت ألوهيتك، وانخرط في سلك كنفك .

فذلكة: [مكانة الحقيقة الأحمدية في الوجود]:

فجبريل في صورة السادن، وميكائيل يتلقف الأحكام والصدمات من أجل

تبليغ ما أودعه إلى أن يوصله إليك، وإسرافيل يستخدم في البلاغات المتلقاة عن اللوح، واللوح المحفوظ مظهر أمانات سرك والقلم الأعلى في النيابة عن تبلبل لسانك، والسماوات تبكي على أن لم تكن مسقط رأسك كما كانت الأرض، والأرض مع وقوع العصيان عليها تزدهي وتفتخر على أمكنة السماوات مع طهارتها ونزاهة بقاعها حيث لم يطل مكثك فيها، والليل يتطاول على النهار بزج إسراءاتك فيه وانتشار ألوية رايات مجدك على بسط أكنافه، والنوع الإنساني يفتخر على سائر أنواع الموجودات إذ كان منك وإليك وكان من أشعة أمثلة أُنموذُجاتك، فعليها صور، وعلى مثالها شكل، وعلى قالب تشكيلها طبع عون جمعية اعتدال طبائع تربيعك ربع.

ومن أجل تسلسل المواد والآلات الوساطية حتى تكون الخاتم كما كنت الفاتح أدخل أصل هذه الشجرة العنصرية الجنة، واستوطنها نصف يوم، وتسارع لما دهمه من مشاهدة أثر نخوة الإرادة الربانية واطلاعه على طموح العناية الإلهية لاستخراج هذا الكنز المصون، والجوهر المكنون، والنجم الثاقب، ولبنة التمام من أصل تلك الشجرة. فهاله ما رأى من تدفق سير الجبروت على سطوح الأكوان، وليس القصد إلا مآل ذلك المرام، وليست العناية إلا لمسك الختام؛ فبادر للأكل من الشجرة ناسيا مغبة ذلك وفاقا للاقتدار الإلهي.

والزمن الآخر يتفاضل على الزمن الأول لكونه بذلك منعوتا في كتبي، فليس الأول أفضل من الآخر، وكان الفضل لآخر مرسل، وكان خير الأمور الكونية والدينية والدنيوية العلوية والسفلية، البرزخية والأزلية والأبدية، الوسط في الجميع؛ لما أنك مظهر الاعتدال.

فلم تكن لطبيعة من الطبائع عليك هيمنة ولا شفوف ولا تفوق، حتى تعجب الأتقى لعلمه بهذا الاعتدال من تسارع الشيب فيك، فقوله[1]: «ما لنا

---

(1) يشير إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لأنه المعني بقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾.

نرى الشيب قد أسرع فيك يا رسول الله؟!»، كأنه لما علم أنك معتدل الطبائع، وكان بزوغ الشيب إنما يكون بغلبة طبيعة من الطبائع، فكيف بزغ هنا والاعتدال واقع؟، فانتقل عليه السلام لمنزع آخر؛ فقال: «شيبتني هود وأخواتها»[1]. علما منه بأن الأمر كذلك، وإبقاء ما علمه الصديق على ذلك.

وكان وقت الأسحار تتمادح به الأنبياء والرسل والملائكة، ويهتز فيه عرشي، ويشار لمن يقوم فيه ويستظل تحت ظلال أفيائه؛ لكون التجلي الأعظم عليك وقته حين بروزك من بطنان الأرحام، وعقبت تفريق أرزاق الأجسام وقته إثر تفريقي أرزاق الأرواح قبله؛ لما أن بين الوقتين، ظهر برزخ البحرين، ومجمع الحقيقتين، وممد الكونين، وغوث الثقلين.

ولما عظمت حسا ومعنى وذاتا وروحا وعقلا ونفسا وقلبا وسرا وخلقا وخلقا وزمنا...وكل تعلقاتك، فلذلك وقع الإقسام بوقتك؛ لما فيه من الطهارة الذاتية التابعة لطهارة القلوب في قولنا: ﴿وَالْعَصْرِ﴾..[العصر/ 3].ووقع الإقسام بنزولك من السماء في قولنا: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾..[النجم/ 1]. وبالضحى[2]؛ لأنه وقت صلاتك ، وبالفجر[3]؛ لأنه وقت قيامك، وبعمرك في: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر/ 72]، وبالنهار[4]؛ لأنه أشبهك في الإشراق والإشارات والاهتداءات، وقيل: سائر الناس أغراضهم ومطالبهم ومآربهم التي بها قوامهم. وبالليل[5]؛ لأنه أشبه وقت كان لا ينتصر لنفسه ما لم تنتهك حرمة

---

(1) ذكره الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" ص 224 ، من مرسل أبي جحيفة التابعي، وبمعناه أخرجه الترمذي رقم الحديث 3293 ، وقال حسن صحيح، والحاكم في "المستدرك" 2/ 476 وصححه .
قال المؤلف في كتابه : " الأمالي ...: " والذي شيبه فيها ما دلت عليه آية: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾، (هود : 112) والاستقامة إما في ظاهر العلم ، وإما في باطن علم الله".
ينظر الأمالي في علم الأمهات ضمن من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني ، حمزة بن علي الكتاني، ص: 308.

(2) الضحى / 2. (3) الفجر / 1 .

(4) الشمس / 3 - الليل / 2 .

(5) التكوير 17- الانشقاق / 17 الفجر / 4 - الشمس / 4- الليل / 1- الضحى / 2.

من حرمات الله، فإذا انتهكت حرمة من حرمات الله؛ غضب غضبا لم يقم لغضبه شيء. وبالشمس[1]؛ لأنها نعت من نعوت بهائك، أنبتّها عنك مناب جزء من أجزائك في العالم، وإلا؛ فهي تستحيي أن تطلع على عالم أنت فيه، بل العالم نفسه يستحيي منك أن تشرق الشمس عليهم وأنت فيهم. وبالقمر[2]؛ لأنه يشبه تلألؤ لمعان أنوار القدس بمرآة الحضرات التي بيني وبينك وقت تقريبك وتدانيك حالة تأجج اصطكاك أمواج ظلمات الحيرة الناشئة عن تدفق أبحر العلم الإلهي المستودع في مشكاة خزانة سرك...

فإذا علمت هذا يا نور الأنوار، وسمعت ما أوليتك من الخزائن والذخائر والأسرار، ورتبت عالمي على ما أسمعتك، ونظمته على ما فيه تعظيمك وسوددك وتبجيلك؛ فاستعمل الأسباب الداعية لهذا والمؤذنة به، حتى لا يختل ترتيب الملك؛ لأنه بإفشائه والاستغناء عن الوسائط يكاد أن لا تبقى رتبة من الرتب لها تطلع على الكمال، وأدناها: أن لا تكثر الأنوار في الأرض بنزول جبريل إليها فتنطفئ بذلك سَوْرات حميات الجاهلية، وتنكسر سورات الجهالات ببركة حلول أمين الله في الأرض، مع ما يتبع ذلك من العنايات الإلهية المحدقة بالنازل بأحكامه، والرحمات التابعة لنزول الأحكام في الأرض؛ إذ هي عنوان على رضى الله الأكبر عن عباده، حيث لم يهملهم سدى.

ومن الأسرار في ذلك: علمهم بعلمه تعالى بالكليات والجزئيات، فإنهم بينما هم يروج بعض آرائهم في بعض؛ إذ فاجأهم الوحي السماوي بديهة، فتنقطع حجة من لا يعلم أنه تعالى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات، ويزداد الذين آمنوا إيمانا[3].

ومن الأسرار في ذلك: تثبيت القلوب بسرعة انقلاب جبريل من أقصى سدرة المنتهى إلى الأرض، وهي: مسافة أربعة عشر ألف سنة، فيزداد المؤمن

---

(1) الشمس/ 3. (2) الشمس/ 3. (3) المدثر/ 31.

إيقانا، فيستدل بذلك على أنه لا بدع في أن يؤتى رجل أمي ليست له عصبية ولا عزوة النبوة والرسالة، وتجعل زمام الأمور تمشي على إمرته كما أمكنت القدرة جبريل بالانتقال من تلك المهامه الفيح إلى الأرض في أسرع من لحيظات. وطالما تبرز القدرة شيئا والقصد منه أشياء تطرأ خلاله، يعلم ذلك أهل سر القدر. ولولا خوف الخروج عن الموضوع؛ لذكرت من ذلك قضايا إلهية تبهت الإنسان وتلجمه عن الاعتراض على الله سبحانه فيما يبرزه في الأكوان، ويتحقق بقول من قال: «ليس في الإمكان أبدع مما كان»(1).

ومن الأسرار في ذلك: تنبيه أهل السماوات كل وقت وحين على أشرفية سيدنا محمد وأرفعيته؛ حيث يعتني به ذلك الاعتناء، وتعدى الأجوبة عنه وله الخصوم والمبطلون، لا زالوا لم ينطقوا بأباطيلهم وترهاتهم؛ فيزدادوا تعلقا بأذياله، وتشبثا بعلي مكين إجلاله. وتذكر قضية قولهم - عليهم السلام - لما افتتح جبريل ليلة الإسراء، قال: «ومن معك؟»، قال: «سيدنا محمد». قال: «أو قد بعث إليه؟». فإنه العَلَم الفرد عندهم، لم يشتبه بغيره ولا يشتبه. ولينظر وجه عدم معرفتهم به أولا، وعدم احتياجهم إلى السؤال عنه؛ لما أن رائحته المحمدية عمت أرجاء البسيطة الكونية، فكيف لم يشموها؟!. اللهم إلا أن يقال: إنه من باب الاستلذاذ، كقوله:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر؟

---

(1) تنسب هذه المقولة للإمام الغزالي، وقد سئل الشيخ التيجاني عن قول أبي حامد الغزالي: "ليس (أو ما كان) في الإمكان أبدع مما كان"، فأجاب بقوله: اعلم أنه ليست في الإمكان أشرف وأعلى وأجمل وأكمل من صورة الكون كله، إلا سيدنا محمد ﷺ لأنه ﷺ خلق من السر المكتوم، والدليل على شرفه ﷺ من النقل قوله عليه السلام: أنا سيد ولد آدم ولا فخر". [مسند الإمام أحمد بن حنبل 1/ 5].
ينظر: جواهر المعاني ... علي حرازم 2/ 66
وللمؤلف رضي الله عنه رسالة في شرح معنى هذه المقولة ضمنها في كتابه: "خبيئة الكون"، وقد قال - كما في ديوانه:

ما كان في الإمكان أبدع مما كان في أم حضرة الأعيان

ينظرها ضمن أطروحتنا السالفة الذكر. ص478.

وهو يعلم أنها ليست منهن، وهي من الأناسي والإنسيات.

ومن الأسرار في ذلك: مفاجأة الملائكة عليهم السلام كل آن بالصدمات المفزعة لقلوبهم، الموجبة لزيادة هيمانهم وتمكن بهتيتهم في جلال الربوبية، ولذلك؛ فإن الله تعالى أمره إذا تكلم بالوحي أخذت السماء رجفة أو رعدة شديدة من خوف الله تعالى، فإذا سمع أهل السماء؛ صعقوا وخروا سجدا، فيكون أولهم يرفع رأسه: جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فينتهي به إلى الملائكة، كلما مر بسماء سأله أهلها، فإذا قال ربنا: «قال: الحق»، فينتهي به حيث أمره الله تعالى من السماء إلى الأرض. رواه الطبراني وابن أبي عاصم من حديث النواس بن سمعان مرفوعا.

وروى ابن مردوية عن ابن مسعود مرفوعا: «إذا تكلم الله بالوحي؛ يسمع أهل السماء صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان؛ فيفزعون». وعند ابن أبي حاتم عن العوفي عن ابن عباس وقتادة أنهما فسرا آية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ/ 23]، بابتداء إيحاء الله إلى محمد ﷺ، بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى.

وفي كتاب "العظمة" لأبي الشيخ عن وهيب بن الورد، قال: «بلغني أن أقرب الخلق من الله تعالى: إسرافيل، العرش على كاهله؛ فإذا نزل الوحي؛ دلى اللوح من تحت العرش، فيقرع جبهة إسرافيل، فينظر فيه، فيدعو جبريل، فيرسله، فإذا كان يوم القيامة؛ أتى به ترعد فرائصه، فيقال: ما صنعت فيما أدي إليك؟. فيقول: بلغت جبريل. فيدعى جبريل ترعد فرائصه: ما صنعت فيما بلغك إسرافيل؟. فيقول: بلغت الرسل...». الأثر.

ولو كان عليه الصلاة والسلام اكتفى بما علمه ربه من كلامه القديم، حيث لم يكن ثان بينهما، واستغنى عن جبريل؛ لفاتتنا هذه النكتة، ولا تزال ترى الملوك قلما تفتر فزعاتهم لمقربيهم حتى لا يذهلوا عن أبهة سلطنتهم، ولا يزالوا مراقبين لهم على الأوقات الزمانية. ولله المثل الأعلى، وله الكبرياء في

السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

ومن الأسرار في ذلك: إقامة الحجة على الملائكة عليهم السلام في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة/ 30]، ولم يعلموا أن أعيان المملكة الإلهية في الأرض كما هم في المملكة السماوية، فلما لم ينزلوا ويروا أولئك الأسود وحجج الله سبحانه على عباده؛ يعلموا أنهم استعجلوا في السؤال. وإن كان نعم ما فعل الملائكة عليهم السلام من استفسار الجناب العالي، فإنه كان مقتضى قاعدة العلم: أن يقيسوا المملكة الأرضية بالسماوية؛ فيعطيهم ذلك: وجود أمثل الناس طريقة في الأرض كما هم في السماء. وهذا ممكن - لا بالنسبة للعدل الإلهي الذي انتظم به أمر العالم، ولا بالنسبة للحكمة الإلهية، فإن الله تعالى أحكم أكرم من أن يبرز عالما ليس له من أمر نفسه شيء.

ولم يسأل: هل يخلق أم لا؟. وهب أنه سأل؛ لا يدري مآل أمره، وعاقبة حقائقه؛ لما أن علم ذلك تفصيلا موكول إلى العالم بحقائق الأشياء جل شأنه.

ثم بعد أن يبرزهم هكذا من غير اختيار منهم؛ يكلهم إلى أنفسهم؛ فلا يجعل فيهم من تقوم عبادته مقام عبادة جميعهم؛ لو وزعها عليهم لما عدوا من الغافلين، ولكانوا ممن لهم زلفى وحسن مآب وقد فعل.

أو يكتب على نفسه الرحمة بأن تسبق الرحمة الغضب حين تحصل منهم الجرائم، وقد فعل.

أو يخلق فيهم مكفرات ذنوبهم، وقد فعل. أو يخلق لهم الشفعاء، وقد فعل.

أو يقر لهم بنفس ما صدر منهم، وقد فعل. فإن أصوات المذنبين أحب إلى الله من زجل أصوات المسبحين، «ربما قضى عليك بالذنب، فكان سببا في الوصول، ومعصية أورثت ذلا واحتقارا؛ خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا».

وأنت إذا تأملت فيما ذكرناه، وكان لك فتح رباني؛ أيقنت أنه ليس في

العالم إلا أفعال الله سبحانه، فإنه ما ثم ملك ولا دائرة من الدوائر العليا والسفلى، وإنما ثم الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته، يرتب عالمه وأكوانه، ويدبر شؤونه ومقتضيات ملكوته العلوي والمتوسط والسفلي، فإن كل من ألبس لبسة من اللباسات - لا في الأولين ولا في الآخرين - يوجد القصد بذلك أمور ولطائف وعجائب لا تفهم إلا إن ظهرت، بل بعد الظهور ربما لا يعثر عليها ولا يفهم وقع رمزها.

ولو نظر الكامل العاقل؛ لوجد تدبيرات إلهية وقعت صدر العالم وتشوتم منها وصيح على صاحبها، فإذا بك تجد وقتا آخر أن صلاح العالم عليها، وأن أمورا تقع آخر هذه الدولة العالمية، ومع ذلك صلاحها على ما صدر أول النشأة؛ مع أنه ليم صاحبه عليه، ونودي عليه بالعصيان والغواية.

ولهذا نقول غير ما مرة: إن صلاح أمر العالم موقوف بعضه على بعض، وإن آخره موقوف على أوله، وأوله لا تنشرح أفعال شؤونه إلا بما ظهر أو يظهر أواخر أمر العالم، ولنذكر لك مثالين تعرف بهما الأمر على ما هو عليه:

[المثال الأول]:

فهذا الأكل من الشجرة تطير من أبينا آدم حين أكل منها مع أنه لولا أكله منها ما نزل إلى الأرض مع القدر الأسبق والأمر الأغلب، ولو لم ينزل إلى الأرض؛ لما تفرعت الشجرة الآدمية، ولما خرج منها عيون الله تعالى في الأرض: الأنبياء والرسل، ولما خرج المراد من الكون: الحقيقة المحمدية. فإنه يكفي في صلاحية الأكل وأتمية ملحظ الأكل ما ظهر من هذه الأسرار المنطوية تحت أصداف المكنونات، والمستورة تحت غياهب أصداف ظلام الكثافات. ويكفيك أنه عليه السلام يرجع يوما آخر إلى الجنة بعد أن خرج منها بمائة ألف نبي، وأربعة وعشرين ألف نبي، وثلاثمائة وأربعة عشر من الرسل، وما لا يحصى من الأولياء أهل الدوائر المحصورين وما لا؛ فانظر ما أنتجه الأكل من الشجرة.

ولأجل هذا أقول: يستنكف باطننا من أمر وقع في العالم كيفما وقع، ولأجل هذا قلت غير ما مرة: إن أمر العالم لا يتم انتساقه ولا يكمل انتظامه المراد من إيجاده إلا بانقضائه، وما دام العالم لم يكمل - وهو لم يكمل - فاعجب من كمال شيء بنقصانه. وهذا الكلام منا بالنسبة للعالم بعضه ببعض، وإلا؛ فالعالم كله برمته لما كان مشهودا لرب العالمين أوله ووسطه وآخره، وكلياته وجزئياته؛ كان كاملا عنده وتاما في نفسه وفي أحسن صورة.

وهذا النوع من العلم: من المكنون نفسه؛ لا من العلم الذي هو كهيئة المكنون، بل المكنون نفسه، ولا يدري ما قلناه إلا رجل أشهده الحق سبحانه أولية العالم وآخريته، وأشهده كيفية ارتباط العالم بعضه ببعض. وغير هذا معزول عن هذه الرتبة، لا يشم لها رائحة.

[المثال الثاني]:

هذا المجيء لجبريل الثاني لسيدنا محمد ﷺ بعدما كوفح سيدنا ﷺ بالقرآن أولا من الحق سبحانه بلا واسطة؛ عليه صلاح أمور في العالم، فلأجل ذلك تكرر مجيئه بعدما كان بالمحل المستغنى عنه، لو لم يجئ، وإنما جاء لأجل الحكم والأسرار التي أبديناها قبل. وقد نفث العلم منها بأمر عجيب يدفع عدة تشكيكات ترِد في هذا البساط؛ لما أنه متمكن من الفيضان المحمدي والمسامرة الأحمدية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[السر في كون القرآن مودعا في الخزانة المحمدية]:

فإذا علمت هذا وتحققته بالوجدان والشهود، وعلمت أن القرآن كان مودعا في الخزانة المحمدية، وإنما أنزل عليه مرة أخرى لما ذكرناه؛ علمت الجواب عن جميع المشابهات القرآنية في الجناب المحمدي التي ظاهرها ينافي الجلالة المحمدية. ومن المتشابهات: الآية المسؤول عنها؛ وهي: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى/ 52]. لأنه إذا كان نفس نزوله ثانيا لأجل الستر

على السر الرباني حتى ينصلح أمر العالم العلوي والسفلي على ذلك النزول؛ فكيف بالمنزل به؟، وينبنى على ذلك نكت:

النكتة الأولى: يلزم منه علمه ﷺ بجميع ما اشتمل عليه القرآن الكريم، من أول ما خرج لهذا العالم الشهادي، إلى يوم شد الرحلة إلى ربه جل شأنه، إلى ما يقع في البرزخ بالنسبة لأعيان أشخاص الموجودات، إلى ما يقع في أرض الموقف، إلى ما يقع في أحد الدارين. وكل هذا قبل أن ينزل القرآن في عالم الغيب، ما كان يعلمه؛ لأنه ما خرج إلى العالم إذ ذاك حتى يناط به أو يطلب العلم أو تكون قابليته قابلة له.

ولما خرج من بطنان العدم، وتوج بتاج «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»[1]؛ علمه الله الشؤون المتعلقة بالأكوان بواسطة تعليم الله سبحانه له في عالم التجلي الأعظم للأرواح، إذ هي مهيأة لذلك وقابلة له.

وانظر كيف صلحت جواهر الأرواح - من حيث هي - لمكالمة الرب جل شأنه في عالم الذر لما أخذ عليها العهد بالإقرار بربوبيته!، فكيف لا تصلح الحقيقة الأحمدية لإيتائها ما يقوم به عالم الملك ضرورة أنها الخليفة عن الله سبحانه، لا في أراضيه ولا في سماواته؟، والجلالة المحمدية لا تأبى ذلك. وإيتاؤه النبوة إذ ذاك شاهد لذلك. بل جعْله أول موجود أوجده الله من العدم يقتضي أنه لم يعرف الله سبحانه أحد قبله، سيما لما كانت الأشياء كلها من فيض نوره، فإنها ما أفيضت منه إلا وهو يعلم نفسه، ويعلم أنه الرحمة المرسلة للعالمين، ويعلم ربه المعرفة الحقيقة التي لا يتخالجها ريب الشكوك والظنون، ولا جهالات الأوهام والتلبيسات العنصرية الناشئة من انسحاب ظلمات الترابية على الروح المجاورة للذات.

ولا جرم أن النبوة التي من أجلها نزل عليه الملك على رأس الأربعين: سنة من سني جسمانيته، وعلم من العلوم التي يقوم بها أود الملك، إذ هو

---

(1) تقدم ذكره.

خليفة الله جل أمره في العالم، لم يزل متلبسا بها من يوم كان في عالم الغيب، فما أعطت بالخاصية وجوده آخرا تعطي بالضرورة وجوده أولا، فكما هو نبي لما بعث، هو نبي إذ ذاك بمتقضى قوله الصادق: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد».

وكل من لم يقل بهذا؛ يلزمه أنه عليه الصلاة والسلام، إما لم يكن نبيا وآدم بين الروح والجسد؛ وهو مصادمة للمنصوص المرفوع، وإنكار إحدى أعاظيم خصيصاته؛ فإنه لم يتنبأ أحد قبل بروزه غير الحقيقة الأحمدية، ومن عداها إلى وقت نزول النبوة عليه.

وإما كان نبيا في التقدير كما قيل به، ولم يكن متصفا بها في الحقيقة. ورد بأن العقول قاصرة عن إدراك مرمى تلك الحقائق، فلا سبيل لدرك العقل أنه لم يكن متصفا بها، ولما أخبر بذلك عن نفسه لم يبق مجال للكشف، فضلا عن العقل، فضلا عن التخمين.

وإما أن يقول: إن النبوة التي حلل بها في عالم القدس، أزيحت عنه بعد أن ألبسها، ثم عادت إليه على رأس الأربعين سنة من سني البعث الجسماني. وهذا فيه هجوم على حضرة النبوة، وقدح في المنصب المحمدي الذي لا عقبى له إلا دار البوار، وقطع الإمداد عن صاحبه، وارتكاسه في عالم القطيعة والهجران، وافتيات على صاحب الشرع المطاع.

وليس ثم من هو أعلم بما هو الأمر عليه في نفسه مثل الجناب المحمدي؛ ضرورة أنه أعرف الخلق بالله جل جلاله. وليس ثم من يعلم نفسه المصطفوية كما يعلمها هو. وليس ثم من بيده خلاف هذا النص حتى يناقضه.

وعليه؛ فلا مانع من كونه عَلِم الأشياء ثمة لما ألبس جلابيب النبوة المطلقة، وبعد علم هذا السر، لا يتوقف في سر الخطابات القرآنية المهول ظاهرها مثل هذه الآية الكريمة المكتوب فيها؛ وهي: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾. فإنها لا تشكل على ما أبديناه؛ لما أن ذلك كأنه أول نزول، فكما

خوطب به أولا في عالم الأرواح خوطب به ثانيا في عالم الأشباح، ولما خوطب به أولا في عالم الأرواح، كان أمثال هذه الآيات الكريمات خرج مخرج الامتنان، كأنه يقول: في حال عدمك كنت لا تدري؛ ضرورة أنك لم تكن موجودا حتى تناط بك الدراية. والآن أنت تدري. فالآية خرجت مخرج الامتنان. فالمعنى الذي حمل عليه اللفظ أول ما كوفح به ينبغي أن يحمل عليه ثاني ما خوطب به.

ومن لم يحمل الآية الكريمة على هذا؛ فلا يجد محملا صحيحا، لا بلسان قواعد العلم، ولا عند أهل الكشف يحمل عليه الآية الكريمة، لأن ظاهرها مفزع، فإنها تقتضي نفي العلم بالإيمان عنه قبل مجيء الوحي له. والوحي بهذا اللسان التفسيري إنما نزل على رأس الأربعين سنة. ولما نزل سلب عنه دراية الإيمان. ومن المقرر عند الأشاعرة أنه: لا واسطة بين الكفر والإيمان، وشنعوا الغارة على من أثبت واسطة بين الكفر والإيمان وجعل فيها العاصي، وجعله لا مؤمنا ولا كافرا.

فعلى هذا؛ يلزم من مجرى ظاهر الآية الكريمة: نفي الإيمان عنه مدة الأربعين سنة. وليست ثم واسطة بين الكفر والإيمان، فثبت ما لا يفوه به إلا من قام به الكفر، وهو خلاف ما اتفق عليه المسلمون من أن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر الموجبة لنفرة الناس منهم قبل البعثة وبعدها، فضلا عن الكفر، وخلاف ما اجتمعت عليه كلمة الكشف من أن أنبياء الله ورسله لم يغفلوا عن الله طرفة عين لا في حالة الشبيبة ولا في حالة البلوغ، فضلا عما وراءها، ولا في حالة المزح ولا في حالة البسط، ولا في حالة الخوض في المحسوسات.

بل نقول: إن ما علم من الفرق بين اطلاع الذات والروح؛ هو: أن الأرواح عالمة بربها، لم تغفل عنه طرفة عين، من يوم أقرت له - جل أمره - بالربوبية في عالم الذر، بخلاف الذوات؛ فإنها غافلة بالسداجة الأصلية عن الله، لولا تكرار الدلائل والترهيبات والترغيبات، ماعكفت على باب ربها،

ولا أقبلت بكلياتها إليه. نقول: هو في غير ذوات أنبياء الله ورسله، وخصوصا سيدهم وممدهم وقطب عوالمهم الروحية والجسمانية: سيدنا ومولانا محمدا ﷺ؛ فإنهم عليهم الصلاة والسلام، لم تذق ذواتهم الكريمة الترابية طعما للجهل من يوم كونت عناصرها؛ فحكم ذواتهم حكم الأرواح، بل لا نسبة؛ وإلا لم يبق فرق بينهم وبين عوام المؤمنين، بل عوالم المؤمنين من يوم أقروا لربهم جل شأنه بالربوبية في عالم ذرهم وهم مفطورون على معرفة جلال الربوبية، ومصبوغون بصبغة الله التي لا أحسن منها، لم يعرفوا غيره ولم يركنوا لغيره، إنما لما انسحب حكم الطبيعة على الروح؛ احتاجت لمن يذكرها ويردها إلى ربها ردا جميلا، فبعث الرسل مبشرين ومنذرين تذكيرا للعهود والمواثيق التي أخذت على الأرواح.

فلا يجديك إلا ما قررناه، وبتيجان النور حليناه، وبأدلة الكشوفات حررناه ودبجناه. فأما أجوبة المفسرين عن هذا فلنذكرها ولنبين ما تحتها: [شعر]

على وجه مر مسحة من ملاحة ... وتحت الثياب العار لو كان باديا

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾
[أجوبة المفسرين عن الآية ومناقشتهم]

الجواب الأول:

وتذكر قول العالم بما هنالك: «كل مولود يولد على فطرة»[1] ، وليست إلا فطرة التوحيد الأصلية الأزلية، الغير المشوبة، المستندة للشبه والبراهين، بل متلقاة عن حضرة المكافحة والمشاهدة العيانية ، فإن الأرواح ثمة ما أقرت حتى شاهدت، ولأجل ذلك لم يزايلها ذلك الشهود إلى الآن، لأن لسان الحال

(1) ينظر : صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه...، رقم الحديث: 1289.

إذ ذاك يقول(1):

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ولأجل ذلك نبه المعصوم على أن تلك الفطرة التي فطرت عليها، لا زالت مستصحبة معها إلى أن ولدت، وهي مجبولة عليها، فيا ليت شعري إذا كان هذا في مطلق المؤمنين: فطروا على معرفة الله سبحانه، فلم تزايلهم. حتى لو فرضنا أن أبويه خلقا مفطورين أيضا عليها، فإنهما يرمقانه زيادة إيمان وإسلام، فماذا يقال في كمل الأولياء العارفين بالله؟، فتكون فطرتهم أشمل من فطرة مطلق من عداهم. فماذا يقال في الطبقات التي فوقهم؟. فماذا يقال في الصحب الكرام؟، فإن فطرتهم تكون أعلى من رتبة الأولياء.

وانظر تجد؛ فإن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان يمنع أمه أن تسجد للصنم وهو في بطنها، ولم يسجد هو لصنم أيضا لما خرج منها. فلذلك كان ينبغي للراسخين في العلم - أيضا- أن يزيدوه: وكرم الله وجهه، كما قيلت في باب الحكمة(2)؛ فإنه لم يسجد لصنم بوجهه المكرم.

فماذا يقال في فطرة الأنبياء؟؛ فإن فطرة الصحابة على هذا لم تدرك؛ لما أن فطرة ما هو أعلى من الإنسان لم يطلع عليها، فضلا عمن: لو أنفق أحدنا مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه(3)، فماذا يقال في فطرة الرسل؛ لأن الرسالة أفضل من النبوة، بل نهاية النبوة هي بداية الرسالة. فماذا يقال في فطرة أولي العزم من الرسل؛ لما أن نهاية الرسالة هي بداية أولي العزم، ثم إن نهاية أولي العزم هي بداية مركز دائرة الأنوار: الحقيقة المحمدية.

---

(1) البيت لمجنون ليلى. ينظر: الديوان، ص: 282.

(2) المراد بباب الحكمة: سيدنا علي كرم الله وجه لقول النبي ﷺ: "أنا دار الحكمة وعلي بابها"، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني، رقم الحديث: 2955. وقوله ﷺ: "أنا مدينة العلم وعلي بابها". وقد خرج هذا الحديث الحافظ أحمد بن محمد ابن الصديق الغماري في كتاب مستقل، وبين صحته.

(3) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الصحابة، باب تحريم سب الصحابة

فافهم هذه الفدلكة التي ذكرنا - هنا - تعلم سر ما أومأنا إليه، وتعلم أن الأولى في المتشابهات في جانب الأنبياء والرسل - وإن لم يطلع عليها الإنسان من جهة العقل. وأما النقل؛ فلينظر هل صح عن صاحبه أو لا - أن يتوقف العاقل الكيس فيها، أو يفزع فيها لأهل الكشوفات الصحيحة المؤيدة بالكتاب والسنة. وحيث وصلنا إلى هنا؛ فلنرجع لما أجاب به المفسرون عن الآية الكريمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[الجواب الأول]:

إنه تعالى نفى عنه عليه الصلاة والسلام دراية الإيمان والعلم به قبل الوحي، فكان قبل نزول الوحي عليه السلام لا يدري الإيمان. ولما استشعروا أنه يلزم عليه أن لا يكون عليه السلام قبل الوحي مؤمنا بالله وبوحدانيته، فيكون كذا؛ قالوا -محاولين دفع هذا النقض -إنه تعالى نفى العلم وكنى به عن نفي المعلوم، فلا يلزم نفي الإيمان عنه عليه الصلاة والسلام، بل اللازم هو عدم الاعتقاد، وذلك لأن المراد بعدم الدراية: الجهل البسيط، وهو: كون النفس ساذجة عن الاعتقاد والحكم، لا الجهل المركب الذي هو الكفر والاعتقاد الباطل.

ومن الشناعات التي بنوها على هذا الجواب: أن الآية على هذا تكون دليلا على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع، لأن التعبد فرع الإيمان به، فهذا محصول الجواب الأول، وهو منقوض العرى بدءا وعودة.

[الاحتمال الأول]:

أما أولا: فقد أخرج الإمام أحمد في "المسند" والإمام البخاري في "التاريخ الكبير" وأبو نعيم في "الحلية" والبغوي وابن السبكي وصححه الحاكم عن ميسرة الفجر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله؛ متى كنت

نبيا؟، قال: «وآدم بين الروح والجسد»(1). والنبوة يحتمل أن تؤخذ بمعنى: النبأ، أو بمعنى: النبوة.

فإن أخذت من النبوة والارتفاع؛ أفاد الحديث الكريم بصراحته أنه عليه الصلاة والسلام: كان أرفع الموجودات عند الله وفي نفسه؛ لأن روحانيته كانت موجودة في الخارج. ومعلوم أن الرفعة لا تكون إلا العلم؛ فيكون المعنى: كنت مرفوعا على جميع الموجودات بما آتاني ربي وعلمني منه إلى: «وأدبني وأحسن تأديبي»(2)، والحال أن آدم: لازال 'بين الروح والجسد'.

فليت شعري؛ من كانت بدايته هكذا، فكيف تكون وساطيته؟. فكيف تكون مشكاة نبوته وخزانة علمه يوم أبرز الله سبحانه جسمانيته المحمدية؟. فكيف يكون على رأس الأربعين سنة لا يدري أين وصل من التجليات والترقيات والكمالات المفاضة عليه؟!!!.

فإن قلت: وإذا كان هكذا، وأن نبوته لم تزل مصحوبة معه مدة كونه في عالم الغيب، مدة تكوينه في الأرحام، مدة عنفوان شبيبته؛ فكيف بمدة الأربعين؟. فما معنى قول الرواة: «ثم بعثه على رأس أربعين سنة»(3)؟.

قلت: المراد بالبعث: البعث الثنوي، ولذلك قال أهل السير: إنه كان يدعو إلى الله تعالى سرا قبل البعثة العامة المنوطة بالوسائط(4). فإذا؛ له عليه الصلاة والسلام بعثتان:

- بعثة روحانية في عالم الأرواح، والحال أنه نبي إذ ذاك؛ ضرورة إخباره عن نفسه وهو أعلم بما هنالك، ولم يرد نص ينسخ هذا وأنه بعدما ألبس حلل النبوة أزيحت عنه، بل الأصل هو: الاستصحاب؛ وهو: ثبوت أمر في الزمن

(1) تقدم ذكره.
(2) ينظر : الجامع الصحيح، جلال الدين السيوطي، رقم الحديث: 300.
(3) صحيح البخاري ، كتاب المناقب، باب صفة النبي -ص- رقم الحديث: 3548.
(4) لم أعثر عليه.

الثاني لثبوته في الزمن الأول لعدم ما يصلح للفرق بينهما. ويرحم الله عالم قريش[1] حيث قال به، وما ذلك إلا لأنه قرشي، وفي الحديث: «إن عقل القرشي بعقلين»[2].

- وبعثة جسمانيته في عالم الأشباح؛ وهي: الكائنة بواسطة جبريل، وهذه هي المشار إليها بقول الصحابي. فلا تدافع بين قولنا وقوله؛ فافهم.

فإن قلت: أين هذا مما قيل: إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن له مدة الأربعين سنة من الراتب إلا رتبة الأفراد من أمته؟[3].

قلت: هذا من صاحبه غفلة عن قول أصدق الصادقين، المؤيد إخباره بالقرآن المتواتر الذي يجب القطع بإخباره: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»[4]، فإنه لم يرد أن هذا الحديث نسخ، ولاثم من هو أعلم به ﷺ من نفسه، ولا ثم من هو أعلم بما هو الأمر عليه في نفسه مثله. فقوله أصدق من قول غيره، وأكبر من قول غيره، نظير قول الإمام أحمد لما قيل له: «إن عائشة تنكر الرؤيا ليلة الإسراء»؛ فقال: «قال من هو أصدق منها: رأيت ربي بعين رأسي»[5]. وقول رسول الله أكبر من قولها على ما في هذا البساط أيضا من الكلام. فهذا ما يتعلق بالاحتمال الأول في قوله: «كنت نبيا».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

الاحتمال الثاني:

أما الاحتمال الثاني؛ أعني: كون النبيء مأخوذ من النبإ؛ وهو: الخبر: فيفيد الحديث الكريم أنه عليه الصلاة والسلام كان نبيا - أي: مخبرا من قبل ربه جل أمره - «وآدم بين الروح والجسد».

---

(1) وهو الإمام الشافعي رضي الله عنه.
(2) لم أقف عليه.
(3) وروايته للشيخ الأكبر في الفتوحات عن أجوبة الحكيم الترمذي.
(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل 4/ 66.
(5) لم أقف عليه.

ثم هذا الإخبار لا يخلو: إما أن يكون متعلقا بالله، أو بالعالم، أو بكتابه، أو بنفسه..وكلها يحتملها الحديث.

فإن كان متعلق الإخبار الله جل جلاله؛ فالمعنى: كنت مخبرا عن الله، فعرفته بالمشاهدة والمعاينة والمنازلة والمحاضرة والحال أن آدم بين الروح والجسد إذ ذاك. وقد قدمنا أن الأرواح كلها عارفة بربها؛ لم تذق طعما للجهل، من يوم عرفته ما أنكرته، ومن يوم شاهدته ما احتجبت عنه. فكيف بروح الأرواح ويعسوبها ومصدرها وبحر إفاضتها وأول من قال: "بلى" في عالم الذر؛ فهو أول موحد وحد ربه قبل أن يعرفه الخلائق. وليت شعري من كان نبيا - أي: مخبرا عن الله - ثمة في عالم الأرواح ؟. وقد جاء في كتب السير- وإن كان فيه مجازفات - أنه عليه السلام ولد في اليوم السابع من أيام الدنيا [1]؛ فيفيد هذا والحال أنه نبي، وعرف الله بالشهود والعيان أنه ترقى في المعرفة سبعة آلاف سنة، فما جاءه جبريل إلا وهو أعرف بالله منه، بل ومن العالم كله؛ لأنه لم يعمر أحد من المعمرين هذا العدد من السنوات وهو يترقى في العلم بالله بدون وساطية لأحد، والظن أن جبريل عليه السلام لم يكن مخبرا بها. ولا بدع في هذا؛ فإنما هو سفير ينقل عن الله ما أودعه، ولا يدري ما حشو الرسائل. اللهم إلا إن أطلعه على ذلك المرسل إليه، لا في الأول ولا في الوسط ولا في الآخر؛ ضرورة أن من خصائصه أنه: أول من أخذ عليه العهد في عالم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2]، وأنه: أول من قال: «بلى أنت ربنا»، كما رواه أبو سهل القطان في جزء من أماليه عن علي.

وأما ثانيا: فبالضرورة أنه عليه السلام الواسطة بين الله [تعالى] وبين جميع المخلوقات؛ بنص قوله: «إنما أنا قاسم والله يعطي»[3].

(1) لم أقف عليه. (2) الأعراف/ 172.

(3) البخاري ،كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، رقم: 71، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون" وهم أهل العلم، رقم: 7312.

ومن جملة المقسومة لهم الأرزاق الروحانية المعنوية: جبريل عليه السلام، فعن سيدنا محمد كان يتلقى ويأخذ ويستمد، فليت شعري كيف يتمم الفرع أصله؟، وكيف يرق الفرخ أباه. فقولهم: إنه ما كان يدري ما الإيمان قبل مجيء الوحي؛ فيه شناعات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[شناعات ترد على أجوبة مفسري الآية]:

1. **الشناعة الأولى:** نسبة الجهل العام له؛ إذ يلزم من عدم علمه بالإيمان: عدم علمه بجزئياتها. وكبرت كلمة تخرج من أفواههم.
2. **الشناعة الثانية:** يلزمهم إما أن النبوة التي ألبسها الله إياه سلبها، وإما أن النبوة لا تعطي بالخاصية العلم بالله تعالى وبصفاته وبأسمائه ونعوته وملائكته وكتبه ورسله.

فإن قالوا بالأول؛ فلا أمن عليهم من استحقاق اللعن والطرد والكذب عليه.

وإن قالوا بالثاني؛ فهو جهل بحقائق الأشياء مطلقا. وإلا؛ فلا فائدة ولا كبير ثمرة للنبوة. فكيف لا تعطي العلم بالله تعالى العلم التام والكشف العام؟!. فكيف يحتاج في دراية نفس الإيمان إلى جبريل وإلى غيره؟!. فمن هو أرقى منه في العلم؟!.

3. **الشناعة الثالثة:** يلزمهم القدح في قواعد العلم؛ فإن أهل الكلام أجمعوا على أن الرسل قبل الوحي كانوا مؤمنين، وكان رسول الله ﷺ يعبد الله سبحانه قبل الوحي، وهم لما نفوا عنه الإيمان إلا بمجيء جبريل؛ فيلزم منه أنه لم يكن مؤمنا، ولا واسطة بين الكفر والإيمان؟!.
4. **الشناعة الرابعة:** معلوم عند العارفين ولا عند الراسخين في العلم أن الحقيقة الأحمدية كانت هي الممدة للعوالم العلوية والسفلية قبل بروز جسميتها، وهذا قد اجتمعت عليه كلمة أهل الوصول. فيلزم على هذا: أن العوالم كانت تسقى من هيكل ليس بمؤمن بالله تعالى؛ ضرورة أنهم نفوا

عنه ذلك حتى يجيء جبريل. وهذا يلزم عليه الخدش في التدبير الإلهي أولا؛ الذي استخلصه لنفسه خليفة عنه، والحال أن ذاته لم تؤمن به، ومطلق أفعال العقلاء تصان عن العبث، فكيف بأفعال الله جل حكمة؟!. ويلزم عليه أن: الأمداد التي كانت تفاض على أهل الرتب من أنبياء وأرسال وملائكة...كانت تخرج بلون الإناء، فإن لون الماء لون إنائه. فيلزم على هذا: الخدش في جميع الأنبياء والرسل والملائكة على الجميع صلوات الله وسلامه، لأنهم يستمدون من ذات لا تدري ما الإيمان، وبالضرورة أنها ليست مؤمنة، ويلزم عليه الخدش في بعثتهم، إذ لا يظهر لها كبير فائدة على هذا!!!.

فهذه شناعات خمسة تزاد على الأربعة الأول؛ فتصير تسع شناعات كلها ترد على الجواب الأول من أجوبة المفسرين على ظاهر الآية الكريمة.

فهذا ما يتعلق بالاحتمال الأول من الاحتمالات الأربع في الاحتمال الثاني في معنى حديث: «كنت نبيا».

[الاحتمال الثاني من الاحتمال الثاني]:

وأما الاحتمال الثاني؛ فقوله: «كنت نبيا»؛ أي: مخبرا عن الله تعالى فيما يرجع للعالم، فعلم ثمة - وهو روح - أن العالم حادث وليس بقديم، وأنه محتاج إلى المدبر له على الأنفاس، وأنه لا يستغني عن المحمل والمخصص، وأن العالم له وجهتان:

- وجهة إلى ربه.

- ووجهة إلى ما يفاض عليه من جهة الوسائط والأسباب التعليمية، وأن العالم ستور حكماوية مسدولة على بساط القدرة، والقدرة هي الحاكمة وراء الأسباب، فمن وقف مع ظاهر الأسباب؛ قال: ما ثم إلا المحسوسات، إلى أن قال: إن العبد يخلق أفعال نفسه. ومن قطع النظر عن مادة الأسباب وغاص على ما وراءها ولم يؤيد بنور الوحي؛ قال: إن العبد مجبور. وسيدنا ومولانا محمد قطب الأقطاب، وسيد الأسياد وأعلم الحكماء، وأحكم العلماء؛ أثبت

الأسباب ولم يثبت لها استقلالا ولا استبدادا، بل أثبتها بإثبات خالقها لها، ورأى أن القدرة هي الفاعلة من وراء ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. [الأنفال/ 17]. وقال: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾. [التوبة/ 14].

فمحصول هذا الوجه يقتضي أنه: علم العلوم المتعلقة بعالم ربه؛ المفاد ذلك من قوله: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد». فليت شعري: من أخبر نفسه أنه علم هذا التوحيد العام والخاص الذي لا يعلمه إلا الفذ من الراسخين في العلم بعد التي واللتيا، وبعد أن يستكمل الكمال من عقله، وقد عاش في فلك هذا العلم يسبح سبعة آلاف سنة ما يقول له جبريل إذا اجتمع به. وهل علمه ﷺ بعد علمه بما أخبر به عن نفسه أنه يعلمه أنه لا يعلم الإيمان إلا بعد مجيء جبريل؟. وهذا القول من التهافت بما تقتضيه دلائل الشريعة ونصوص القرآن، وما تعطيه الجلالة المحمدية والرتبة التي أعطيها من يوم لا يوم، وما يستفيد منه إلا ما أمر أن يأتيه به مرة ثانية بعدما كافحه به قبل مجيء ذلك بأزمنة ودهور وسنوات.

واستروح هذا من قول القرآن لما كان يختلج بباطن النبوة مسابقة جبريل ببعض أسرار الوحي: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾. [القيامة/ 16]؛ فإنها كادت أن تصرح بأن بينه وبين الله سرا ينبغي أن لا يذاع، وأن يكتم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

ومن معنى هذا الاحتمال الثالث في معنى «كنت نبيا»: أي: مخبرا عن الله تعالى فيما يرجع للعالم: أن معنى ما يرجع لعلمه ﷺ بالعالم أنه كوشف والحال أن «آدم منجدل في طينته»[1]، فإن حضرة الربوبية حضرة حرس؛ لا يمكن لكل من له إلمام بالمعارف أن لا يتسور محرابها، ولا أن يكرع من عذب

(1) تقدم تخريجه.

معين زلالها إلا له ﷺ، وأن أمداد الخزائن الإلهية تخرج على يديه وعنه ومنه، ولا يمكن لأحد أن يتلقى من الحضرة مباشرة إلا هو، وأما الجميع؛ فمأسورون تحت الألوية المحمدية، والأنظار المصطفوية. فشيء أثبته سيدنا محمد ﷺ لنفسه قبل أن يكون أصل الشجرة الإنسانية، فمن ينفيه عنه؟. والحال أن فروع الشجرة الإنسانية انتشرت وتكاثرت، بل لا يدري بشر ولا ملك ما تلقى عليه الصلاة والسلام منذ أوتي هذه الحلة إلى وقت إخباره عنها في عالم الأكوان، فهذا الوعد من عاشِر الشناعات التي تلزم على هذا الجواب الأول من أجوبتهم عن الآية الكريمة، فجاء في محله.

الشناعة الحادية عشر: ما ثبت وتقرر في علم السير المبذول له عن كل طالب: أن الله تعالى حفظ نبيه في شبابه مما كان عليه أهل الجاهلية. قال ابن إسحاق فيما رواه البيهقي وغيره: «شب[1] المصطفى[2] ﷺ، يكلؤه الله سبحانه[3] ويحفظه ويحوطه من أدناس[4] الجاهلية؛ لما أراد من كرامته، حتى صار أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق الذميمة»[5].

وأخرج أبو نعيم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن المصطفى ﷺ قال: «سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب ما ذبح لغير الله، فما ذقت شيئا ذبح على النصب حتى أكرمني الله سبحانه برسالته»[6].

وأخرج ابن عساكر عن جُبير بن مطعم: «رأيت المصطفى ﷺ في الجاهلية

(1) في دلائل النبوة: فشب.
(2) في دئل النبوة: رسول الله.
(3) في دلائل النبوة : عز وجل.
(4) في دلائل النبوة من أقدار.
(5) دلائل النبوة ،البيهقي ،باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله في شبيبته من أقدار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته برسالته حتى بعثه رسولا ، 2/ 30.
(6) ينظر ابن إسحاق: السيرة النبوية ص: 98.

وهو يقف على بعيره بعرفة، منفردا عن قومه؛ حتى يدفع منه توفيقا من الله تعالى»[1].

ومن المعلوم الضروري أنه عليه السلام كان يدعى قبل النبوة بالأمين، قال ابن عباس: «كان يدعى بالأمين؛ لما جمع الله سبحانه فيه من الأخلاق الصالحة»[2].

وذكر ابن إسحاق والبيهقي عن ابن عباس: قال النضر بن الحارث لقريش: «قد كان فيكم محمد غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به؛ قلتم ساحر؟!، لا والله ما هو بساحر!»[3].

وكان ﷺ يتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام؛ لما استقر عندهم من عدله وإصابة رأيه، وصدقه وأمانته، وظهور فصل المسائل على أتم وجه وأحسنه على يديه؛ بحيث يستحسن ذلك أهل العقول السليمة، وتستصوبه أهل الآراء المستقيمة.

وأخبر ابن سعد وابن عساكر وابن داود بن الحصين قال: قالوا: «شب رسول الله ﷺ أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارا، وأحسنهم حلما وأمانة، وأصدقهم حديثا، وأبعدهم من الفحش والأذى. ما رئي مماريا ولا ملاحيا أحدا؛ حتى سماه قومه: الأمين»[4].

وأخرج أبو داود وأبو يعلى وابن مَنْدَة في "المعرفة"، والخرائطي في "مكارم الأخلاق" عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: «بايعت النبي ﷺ قبل أن

(1) المصدر نفسه، ص: 90.ينظر :البيهقي ، دلائل النبوة 2/ 37.
(2) دلائل النبوة ، البيهقي 2/ 30- سيرة ابن هشام 129، تهذيب سيرة ابن كثير، ص: 87.
(3) دلائل النبوة، البيهقي، 2/ 31 .
(4) ابن سعد، الطبقات، ص 97.

يبعث ببيع، فبقي له علي شيء، فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فذهبت، فنسيت ذلك اليوم والغد، فأتيته اليوم الثالث، فوجدته في مكانه ذلك، فقال: لقد شققت علي؛ أنا هاهنا منذ ثلاث انتظرك»[1].

فيا ترى هذا الأناة والرزانة، والتثبت والعقل الكامل، والشفقة وكمال الحضور مع الله تعالى، وحسن الإخاء مع مطلق النوع الآدمي ومطلق [الخلق]، والاشتغال بالله عن الحر والبرد، واطمئنان القلب وعدم الهلع والجزع، وعدم ثوران مقتضيات الحضرة النفسية؛ ليس من أثرات استقرار النبوة في مشكاة سره، ولبسه جلابيبها ونشرها عليه حلل كمالاتها، وإن كان هذا ليس جلبه دليلا على أنه نبي إذ ذاك، بل الدليل هو قوله: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»، وإنما هو ﷺ العبد المحض، ليس له في نفسه أمر، وإنما هو تابع أمر ربه جل أمره.

وإذا كان مطلق العارفين ليس لهم تدبير ولا اختيار مع الله تعالى؛ فكيف بأعرف العارفين وأعلم الحكماء؟!.

ولقد قال أهل الفن: إن الشيخ عبد القادر[2] لم يتوف حتى نقل من بساط الإذلال إلى مقام التفويض المحض؛ ليكون من أهل الإرث الكامل، وهم: المتنافسون في حيازة أسهم العبودية التي خلقوا من أجلها. وإذا كان عليه السلام هكذا، فكيف لا يعرف الإيمان مدة الأربعين سنة؟!.

وأخرج ابن سعد عن الربيع بن خيثم قال: «كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام»[3]، فهو ﷺ الأمين المطلق الذي لا تقيد أمانته

---

(1) مكارم الأخلاق، الخرائطي رقم الحديث: 193، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في العدة: 4996 وسنن البيهقي، كتاب: الشهادات، باب من وعد غيره شيئا ومن نيته أن يفي به، 10/ 198.

(2) يقصد الشيخ عبد القادر الجيلاني صاحب كتاب: "الغنية لطالب الحق" وغيره من المؤلفات.

(3) ابن سعد: "الطبقات الكبرى".

بقيد غريزة من خلقه العظيم، عرفه بها من عرفه منذ عرفه، وكذا العدل - وهو: وضع الشيء في محله، ومعاملته بما هو أهله من غير إفراط ولا تفريط - وحصول هاتين الخصلتين يستتبع حصول غيرهما.

وروى ابن إسحاق وغيره أنه ﷺ: كان يخرج إلى حِراء شهرا في كل عام يتنسك فيه، وكان من تنسك قريش في الجاهلية: أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة.

وبما رواه ابن إسحاق هذا؛ يعلم أن قول البلقيني: «ولم يجيء في الأحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده ﷺ من عدم عثوره عليه، ولا يتوهم أن تنسكه كتنسكهم، ولا تعبده كتعبدهم؛ للإجماع على أن الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

وقد ترجم على هذا الموضوع الشريف في "الخصائص الكبرى"[1]؛ فقال: باب اختصاصه ﷺ بحفظ الله - أي: إياه - في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية.

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ: «كان ينقل الحجارة للكعبة وعليه إزار، فقال له العباس- عمه: يا ابن أخي؛ لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك؛ يقيك الحجارة، فحله فجعله على منكبيه، فسقط مغشيا عليه، فما رئي بعد ذلك اليوم عريانا»[2].

وأخرج الشيخان عن جابر قال: «لما بنيت الكعبة، ذهب رسول الله ﷺ

---

(1) يقصد الخصائص الكبرى للسيوطي، (جزآن) مطبوع بحيدر آباد الدكن-الهند سنة 1320 هـ، وغيرها.

(2) ينظر: صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب بنيان الكعبة رقم الحديث: 3829، وكتاب الصلاة باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها، رقم الحديث: 364، ورواه مسلم في كتاب الحيض باب الاعتناء بحفظ الصورة ، رقم الحديث: 340.

والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة، ففعل، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم قام فقال: إزاري، فشد عليه إزاره»[1].

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن العباس، قال: «كنت أنا وابن أخي نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة، فإذا غشينا الناس اتزرنا، فبينا أنا أمشي ومحمد ﷺ[2]، أمامي؛ فخر؛ فجئت أبتغي وهو ينظر إلى السماء، فقلت: ما شأنك؟، فقام وأخذ إزاره وقال: نهيت أن أمشي عريانا. فكنت أكتمها الناس، مخافة أن يقولوا: مجنون»[3].

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي وأبو نعيم عن أبي الطفيل قال: «لما بنت قريش الكعبة، نقلوا الحجارة من أجياد الضواحي، فبينا رسول الله ﷺ ينقلها؛ إذ انكشفت عورته، فنودي: يا محمد، عورتك!. فذلك أول ما نودي، فما رأيت له عورة بعد ولا قبل»[4].

وأخرج ابن سعد وابن عدي، والحاكم وصححه، وأبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: «كان أبو طالب يعالج زمزم، وكان النبي ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام، فأخذ إزاره واتقى به الحجارة، فغشي، فلما أفاق؛ سأله أبو طالب، فقال: أتاني آت عليه ثياب بيض، فقال لي: استر. فكان أول شيء رأى رسول الله ﷺ من النبوة؛ أن قيل له: استر. وهو غلام، قال: فما رأيت عورته من يومئذ»[5].

---

(1) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها .. رقم الحديث: 1582.
(2) عند ابن إسحاق ومحمد صلى الله عليه وسلم قدامي ليس عليه شيء إذ خر محمد، فانبطح، فألقيت حجري، فجئت أسعى وهو ينظر إلى السماء فوقه، فقلت: ما شأنك؟ فقام، فأخذ إزاره ونهاني أن أمشي عريانا، فلبت أكتمها الناس مخافة أن يقولوا مجنون حتى أظهر الله عز وجل نبوته. ينظر: سيرة ابن إسحاق ص: 58.
(3) ينظر: البيهقي، دلائل النبوة 2/ 33.
(4) البيهقي، الدلائل 2/ 55، وأخرجه أيضا عبد الرزاق والطبراني والحاكم عن أبي طفيل.
(5) الطبقات الكبرى، ابن سعد 1/ 125.

وأخرج ابن سعد عن عائشة قالت: «ما رأيت ذلك من رسول الله ﷺ»[1].

وأخرج الشيخان عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾. [الشعراء/ 214]، نادى رسول الله ﷺ في قريش بطنا بطنا، فقال: «أرأيتم لو قلت لكم: إن خيلا بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟». قالوا: نعم؛ ما جربنا عليك كذبا قط. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبا لك؛ ألهذا جمعتنا؟. فأنزل الله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[2].

وأخرج أبو نعيم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب أكل ما ذبح لغير الله؛ فما ذقت شيئا ذبح على النُّصُب حتى أكرمني الله برسالته»[3].

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن علي قال: قيل للنبي ﷺ: هل عبدت وثنا قط؟. قال: «لا»، قالوا: فهل شربت خمرا قط؟. قال: «لا؛ ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان»[4].

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: حدثتني أم أيمن قالت: «كان بوانة صنما[5] يحضره قريش يوما في السنة، وكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد مع قومه، فيأبى. حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبى عليه يومئذ أشد الغضب، وجعلن يقلن: إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب

---

(1) المصدر نفسه.

(2) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية رقم 26 35 .

(3) ينظر :السنن الكبرى، البيهقي: 9/ 249 - 250، وكذا السنن الصغرى رقم: 4195-1731.

(4) ينظر: ابن إسحاق، السيرة، ص: 98.

(5) في الطبقات الكبرى لابن سعد كان ببوانة صنم: 1/ 125.

آلهتنا، وجعلن يقلن: يا محمد: ما تريد أن تحضر لقومك عيدا، ولا تكثر لهم جمعا؟!. فلم يزالوا به حتى ذهب، فغاب عنهم ما شاء الله، ثم رجع إلينا مرعوبا فزعا، فقلن له عماته: ما دهاك؟. قال: إني أخشى أن يكون بي لمم. فقلن: ما كان الله ليبتليك بالشيطان، وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيت؟. قال: إني كلما دنوت من صنم منها؛ تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي: وراءك يا محمد، لا تمسه!. قالت: فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبأ»[1].

وأخرج أبو نعيم عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: «مر علي جبريل وميكائيل وأنا بين النائم واليقظان بين الركن وزمزم، فقال أحدهما للآخر: هو هو؟، قال: نعم؛ ونعم المرء هو، لولا أنه يمسح الأوثان، قال النبي ﷺ: فما مسحتهن حتى أكرمني الله بالنبوة»[2].

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن النبي ﷺ: قام مع بني عمه عند أساق، فرفع رسول الله ﷺ بصره إلى ظهر الكعبة ساعة ثم انصرف، فقال له بنو عمه: «مالك يا محمد؟»، قال: «نهيت أن أقوم عند هذا الصنم»[3].

وأخرج الحاكم وصححه، وأبو نعيم والبيهقي عن زيد بن حارثة قال: «كان صنم من نحاس يقال له: أساق أو نائلة، يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ فطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ: لا تمسه!. فقال زيد: فطفنا به، ثم قلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر ما يكون. فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: ألم تُنه؟. قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل

(1) البيهقي ،دلائل النبوة 1/ 138 .
(2) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير 2/ 187 ، الخصائص الكبرى، السيوطي 1/ 89، سبل الهدى 2/ 199-200 .
(3) ابن سعد، الطبقات 1/ 158.

عليه الكتاب ما استلمت صنما، حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه»[1].

وأخرج أحمد عن عروة بن الزبير قال: حدثني جار لخديجة بنت خويلد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لخديجة: «أي خديجة: والله لا أعبد اللات أبدا، والله لا أعبد العزى أبدا»[2].

وأخرج أبو يعلى وابن عدي والبيهقي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: «كان النبي ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم، فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه: اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله ﷺ، قال: كيف تقوم خلفه، وإنما عهده باستسلام الأصنام قبيل؟. فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم»[3]. قال الطبري والبيهقي: «قوله: إنما عهده باستلام الأصنام، يعني: إنه شهد مع من استلم الأصنام، لا أنه استلمها. والمراد بالمشاهد التي شهدها: مشاهد الخلق ونحوه، لا مشاهد استلام الأصنام»[4].

وقال ابن حجر في "المطالب العالية": «هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبي شيبة فبالغوا. والمنكر منه عن الملك: عهده باستلام الأصنام. فإن ظاهره أنه: باشر الاستلام، وليس ذلك مرادا، بل المراد أنه: شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم»[5].

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن جبير بن مطعم قال: «لقد رأيت رسول الله صلى الله ﷺ في الجاهلية وهو يقف على بعير له بعرفات من

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي 2/ 34. وانظر البداية والنهاية 2/ 312، الخصائص الكبرى (1/ 89)، سيرة الذهبي، ص: 81.

(2) المسند 4/ 222- مجمع الزوائد، الهيثمي 8/ 225 ودلائل، النبوة 2/ 35، البداية والنهاية، ابن كثير 2/ 312-313 والسيرة لابن هشام 1/ 238.

(3) البيهقي، دلائل النبوة 2/ 35 -البداية والنهاية 2/ 312 من حديث ابن شيبة ورواه أبو يعلى وابن عدي وابن عساكر عن جابر عن عبد الله، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال 3/ 35.

(4) البيهقي: "دلائل النبوة": 2/ 36.

(5) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني (773هـ-852هـ).ص131.

بين قومه حتى يدفع معهم توفيقا من الله سبحانه له»[1].

وأخرج الشيخان عن عائشة قالت: «كانت قريش ومن دان دينها - وهم: الحمس - يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الحرم»[2].

وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده، والبغوي في معجمه، و البارودي في "الصحابة" عن ربيعة الجرشي قال: «رأيت رسول الله ﷺ واقفا في الجاهلية بعرفات، فعرفت أن الله وفقه لذلك»[3]. ثم قال[4]: باب خصوصيته ﷺ بتعظيم قومه له في شبابه، وتحكيمهم إياه، والتماسهم دعاءه، وتسميته بالأمين[5].

أخرج يعقوب بن سفيان والبيهقي عن ابن شهاب أن قريشا: لما بنوا الكعبة فبلغوا موضع الركن؛ اختصمت في الركن - أي: القبائل يلي رفعه - فقالوا: «تعالوا نحكم أول من يطلع علينا»، فطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام، فحكموه، فأمر بالركن فوضع في ثوب، ثم أخرج سيد كل قبيلة، فأعطاه ناحيته من الثوب، ثم ارتقى فرفعوا إليه الركن فوضعه هو، ثم طفق لا يزداد على ألسن إلا رضى؛ حتى دعوه: الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي، فطفقوا لا ينحرون جزورا إلا التمسوه، فيدعوا لهم فيها[6].

---

(1) ينظر :سيرة ابن إسحاق، ص: 76.

(2) ينظر: صحيح البخاري كتاب الحج، باب التعجيل إلى الموقف، رقم 1665 وكتاب تفسير القرآن باب ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس رقم الحديث: 4520.

الحمس: هم أهل الحرم ومن ولدوا من العرب من ساكنة الحل الحرم ومن دخل معهم من العرب مثل كنانة وجديلة رأوا أن لهم منزلة فوق منزلة بقية العرب، ولذلك ميزوا أنفسهم عنهم بأن تركوا الوقف على عرفة والإفاضة منها. ينظر : الفتح الباري / البخاري 7/ 320 ح : 1665 مسلم 2/ 893- 894، ابن هشام 1/ 256، ابن كثير 2/ 313.

(3) ينظر البخاري، كتاب الحج، باب التعجيل إلى الموقف ، رقم: 1664.

(4) يقصد: جلال الدين السيوطي.

(5) ينظر سيرة ابن إسحاق 76/ 90- سيرة ابن هشام 129.

(6) ينظر المطالب العالية رقم: 4287، ومجمع الزوائد 8/ 1229، قال الهيثمي رواه الطبري في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

وينظر أيضا: البيهقي، دلائل النبوة 2/ 57 ،سبل الهدى والرشاد (2: 232) ابن سعد الطبقات 1/ 69 والحاكم- المستدرك (1/ 458).

وأخرج أبو نعيم وابن سعد عن ابن عباس ومحمد بن جبير بن مطعم، قالا: «لما وضع رسول الله ﷺ الركن، ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي ﷺ حجرا يشد به الركن، فقال العباس: لا- ونحاه - وناول العباس النبي ﷺ حجرا، فشد به الركن. فغضب النجدي فقال: واعجبا لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سنا، وأقلهم مالا؛ فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له، أما والله ليفوتنهم سبقا، وليقسمن بينهم حظوظا وجدودا، ويقال: إنه إبليس لعنه الله»[1].

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن داود بن الحصين قال: «شب رسول الله ﷺ أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما وأمانة، وأصدقهم حديثا، وأبعدهم من الفحش والأذى، ما رئي مماريا ولا ملاحيا أحدا؛ حتى سماه قومه: الأمين»[2].

وأخرج أبو نعيم عن مجاهد قال: حدثني مولاي عبد الله بن السائب قال: «كنت شريك النبي ﷺ في الجاهلية، فلما قدمت المدينة قال: تعرفني؟، قلت: نعم؛ كنت شريكي، فنعم الشريك، لا تداري ولا تماري»[3].

[بأي شيء كان يتعبد ﷺ قبل الأربعين؟]:

فإن قلت: وحيث وصلنا إلى هاهنا؛ فبأي شيء كان يتعبد مدة الأربعين؟.

قلت: أجيب عن ذلك بأجوبة:

فقيل: بشريعة جميع الرسل عليهم السلام. ويبحث فيه بأن صاحب هذا القول إن عنى بشرائعهم: الأصول التي اتفقت عليها جميع الرسل، وهي: التوحيد، فيقتضي أنه مقلد، مع أن الخروج عن ربقة التقليد لمطلق عوام المؤمنين متيسر، فكيف له؟. على أنه قيل من قبل آل البيت النبوي: إنما ربى ﷺ

(1) ابن سعد، الطبقات، 1/ 116-117.

(2) المصدر نفسه..

(3) لم أقف عليه.

يتيما لئلا يكون عليهم به حق لمخلوق، وتتطرق هذه العلة هنا - أيضا - على أنه يقتضي أن التوحيد الفطري الذي كان له منه في عالم الذر، لم يستصحب معه؛ حتى احتاج في عالم الشهادة من يعلمه التوحيد حتى لا يبقى جاهلا، مع أنه يقول في مطلق المؤمنين: «كل مولود يولد على الفطرة»(1).

فإذا كان جميع المولودين يولدوا على فطرة التوحيد الحقيقي الكشفي، المأخوذ على سبيل المشاهدة والمكاشفة، فكان الله تعالى هو المعرف للأرواح ثمة نفسه القدسية، فلا سفير بينه وبين الأرواح إلا خطابه الأزلي الذي أخذ الأرواح عن لبها لما سمعته حتى أقرت بداهة؛ فكيف تكون فطرة العلماء؟، فكيف فطرة دوائر الولايات؟، فكيف فطرة الأنبياء؟، فكيف فطرة الرسل؟، فكيف فطرة أولي العزم من الرسل ؟ فكيف فطرة ممدهم في عالم الأرواح وعالم الأجسام؟ فلا تستصحب فطرته التوحيدية معه فيستغنى بها عن متابعة غيره؟، فلا يكون حكمه حكم المقلد.

فإن قال: لم يستصحب معه؛ فدونها خرط القتاد، لأنه نفى عنه - عليه السلام - ما أثبت للمولودين.

وإن قال: استصحب معه. فأي معنى لمتابعته غيره فيها مع أنها حاصلة له ومتلبسة به ومتلبس بها؟، إلا أن يكون صاحب هذا القيل أراد أن يلبسه جلباب التقليد، مع أن التقليد مستغن عنه صاحب الدليل الإجمالي، فضلا عن التفصيل، فضلا عن صاحب المشاهدة، فضلا عمن كان "نبيا وآدم بين الروح والجسد".

على أن متابعته للأنبياء في التوحيد يقتضي أن ثم من أرشده وعلمه وهداه، إما بنزول ملك عليه وتعليمه له؛ وهم لا يقولونه. أو لبقايا أديانهم؛ ولم يعقل عنه أنه تردد لمكتب ولا لمعلم. ولما قالوا: إنما يعلمه بشر؛ رد الله عليهم

---

(1) ينظر صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب" ما قيل في أولاد المشركين رقم الحديث: 1385.

وجهلهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل/ 113]، قال تعالى: إن لسان ذلك العبد الذي يتردد إليه أعجمي وهو يحاوركم ويساجلكم بلسان عربي، فلو كانت لذلك العبد أستاذية على سيدنا محمد؛ لبلغ ما بلغ بلسان ذلك المرشد والمعلم له لا بلسان آخر.

فإن قلتم: إنه يتلقف منه الكلام الأعجمي وعَنْوَن عنه، و هو من قبل عارضته الكريمة بلسان عربي، فكان ذلك العبد ليست له عليه مشيخة، لأن مناط الإعجاز الذي هو القرآن، والفرض أنه أخذه عن ذلك الأستاذ - بزعمهم - لم تكن لذلك العبد فيه روية ولا إمرة، فلا مشيخة له عليه، فكيف تنسبون ما يأتي به لذلك الخلق البشري؟!.

وإن قلتم: إنه تلقف منه الكلام الأعجمي، وأبلغكم الكلام الأعجمي فلم لم تزنوا عليه بهذا المردد، وتقولوا: إنه كلفكم أن تعارضوا ما ليس في سجيتكم، ولم تكن لكم به دراية. فلما لم تفعلوا ولم تعلموا ما يقولون؛ علمنا أن البله أوصلكم لهذه المغالطات لا غير. ومحصول هذا: قول الله العظيم: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل/ 113].

على أنكم إذا أثبتم له التلقي من ذلك العبد، والترجمة عما تلقاه منه بغير لسان ذلك المعلم - مع أنكم لا تقتدرون على التعبير بلغتكم عن غير لغتكم، ويقوم بها الإعجاز على غيركم - أفلا تثبتون له الاقتدار على أن يتلقى من عالم الغيب الذي أعوزكم عن الوصول إليه عدم صلاحيتكم لما صلح هو له من الاصطفاء الرباني والاجتباء الرحماني كما لم تقدروا أن تعنونوا عن العجمية بالعربية؟ .

ولما - قالوا أيضا - فيما كان يحدث به عن الله جل أمره: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان/ 5]؛ رد تعالى عليهم وأضرب عما أدلوا به بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان/ 6]. وما أحسن موقع هذين الاسمين - هنا - مع أن المردود عليهم قوم ليسوا بإحسان، فهما كالخيلان على وجنات الحور.

فهذان الطريقان بهما يمكن التوصل للعلم؛ وهما: التعليم، ومراجعة الأساطير. ولما خدش رب محمد في هاذين الإدلاءين؛ ثبت نقيضهما.

ولتعلم أنه: ما ثبت له هذا إلا من حيث إنه نبي، ولم يكن في وقت من أوقات وجوداته هو وليس بنبي، فما ثبت له بعد الإنباء العام يثبت له قبل.

والخاصية المقتضية لذلك - وهي: النبوة - بعد؛ موجودة قبل، فبان أنه لم يصح اتباعه لهم في التوحيد، لأنه أول موحد لله تعالى ومقر له بالربوبية، لا في عالم الذر ولا في عالم الأجسام.

ويأتي الجواب على ما يقتضي ظاهره خلاف ذلك، هذا محصول الجواب الأول وما له وما عليه.

[الجواب الثاني والثالث والرابع والخامس]:

الجواب الثاني والثالث والرابع والخامس: أنه متعبد بشرع سيدنا آدم، أو شرع سيدنا نوح، أو شرع سيدنا موسى، أو شرع سيدنا عيسى.

ويرد عليها: ما أورد على الذي قبلها إن أراد التوحيد وإن أراد الفروع؛ فلا مرية أنها اختلفت فيها الشرائع، فبعضها إلى الطرف الأعلى في العزومات وبعضها إلى الطرف الأدنى في الترخيصات.

وشريعتنا المحمدية ليست كذلك؛ فهي بين بين، فليست في الإفراط ولا في التفريط، فلم يظهر لنا موضع التباعد لهم، فما وافق منها شرعه الكريم الواسع الذي شمل القوابل والنشآت والطبائع على اختلافها، فالحجة عنده: أمر ربه سبحانه، له وعندنا: ما شرعه هو لنا عن ربه، لا ما كان مشروعا قبل، وما خالف منها؛ فهو منسوخ، فلم يدر محل الخلاف حتى يقع هذا الاختلاف بين الأصوليين والمتكلمين قديما وحديثا.

قلنا: ولو كان متعبدا بشرع من قبله؛ لظن أنه من أتباعه، ولاحتج به أهله عليه يوما، ولم يوجد.

فإن قلت: أين أنت من آية: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النحل/ 123]، وآية: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام/ 90].

الجواب: الحق عندنا في ذلك أن تقول: إن ربنا جلت عظمته لما أكثر إلقام المرجفين بالحجج الداحضة لهم ما قام في أنفسهم، ولم يرعووا، ولم يحدث لهم وازع من نفسهم روحانيا يظهر لهم سماجة ما هم عليه من عدم الانقياد لما جاء به ذلك الرسول، وأنهم استكبروا عن قبول الحق، وكان سبحانه رحيما بعباده؛ هب أنهم لم يرجعوا بمائة حجة، لا يزال يقيم عليهم الحجج حتى يرجعوا، لئلا يتركهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة/ 15]، وحتى يصيبهم من تلك الرحمة التي ﴿وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف/ 156] أشياء، ولكن كما يقيم عليهم الحجج؛ يقيمها لهم، لأنهم ليس لهم من أمر نفسهم شيء، فأوقع في قلوبهم تسليم نهج سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وما كان عليه، حتى إن دين سيدنا إبراهيم كان مسلما عند جميع الأديان.

فلما أوقع هذا بقلوبهم ووطد نفسهم عليه؛ أمر سيدنا محمدا ﷺ بالايتساء بملة سيدنا إبراهيم والاهتداء بهديه. وليس القصد من ذلك إلا أن يقول: حيث اتبعت الآن سيدنا إبراهيم، وكان على الحق عندنا نحن؛ نتبع هداه الذي تلبست أنت به، وليس متبوعنا في الحقيقة إلا هو. وكان القصد الرباني من ذلك أنهم: يخالطوا سيدنا محمدا وأصحابه كي يتعلموا منهم ملة سيدنا إبراهيم حتى يصح لهم الاقتداء والايتساء والمخالطة معهم....(1)، الإسعاد الديني والدنيوي والبرزخي والأخروي. فمع من تكن مجاله تكن مع تواتر شعشعانية أنوار النبوة عليهم كل وقت وحين، وترادف أنواع الإعجاز عليهم، وتواطي الرائين للمعجزات والإخبار بالمغيبات، وتكشفهم هم لسني الأحوال وواضح

(1) هكذا بياض في الأصل.

المحجات التي لو رآها سيدنا إبراهيم وهو في عالم الشهادة؛ لكان أول تابع لصاحبها؛ كما يقول المرجوع إليه غيبا وشهادة: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي».

فبان لك - أيها الطالب للحق - أن القصد من أمره عليه الصلاة والسلام باتباع ملة سيدنا إبراهيم ليس إلا اصطياد من أبى واستنكف عن متابعة الفلك المحيط والبحر الطام الفياض بأنواع الكمالات؛ لما علم منهم أنهم يتبعوه ضرورة. أو حالة أمره بامتثال هذه الآية الكريمة كان نبينا رسولا، وكان الوحي يتجدد عليه والملائكة تنزل عليه "أناء الليل وأطراف النهار".

فإذا لم تحمل الآية على هذا المعنى الرشيق؛ تكاد أن لا يبقى لها معنى. فافهم إن كنت من الذين أخذوا عنهم وتلقوا العلم من رسول الله ﷺ، وإلا؛ فليشتغل الإنسان بالتنزه عن المخالفات حتى يتفرغ للاعتراض على خواص الله في أرضه. نظير بعض المشايخ يكون في وقته، بل في دهره "لا يعزز بثان"[1] في العلم بالله تعالى ودوام الترقي والخوض في باطن سيدنا محمد ﷺ متى شاء. ومع ذلك تصم على حديثه اللذيذ القريب العهد من الله سبحانه الآذان، وتعمى عنه العيون، فيحتاج في إيصال الرحمات المدخرة لأهل وقته إلى سياسة، مثل أن يتظاهر بأنه يلقن وردا من أوراد بعض الطوائف المسلمة عند أهل ذلك الوقت حتى يخالطوه فيسهل عليهم إذ ذاك الاطلاع على أمره ومعرفته. فما هو عليه مما لو أدركه ذلك المنسوب إليه؛ لما وسعه إلا الأخذ عنه، والجثو على ركبتيه معه ولو كان بينهما بعد المشرقين؛ لأنه يتأدب مع خليفة الله سبحانه في الأرض، ولا تختص خلافته بكونه بين يديه.

وهكذا وقع؛ فإن سيدنا محمدا لما ظهر لهذا العالم الشهادي؛ تجدد له

---

(1) هذا يذكرنا بقول الكتاني:

وتالله إن الدهر شرف أعصرا بكم، وعقيم أن يعزز بثاني

ينظره ضمن أطروحتنا: شعر محمد بن عبد الكبير الكتاني: جمع وتحقيق ودراسة.

ميثاق آخر في عالم البرزخ، فأخذ على الأنبياء والرسل والملائكة بأن يقروا به إقرارا آخرا، قالوا: أقررنا، قال تعالى: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ 81]. ولذلك الإشارة بقوله يوم النحر في حجة الوداع كما في الصحيحين: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلقه الله»[1]. فإن الزمان يوم خلقه الله - سبحانه - أخذ فيه العهد والميثاق على الأنبياء والرسل: لئن جاءهم الرسول الأعظم، والنبي المستقل؛ وهو العلم الذي لا يشبه سيدنا محمد، ليؤمنن به ولينصرنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ 81].

ثم لما برزت الجسمانية المحمدية، وكانت فص خاتم هذا العالم؛ "استدار الزمان"، فهو في الترتيب الوجودي زمان آخر، وفي الترتيب التفصيلي زمان أول، وفي الترتيب عند الله سبحانه هو عين ذلك الزمان الأول. واعتبر بقوله: «إن الزمان قد استدار»[2]. تبصر العجب العجاب، ولكن ما أراك تدرك هذا بالكشف إلا إن اكتحلت بإثمد أنوار البصر المحمدي؛ فأخذت لها العهود والمواثيق - زيادة في الاحتفال بها وبقدرها، وتذكيرا لأهل العوالم الغيبية، وأهل الملأ الأعلى؛ أن يزدادوا في الالتفات إليه وإلى وساطيته، وملاحظة حبله المتين الموصول بين كل فرد من أفراد الموجودات وبينه.

فشد يدك على هذا السر في أمر الحق سبحانه لنبيه بأن يهتدي بهدي سيدنا إبراهيم؛ فإن لسان الوقت أبرزه. وما رأيت أحدا من أهل الله ممن تقدمنا نبه عليه، فلا أدري ألم يطلعوا عليه؟. أم اطلعوا عليه وكتموه؟. أم المسألة لما كان

---

(1) ينظر صحيح البخاري كتاب المغازي، باب حجة الوداع، رقم: 4406 وكتاب التوحيد "باب قل أي شيء أكبر شهادة ،قل الله" رقم: 7447...

(2) المصدر السابق.

لا يعرفها إلا من كان يعلم سر القدر؟. وانظر هل علموه أم لا؟.

وأزيدك بيانا في أنه: لم يؤمر باتباع هديهم ولا شرائعهم؛ فنبهت عليه الآية الأخرى؛ وهي: قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام/ 90]. فلم يقل: "فبهم"، أو: "بشرائعهم" اقتده. وغير خفي أن هديهم هو هدى الله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران/ 73]. وليس القصد من إخراج هذا الخطاب هكذا؛ إلا ما أشرنا إليه من مراعاة اصطيادهم بأي وجه أمكن. ولما اقتضى الحال ذكر سيدنا إبراهيم ذكر، ولما اقتضى الحال ذكر غيره من الأنبياء ذكر.

وأما ما ذكروه في الجواب عن هذه الآية الكريمة بأن المراد به: الاقتداء بهدي الأنبياء من حيث الإخلاص، مثل: صبر سيدنا يوسف، وزهد سيدنا عيسى، وخلق سيدنا آدم، ومعرفة سيدنا شيث؛ فقد علمه الله سبحانه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادته في كل ساعة منها. وشجاعة سيدنا نوح؛ ويكفي من شجاعته: مكثه بين قومه ألف سنة إلا خمسين عاما مع تعنتهم وكفرهم وقلة من آمن به، وهو لا يبالي، ويقاومهم كلهم. وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل؛ فكان أول من فتق الله لسانه بالعربية. ورضى إسحاق؛ أي: على الذبح. وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وشدة موسى؛ أي: في الدين. وصبر أيوب، وطاعة يونس لله تعالى من صغره؛ فإنه لما بلغ سبع سنين قال لأمه: «أريد كسوة الصوف حتى ألحق بالعباد»، فلم تجبه، فلم يزل بها حتى كسته، وكان معهم حتى تم له خمس عشرة سنة. وجهاد يوشع؛ أي: ابن نون؛ قاتل الجبارين بعد موسى يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم. وصوت داود، وحب دانيال.

وروى البيهقي أن دانيال طرح في الجب وألقيت عليه السباع؛ فجعلت تلحسه وتبصبص إليه، وأرسل له الله ملكا بطعام.

وروي عن ابن أبي الدنيا أن الملك الذي كان دانيال في سلطانه قال له منجموه: «يولد ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك»؛ فأمر بقتل كل من يولد في

تلك الليلة، فلما ولد دانيال؛ ألقته أمه في أجمة أسد، فبات الأسد ولبوته يلحسانه، ونجاه الله سبحانه.

ووقار إلياس؛ من ذرية هارون؛ كان على صفة سيدنا موسى من القوة والغضب، وسخر الله سبحانه له الجبال والأسود، وأعطي قوة سبعين نبيا. وعصمة يحيى بن زكرياء؛ قيل: تعلم التوراة في صغره، وقيل: إن صبيانا دعوه للعب في صغره، فقال: «أللعبَ خُلِقنا؟»، وزهد عيسى؛ وأغمسوه في أخلاق النبيين، فهذا الإغماس في أخلاق النبيين هو المعبر عنه: بهداهم في الآية الكريمة عند هذا المجيب. وهذا الجواب هو المختار عند المختارين من أهل التفسير.

ويرد عليه: أن الحضرة الأحمدية هي الموروثة في حضرة الجمع والوجود الروحاني، فعنها تلقيت هذه الكمالات والمناقب ضرورة أنها القاسمة أمداد الخزائن الإلهية، على أجناد الدوائر الملكية؛ لا في عالم الأجسام ولا في عالم الأرواح. فهي التي ورّثت هذه الأخلاق لمن وصفوا بها من دوائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في عالم الأرواح، ثم لما برزت الحقيقة المحمدية لعالم الشهادة؛ ورثتها منهم في عالم الفرق والوجود الجسماني.

فلعل المفسر نظر لهذه الحيثية، وإلا ؛ فأرواح العلماء وقلوب العارفين من المرسلين والنبيين وجميع عباد الله الصالحين تتلقى من روحه ﷺ العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكوتيه. ولهذا سمي روحه: أبو الأرواح. فعلوم العلماء ومعارف العارفين وحكم الحكماء كلها مستفادة من علومه ﷺ. وحكمه ومعارفه وكل ما علمه العالمون واستفاده العارفون وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم الجميع؛ نقطة من بحره ﷺ، فهو: بحر العلوم ومنبعها، وقلبه معدنها، وباطنه مهبطها ومرساها.

ولهذا؛ إذ لقي أبونا آدم عليه السلام الحقيقة المحمدية يقول لها: «يا والد ذاتي وولد معناي». فروحه ﷺ تمد كل ذي روح في إظهار كل علم فطري شريف ومعنى لطيف وخاصية بديعة، فجميع ذلك من آثار روحه الشريفة،

الواصلة منها إلى كل ذي روح روحانية.

وبعد هذا؛ فلنرجع لتمام أجوبة المفسرين عما استشكل من ظاهر الآية الكريمة؛ أعني: قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾؛ الذي ظاهرها مفزع؛ وهو: اقتضاؤه أن لا يكون عليه الصلاة والسلام قبل الوحي مؤمنا بالله تعالى ولا بوحدانيته، إذ هذا ظاهرها، وأجابوا عن ذلك بأجوبة، وتقدم أولها وما أوردناه عليه في أزيد من كراسة.

[الجواب الثاني من أجوبة المفسرين]:

الجواب الثاني من أجوبة المفسرين: أن صفات الله تعالى على قسمين:

أ. منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل.

ب. ومنها ما لا يمكن معرفته إلا بالدلائل السمعية.

فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته خاصة قبل النبوة، ويرد كل ما أورد على الأول، ويقتضي أيضا أمورا:

الأول: الجهل بعدم معرفة الفرق بين معرفة الأنبياء والرسل وأولي العزم وسيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام وبين مطلق عامة المؤمنين وخاصتهم بالله عز وجل، وأن العالم كله على حد السواء في كونه خلق على سذاجة الجهل، ثم بعد الإنباء العام؛ عرف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ربهم بماله من الكمالات. والعامة بعد التعليم؛ عرفوا بواسطة الدلائل ربهم. فهذا غاية مؤدى هذا الجواب، وهو قد أفاد أنواعا أخر من سوء الأدب، لم تخطر قبل على بال، مع أن المقصود به دفع الإشكال، فإذا به أورث إشكالات أخر.

وينبغي لك أن تعلم أن معرفتنا بالله تعالى نحن ومعرفة الأنبياء والرسل بربها ومعرفة أولي العزم من الرسل ومعرفة الإنسان الكامل؛ ليست على حد السواء، مع القطع بأن بداية الأنبياء - عليهم السلام - في معرفتهم بالله عز وجل، ما وصل إليها الصديق الأكبر الذي لم تطلع على مثله الشمس بعد نبيه، فضلا عن غيره من الصحابة الكرام، فضلا عن غيرهم من الأجراس ومفاتيح

الكنوز والأغواث والأقطاب وأهل الدوائر الأخرى.

فليت شعري إذا كانت نهاية القطب هي بداية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بيقين؛ فليت شعري ما ترقى بعد في زمن أطوار تلقياته في المشاهد والترقيات إلى أن خرج من الدنيا، ومع ذلك نهايته هي بداية الأنبياء، فليت شعري بماذا يعبر عنها؟!، وأخبرني هل نهاية أبي بكر الصديق كان لا يعلم التوحيد الجملي، فضلا عن التفصيلي، فضلا عن التوحيد الفطري الذي عرفته الأرواح، وشاهدته بدون دلائل ولا براهين كونية، التي لم تخرج عن عالم التقييد وحضرته؟ .

بلى؛ إنه على حالة عظيمة مع الله تعالى لا تطاق ولا تكيف، حتى ورد فيه: أن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة[1].

فلو التفت لهذا القدر من العلم الذي لا تعذل في الجهل به؛ علمت أنك لم تقدر أنبياء الله ورسله حق قدرهم، مع أن الأفاضل إن ترجمتهم الطبقات والتواريخ؛ فهؤلاء عليهم الصلاة والسلام ترجمتهم يد العنايات الإلهية في الأزل قبل وجودهم، اصطفاهم مولاهم لتبليغ دينه إلى خلقه، وأمنهم على سر وحيه، وأوجب على أهل عصرهم متابعتهم ومؤازرتهم. فما عساك أن تقول فيهم؟. وكيف لا تقبل ما أخبرناك عنهم من مرتبتهم السامية عند ربهم سبحانه؟. فكيف أنت تقر بأن نهاية أبي بكر الصديق هي بداية مطلق الأنبياء عليهم السلام، وأنت تصفهم بأنهم يعرفون الله عز وجل بالدليل والبرهان وسواطع العقل؟. وإذا لم تقل هذا؛ لزمك القول بمساواة الأنبياء والرسل وسيد العالمين ومطلق المؤمنين في كمالاتهم وعلومهم ومعارفهم وبدايتهم وأواسطهم ونهايتهم.

والقول بهذا قدح في منصب النبوة، واستنزال له عما رفعه إليه ربه الذي أودعهم أسراره وأنواره.

---

(1) لم أقف عليه.

وإذا قلت بعدم المساواة، وأن منتهى علم الصحابة ومسيرهم هو بداية مطلق الأنبياء عليهم السلام؛ يلزمك أن لا تقول بأن معرفتهم بالله جل أمره موقوفة على الدلائل الآفاقية، مع أن ذواتهم ونشآتهم ليست كالذوات ولا كالنشآت، لأجل ما جبلوا عليه من الطهارة الأصلية والنزاهة المؤذنة بالعصمة.

وأيضا؛ فإن عنايات الله سبحانه بمن أرادهم للسفارة بينهم وبين خلقه، وهيأهم لمجالسته ومناجاته دائما، أن يشهدهم جماله الأقدس وأسراره الكبرى في خلواتهم كجلواتهم، وأن لا يحجبوا عنه لا في عاداتهم ولا في عباداتهم، ويكون نومهم كيقظتهم. حتى كانت رؤيا الأنبياء وحيا؛ للوثوق بإخباراتهم ويقظة قلوبهم ونزاهة أسرارهم من التشبث بأغيار الكائنات وملاحظة الرعونات، ويكفيك إن لم تقل؛ فأعظم من هذا القدر. ولئن قلت به لا تقدر أن تقول: إن الأنبياء عليهم السلام ذاقوا طعما للجهل. وإذا لم يذوقوا طعما للجهل؛ فلم تتقدم معرفتهم بالحق جل جلاله جهالة به أصلا، وخصوصا في الحضرة المحمدية!.

وعليه؛ فيحتاج لما يدفع به ظاهر إشكال الآية الكريمة، وما دفعوه به احتجنا لما يدفعه هو أيضا؛ لما أنه انبنى على أمور الجهل بها مضر في العقائد، فينبغي الرجوع لما أثبتناه في هذه الرسالة، فبه ينقشع عن سماء المسألة السحاب، ويرتفع عن القلب القيد والحجاب.

وأيضا؛ إن هذا الجواب انبنى على أن حضرات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لم يبادهم ربهم العظيم في أول نشأتهم بها؛ عرفهم به نفسه ونعوته وحضرات أسمائه وصفاته قبل أن يكون عليه السلام ضرورة، إنه لم يأتهم إلا على رأس الأربعين سنة. وهذا يقتضي أنهم أيضا لم يكونوا على الدين القويم إلا على رأس الأربعين سنة، مع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال: الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر، مع أن الله تعالى العالم باستعداداتهم يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام/ 85].

ولم يقل: وكذلك رأى إبراهيم. فلم يكله إلى نفسه في المعرفة، بل أخذه عنه وأراه ملكوت السماوات والأرض حتى يكون من الموقنين. والإيقان: أرفع درجة من الإحسان الذي هو أرقى من الإسلام الذي هو فوق الإيمان، ضرورة أن الإيقان يقتضي مكاشفة الأشياء عيانا، بخلاف الإيمان؛ فيقتضي أن صاحبها صاحب إيمان بالغيب. ولذلك قال تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة/ 2، 3]، ثم لما ذكر تعالى الآخرة قال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة/ 3]، بعدما وصف المؤمنين أولا.

فإذا فهمت هذا؛ تعرف بداية الأنبياء ما هي، وهو صريح القرآن، فإنكار هذه المعرفة إنكار للقرآن وتكذيب له، ويلزم صاحبه القدح في إيمانه. وكذا قال تعالى بعد أن سمى عدة من أنبيائه ورسله عليهم السلام بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام/ 84 - 86]. ثم قال: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام/ 87].

فانظر كيف صرح الله تعالى بأنهم مجتبون لا منيبون، والمجتبي عند الصوفية هو: المجذوب السالك بلسان آخر. وإلى الفرق بينه وبين السالك المجذوب أشاروا بقولهم: «اهتدى إليه الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم؛ لأنهم لله، لا لشيء دونه، ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام/ 91]». وقالوا أيضا: «شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا؛ فمتى غاب حتى يستدل عليه، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي الموصلة إليه؟». وقالوا أيضا: «فإن باقي الجواب يكشف لهم عن كمال ذاته، وأولئك هم المجتبون، وأول رؤسائهم: أنبياء الله ورسله، ثم يردهم إلى شهود صفاته، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه، ثم يردهم إلى شهود آثاره».

والسالكون على عكس هذا؛ فنهاية السالكين بداية المجذوبين، وبداية المجذوبين نهاية السالكين، لكن لا بمعنى واحد، فربما التقيا في الطريق، هذا في ترقيه وهذا في تدليه، وحيث أثبت لهم العالم بالكليات والجزئيات أنهم مجتبون، وقد علمت معنى المجتبى؛ وهو من يباده أولا بالذات الأقدس - جل أمره - ثم يرد لشهود الصفات، فيشاهدها. والمشاهدة أقوى من الإخبار؛ فأي صفات سمعية لم يستفدها سيدنا ﷺ من الكشف الذي يقتضيه عدم تقدم ذوقانهم للجهل بما يرجع إليه وصفاته. وهذا في مطلق الأنبياء فضلا عن مركز دائرة الأنوار صلى الله تعالى عليه.

فهذا الجواب - أيضا - لم يصح؛ لما لزم عليه كما طرق سمعك. وإذا أنشد في العارفين وما ظفروا بذلك إلا بصدق متابعتهم لهم وحسن تأسيهم بهم ومشيهم على سنن هديهم؛ فليت شعري ما يقال فيه ﷺ:

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرون
وألسنة بأسرار تناجي ... تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريش ... فتأوي عند رب العالمين
فترتع في رياض القدس طورا ... وتشرب من بحار العارفين
عباد قد سروا بالسر حتى ... دنوا منه وصاروا واصلين

وقالو أيضا:

جال لهم علم بما جهل الورى ... لهم صار مكشوفا فنحّى حجابه
فأسرار غيب عندهم علمُ كشفها ... وقد سكروا مما يطيب سرابه
أولئك هم أهل الولاية نالهم ... من الله منها فضله وثوابه
وقُرب وأنس واجتلاء معارف ... ووارد تكليم لذيذٌ خطابه
بترك الهوى أمسوا يطيرون في الهوى ... ويمشون فوق الما أمينا جنابه

[أقسام الناس في السلوك]:

ومن هنا تعلم أن الناس أقسام ثلاثة:

1- قوم استدلوا على الحق جل شأنه بالأثرات؛ وهم أهل الفرق الأول.

2- وقوم استدلوا به عليها؛ وهم أهل الجمع. فأما المستدل به؛ فعرف الحق لأهله، وأثبت الأمر من وجود أصله. وأما المستدل عليه؛ فلعدم الوصول إليه، وإلا؛ فمتى غاب حتى يستدل عليه؟!. ومتى بعُد حتى تكون الأثرات هي التي توصل إليه؟!. أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟!. فأهل الاستدلال به أهل اجتباء، والمستدلون عليه أهل إنابة. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى/ 13].

3- وثم قسم ثالث؛ وهم: الذين تجلى الحق سبحانه لبصائرهم وقلوبهم، وأقامهم مقام العيان، فلا استدلال عندهم أصلا، لا بحسب الترقي ولا بحسب التدلي. أما بحسب الترقي؛ فلإدراك الجذب لهم، ونزول العيان بهم فجأة من غير تدريج في حق غير الأنبياء. وأما الأنبياء عليهم السلام؛ فمعرفتهم فطرية، جبلوا عليها من أول نشأتهم. وأما بحسب التدلي؛ فبإلقائهم في بحر الفناء والمحق في غير الأنبياء. فجمع لهم بين القوتين؛ فقواهم - جل ثناؤه - على أكمل الشهود، وعلى أكمل معرفة طباع الخلق ونفوسهم ومقاماتهم؛ لأنهم مبعوثون لسياساتهم وإرشادهم، فلم يذهلهم سلطان الحقيقة عن شعورهم بنفوسهم وبالخلق.

وعلى هذا يحمل قول أبي يزيد[1]: «خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله». أي: بحر الفناء والغيبة عن الشعور؛ فإنه غير لائق بمقام النبوة. ولما عرف الخليل سيدنا إبراهيم عليه السلام بمقتضى الفطرة الحق الواجب لذاته الذي لا يغيب؛ استدل بالأفول على نفي الألوهية عن الكوكب والقمر والشمس، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، بقصد الاحتجاج على قومه، ورجع هو إلى ما عرف أولا؛ فقال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام/ 79]. أي: وجهت وجهي إليه من أول نشأتي وأصل فطرتي. ولذلك لم يقل لقومه

---

(1) يقصد: البسطامي.

بعد الاحتجاج: أوجه وجهي. بل قال: "وجهت" بصيغة الماضي؛ فافهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

فبان أن هذا الجواب لم يصح وإن سلمه من نقله من أهل التفسير. فاعرف الحق تعرف أهله، ولا تنظر لمن قال، وانظر لما قال.

أنت إذا اعتبرت أمرين جليلين؛ اتضح الحق في وجهك، ولم يمكنك القول بقولهم:

الأمر الأول: اعتبار الجلالة المحمدية وما تقتضيه رتبتها من الكمالات، واعتبر المفسرين في جانب والمكنة المحمدية في جانب؛ تعلم حقيقة الأمر. وأما لو وقفت مع جلالة المفسرين، وذهلت عن الجلالة المحمدية؛ وقعت في سوء الأدب، وفي ورطة الغفلة والحجاب عن الله تعالى والحياءِ مع سيدنا محمد محلٌ نظره تعالى من خلقه .

الأمر الثاني: أن تعرف الحق أولا ، من غير نظر للقائل، ثم إذا عرفته وتحققته بالوجدان والذوق؛ انظر أهله فاتبعهم. أما إذا عرفت القائلين أولا من غير نظر للحق؛ فلعلك تميل معهم تقليدا لقولهم، فتكون أسير التقليد، ويكون لسان حالك يقول:

وهل أنا إلا من غُزَيَة إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد؟

ومما أمليناه قبل؛ تعلم ما في الجواب الثالث من أجوبة المفسرين؛ وهو: أن المنفي في الآية الكريمة: كمال الإيمان والتوحيد الذي هو عليه، فإنه إذا كان "نبيا وآدم بين الروح والجسد"، ولم تزح عنه تلك النبوة بعد أن ألبسها، وإنما لم يزل، كما أنه لا زال في الترقي، فما معنى أن إيمانه لم يكمل قبل لقي جبريل عليه السلام، وكمل بلقيه؟. فهو محض مصادرة ومغالطة. وهل النبوة والرسالة فوقها مقام من المقامات أولا حتى يقال إنه مدة الأربعين سنة لم يكمل إيمانه؟. والحال أنه هو الذي مد النبيين في نبوتهم والمرسلين في

رسالتهم والملائكة في ملكيتهم. والحال أن روحانية حقيقته الأحمدية لم تبرز في القالب الجسمي الشهادي، فإذا كان هذا حالها قبل الانخراط في تمثال البشرية، وهو شفوفها على الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين؛ فلا تعلم نفس ما أعطيته من الكمالات بعد الدرج في القالب الجسمي، فيصير من الجهل الصراح التعبير عن صاحب هذه الرتبة الجامعة بأنه غير كامل الإيمان، ولو عبر عنه بهذا التعبير قبل تكوين الطينة الآدمية أوائل ابتداء العالم بأنه غير كامل الإيمان؛ ما صح، فضلا حين وصل لرتبة:

تسقط الأماني حسرى دونها، ما وراءهن وراء[1]

فلقد عرفوا الله جل جلاله بالعجز، وما عرفوا سيدنا محمدا بالعجز، مع أن نعته من نعته، ووصفه من وصفه. ومن ذلك: كان هو المجلى الأعظم، والمظهر الأكبر لجمال الله وجلاله. ولذلك كانت رؤيته وتشخصه واستحضاره وسماع كلامه مستلزمة لتذكره تعالى نوع استلزام، إذ هو رسول الله والمبلغ لوحيه والداعي لدينه.

وإيضاح هذا أن: أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله تعالى والتعريف به؛ فهو - جل شأنه - متجل فيه تجلي دلالة وتعريف، لا تجلي حلول وتكييف. وهذا هو الذي ينبغي أن يحمل عليه حديث: «من رآني فقد رأى الحق»[2]. وهو معنى قولهم: «إن سيدنا محمدا ﷺ هو الإنسان الكامل، وأنه مخلوق على صورة الله وعلى صورة الرحمن»، كما ورد الخبر بذلك مرفوعا[3].

ومن هنا سمي بكثير من أسمائه تعالى؛ كالحق والشاهد، والخبير والعظيم والكريم، والرؤوف والرحيم إلى غير ذلك. ومن ذلك: صح له التخلق بأخلاق

(1) البيت للبوصيري ضمن همزيته المشهورة.
(2) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام رقم 6996.
(3) يقصد قوله عليه السلام: "خلق الله آدم على صورة الرحمن". والمقصود بآدم عند المؤلف آدم الأكبر أو الإنسان الكامل أو الحقيقة الأحمدية.

الله جل أمره. وغيره من الأنبياء - وإن كان لهم حظ من تلك - فبواسطته وعلى يديه ﷺ[1]. وهذا له تطلع وإيماء لآية المبايعة؛ فإنها مشيرة لهذا وشاهدة به، وهي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح/ 10]، فجعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته.

قال الإمام أبو طالب المكي في "القوت": «هذه أمدح آية في كتاب الله عز وجل، وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه جعله في اللفظ بدلا منه، وأقامه في الحكم مقامه، ولم يُدخل بينه وبينه كاف تشبيه؛ فيقول: "كأنما"، ولا لام الملك؛ فيقول: "لـ" الله، وليس هذا المقام من الربوبية للخلق سوى رسول الله ﷺ».

ولا مرية أن ثناء الله جل ثناؤه على نبيه الأكرم وحبيبه الأعظم بهذا الثناء وهذا المدح قديم، ضرورة أن كلام الله تعالى قديم، فتكون هذه الرتبة الخاصة التي لم تسمع الأذان مثلها لموجود؛ ثبتت للحضرة المحمدية وهي لا زالت منجدلة في نقوش العلم الإلهي[2]، فكيف لا يعطاها بعد أن أخذه قبضة من نوره؟!. فكيف بعد إذ كان أول موحد لربه جل أمره؟. فكيف بعد أن انسلخت الأرواح عنه؟. فكيف بعد إذ صار دولاب الإفاضات الإلهية؟!؛ فعنه كانت تفاض بحسب مراتب كل. فكيف لا يعطاها بعد ظهور جسمانيته؟!. فكيف بعد مضي عشر سنين؟. فكيف بضعفها؟!. فكيف يصح لعاقل لميز أو متميز أو ذي لب أو ذي بصيرة، أن يقول: إن الإيمان الكامل لم يعطه إلا بعد لقي جبريل وكشفه له عن حقائق الأمور؟، مع أنه يحتاج في ضرورياته إلى الاستمداد من الحضرة المحمدية، فضلا عن النظريات، فاعقل!.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[رد آخر على الجواب الرابع من أجوبة المفسرين]:

وبما حررناه قبل وبعد؛ يعلم أيضا ما في الجواب الرابع من أجوبة

---

(1) راجع على هذا المحمل كتاب المؤلف: "خبيئة الكون".

(2) هذه إشارة إلى قوله ﷺ" إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته".

المفسرين عن هذه الآية الكريمة الجليلة، وحاصل الجواب: أن تحمل على حذف المضاف؛ أي: "ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ومَن أهل الإيمان"، يعني: من الذي يومن ومن الذي لا يؤمن، فإن من هيئ لمعرفة الله جل جلاله التي لم يشم لها أكابر الرسل في نهايتهم وهي كانت البداية له، فكيف لا يهيأ لمعرفة الآثارات الكونية؟.

وأيضا هذا سهل بن عبد الله التستري[1] يقول: «أعرف تلامذتي من يوم "ألست بربكم"، وأعرف من كان على يميني، ومن كان على شمالي، ولازلت أربيهم في أصلاب آبائهم إلى أن وصلوا إلي»، وهذا[2]...يقول: «أعرف عدد السعداء وعدد الأشقياء!».

فليت شعري؛ ما يقول سيد الكل ويعسوبه وأصله ومدده ودعيمة أسيسه؟!. مع ما في تقدير هذا المضاف من ارتكاب الركاكة في الآية العظيمة التي لا تناسب مطلق الكلام البليغ. فكيف بمن هو في أعلا طبقات البلاغة؟!. ولا ينبغي أن تقدر أمثال هذا التقريرات إلا في كلام يراد تعييبه واستنزاله عن ذروة كماليته .

[رد الجواب الخامس من أجوبة المفسرين]:

ويمثل هذه الردود يرد الجواب الخامس؛ وهو أن النفي منصب على حالة كينونته طفلا في المهد، فهي التي كان لا يدري فيها الكتاب ولا الإيمان، وراجع ما تقدم تعلم رده وعورته.

وأزيدك أمورا ثلاثة على بطلانه وعدم صوبه صوب الصواب:

.أ. الأمر الأول: كيف يسوغ هذا وأنه لما كان في المهد كان لا يدري

(1) هو سهل بن عبد الله التستري (815.896م/ 200.283هـ/) من كبار الصوفية والمتكلمين، ألف: تفسير القرآن الكريم ورقائق المحبين.

(2) بياض في الأصل.

الإيمان؟. أخرج ابن عادل أن أول ما تكلم به حين خرج من بطن أمه: «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا»[1].

وفي "الروض" عن الواقدي[2]: أول ما تكلم يوم ولد: «جلال ربي الرفيع»[3]. وفي "شواهد النبوة": «روي أنه ﷺ لما وقع على الأرض؛ رفع رأسه وقال بلسان فصيح: لا إله إلا الله وإني رسول الله»[4]. وطريق الجمع أنه: قال الجميع، والحال أنه في المهد. فكيف يقال: إن القرآن وصفه بأنه إذ ذاك بأنه لا يعلم الإيمان.

الأمر الثاني: أن الأفلاك كانت تطيعه والحال أنه - عليه السلام - في المهد إذ ذاك، فلولا أنه منبأ بالنبوة التي ألبسها زمن إنبائه "وآدم بين الروح والجسد"، وهي تقتضي: طاعته وخدمته ومتابعته، والانقياد إليه؛ لما أطاعته الأفلاك، فضلا عن غيرها، فكيف لا يعلم الإيمان والحال أنه يحادث الأفلاك وتحادثه؟!.

أخرج البيهقي والإمام المفسر المحدث الفقيه الواعظ الخطيب أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الصابوني في كتاب "المائتين"، والخطيب البغدادي وابن عساكر الدمشقي في تاريخهما لبغداد وابن ظفربك السياق في كتاب: "النطق المفهوم" عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال: «قلت: يا رسول الله؛ دعاني إلى الدخول في دينك: أمارة لنبوتك، رأيتك في المهد تناغي القمر (أي: تحادثه) وتشير إليه بإصبعك،

---

(1) ينظر: البيهقي، دلائل النبوة: 1/ 139/ 149، وقد تقدم ذكره.

(2) هو محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله الواقدي المدني، نزيل بغداد، مولى عبد الله بن بريدة الأسلمي (ت 207 هـ) من أشهر تلامذة ابن سعد صاحب الطبقات، وكان كاتب للواقدي.

(3) "الجامع الصغير" للسيوطي. رقم: 1191.

(4) لم أقف عليه.

فحيث أشرت إليه مال!». قال: «إني كنت أحدثه ويحدثني، ويلهيني عن البكاء، وكنت أسمع وجشه (أي: سقطته) حين يسجد تحت العرش»[1]. فانظر ما في هذا الخبر من الشفوف والرفعة المحمدية، وخرق سمعه الكريم المحمدي وهو في المهد آلافا من السنين، وسماعه بسقوطه عند العرش صلى الله عليك يا رسول الله.

وإن كان قال البيهقي عقب إخراجه: «تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي - أي: لم يتابعه عليه أحد - وهو مجهول». وقال الصابوني: «هذا حديث غريب الإسناد والمتن. أما الإسناد: فراوية أحمد بن إبراهيم، لم يتابع عليه - فهو كقول البيهقي: "تفرد به" - وأما المتن: فهو لفظ الحديث». ولعل غرابته لأن العباس أصغر الأعمام، فحمزة أكبر منه، وحمزة كان أسن من النبي ﷺ بسنتين[2] كما رواه البكائي عن ابن إسحاق، فرؤية العباس لذلك وروايته غريب، ولكن الخوارق لا يقاس عليها، فهو في المعجزات حسن ذكره، لأن عادة المحدثين التساهل في غير الأحكام والعقائد ما لم يكن موضوعا، وأيضا؛ فإنه يتمشى على القول بأن العباس ولد قبل الفيل بثلاث سنين، وبه جزم في "المواهب"، وفيها أيضا: روي عن العباس أنه قال: «فحمزة والعباس متقاربان، غايته أن حمزة أسن منه بيسير».

وأما جهالة الراوي؛ فنقول: إن الجهالة على ثلاثة أنواع عند أهل المصطلح:

1. جهالة العين: وهي من له راو فقط، وسماه الراوي عنه.
2. وجهالة الحال: من له راويان وجهلت حاله.
3. وجهالة العدالة: وفيها خلق.

---

(1) البيهقي، دلائل النبوة 2/ 41، البداية والنهاية، ابن كثير 2/ 266، الخصائص الكبرى، السيوطي 1/ 53.

(2) البيهقي، المصدر السابق.

وظاهر كلام أبي حاتم أن هذا من النوع الثاني، وهو مردود كالذي قبله. ولكن الذي صححه الحافظ أن مجهول العين إن زكاه أحد من أهل الجرح والتعديل ولو الراوي عنه قبل، وإلا؛ فلا. وفي المسألة أقوال أخر، والله شكور حليم.

فليت شعري: من كشف له وهو في المهد حتى سمع سقطة القمر عند ساق العرش؛ فكيف لا تخرق فيه العادة - بطريق التنزل - أن يؤمن إذ ذاك؟!. هذا مع إغضاء الجفون عن قوله: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»[1]. والأصل هو: الاستصحاب؛ أعني: لم تنقطع تلك النبوة التي أنيطت به ثمة، فكما كان ﷺ أول من وحد ربه - جل أمره - في عالم الأرواح ولم يكن موحد إذ ذاك، كذلك كان أول من وحده - جل أمره - في عالم الأشباح لما برز، إذ الكفر طم إذ ذاك في المعمور، واستأصل شأفة الموجودين. واعتبرْ بقول العالم بما هنالك: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: 3]. فافهم واعقل.

الأمر الثالث: روى الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه: "المولد"، كما نقله عنه البدر الزركشي في "شرح بردة المديح"، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنه قال: لما ولد رسول الله ﷺ قال في أذنه رضوان خازن الجنان: «أبشر يا محمد؛ فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علما وأشجعهم قلبا»، وهذا مرسل ابن عباس، ومرسل الصاحب وصلٌ في الأصح، وحكمه الرفع؛ إذ لا مجال فيه على أي حال.

انظر كيف لم يقل: «فما بقي لنبي علم إلا وسترتاه»، بل قال: «إلا وقد أعطيته»، فإن صدق الملك - وحاشاه من التقول على الله ما لم يقله - فهو ﷺ أعلم الأنبياء والمرسلين لما ولد، ضرورة أنهم لم يعلموا ما علم جميعهم، ومع ذلك هم أفضل من الملائكة، أفلا يكون سيدنا ﷺ الذي هو أعلم من

(1) تقدم ذكره.

جميعهم أعلم من جبريل عليه السلام وقت ولادته؛ بمصداق إخبار هذا الملك - وهو سيدنا رضوان خازن الجنان عليه السلام ؟!.

وروى محمد بن سعد الحافظ، نزيل بغداد، كاتب الواقدي، من حديث جماعة؛ منهم: عطاء وابن عباس أن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب - والدته ﷺ ورضي عنها - قالت: «لما فصل - أي: خرج مني، تعني آمنة: النبي ﷺ- خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع عليه السلام إلى الأرض». زاد ابن سعد عن الواقدي: «جاثيا على ركبتيه، معتمدا على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها، ورفع بصره إلى السماء إيماء لمن تأمل أن جميع ما يقع له من حين يولد إلى حين يقبض، دال على العقل بأنه لا يزال متزايد الرفعة في كل وقت وحين عالم الشاهد على المخلوقات»[1].

وروى الطبراني أنه ﷺ لما وقع إلى الأرض؛ وقع مقبوضة أصابع يديه، مشيرا بالسبابة كالمسبح بها . وفي رواية أخرى: كالمتضرع المبتهل[2]. وهل يصدر التضرع والابتهال ممن لا يعرف معناه، أو ممن لا يعرف لمن يبتهل ولمن يتضرع ؟!.

واعتبر بما تقدم من قول آمنة فيما ذكر صاحب كتاب: " السعادة والبشرى" من حديث إلى أن قالت عند ولادته: «فصل عني؛ فسمعت مناديا ينادي: طوفوا بمحمد ﷺ وعلى آله مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته في جميع الأرض، واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة والطيور والوحوش، واعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث، وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضى إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة

(1) ينظر : الطبقات لابن سعد ، ا 1/ 102-149 - الطبراني - المعجم الكبير 8/ 205 - البيهقي ،دلائل النبوة 1/ 84-136 وأحمد في المسند 5/ 262 - ابن إسحاق ، المغازي، ص 51 ، أبو القاسم البغوي ، الجعديات رقم : 3553 المستدرك ، الحاكم، رقم 4174 .

(2) الطبري ، المعجم الكبير 8/ 205.

لوط، وبشرى يعقوب، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود، وحب دانيال، ووقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهد عيسى...واغمسوه في أخلاق النبيين» إلى آخر ما قدمناه .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[رد الجواب السادس من أجوبة المفسرين]:

وبهذا - أيضا- تعلم ما في الجواب السادس من أجوبة المفسرين؛ وهو: أن المراد بالإيمان: شعائر الإيمان ومعالمه؛ كالصوم والصلاة ونحوهما، ومن لم تتبين له شعائر الإيمان كيف يتعبد بها واسم الإيمان يطلق على الشعائر؟!. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: 143]. أي: صلاتكم. وذلك لأنه مبني على أنه: إنما كان نبيا في التصوير لا في الحقيقة والخارج. ولو كان صاحبه يقول؛ فإن قوله: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»[1]نبوة حقيقة. ومطلق الحقائق تقصر العقول عن إدراكها لما صاغ لهذا المفسر المجيب أن يجيب بذلك؛ لأن النبوة لما أنيطت به لم تزح عنه بعد، وإذا لم تزح؛ فهو: نبي لما ولد، وإذا سلم هذا القدر - ولا ينتطح فيه عنزان - علم أن النبوة بالخاصية تعطي العلم بالله جل جلاله، وبأسمائه وصفاته، وأحكامه وشؤونه.

فكان يعلم ذلك من الله وبالله ولله من أول النشأ الجسماني، وإنما احتيج للوسائط لما تلوناه قبل، واستمع لما يقول:

لك في مهـمه التجـلي البهاء   يـا نـبـيـا نـوابـه الأنـبـيـاء
كان قبل البروز كوكبك اللمـاع   يـجـلـى، وكـل بـاد خـفـاء
أشرقت منه في زوايا خبايا الغيـ   ـب تـلـك الـفـجـاج والأنـحـاء

(1) مسند الإمام أحمد 4/ 127-128 المستدرك الحاكم ، 4178.

واستنارت عوالم الملا الأعلا وضاء الوجنة السوداء
عنك قد شق في البطون رداء حشوه الخارقات ذاك الرداء
قمت في برجك المشعشع شمسا ظل ينحط عن علاها العلاء
بك طافت أرواحنا أنبياء الله غيبا، فيبايعوك وجاؤوا
عنك نابوا وبشروا بك أصـ ناف البرايا، وصحت الأنباء
جئت ختما لهم فها أنت في النـ ظم ختام وفي الكيان ابتداء
أنت سلطانهم، وقد تعرض الجنـ ـد ابتداء وتعقب الأمراء
ما طووا حكمة من السر إلا أنت معراجها وأنت البناء
شمل الكل من لوائك أمن وعليهم ما زال ذاك اللواء
وتباهى بك الخليل رعاك اللـ ـه ابنا بهت به الأبناء
يا لفرع كسا الأصول فخارا أبديا لا يعتريه انقضاء!
نال منه أبوه آدم عزا وقبولا وأمه حواء
وتدلى من حضرة الأفق للأر ض هبوطا مضمونه الارتقاء
فهو للكل والد وأبو الخلـ ـق جميعا وهم له أبناء
وسرى في الجدود كالروح سرا صانه الأمهات والآباء
هو كنز الرحمان في كل عصر هم جميعا أرصاده الأفناء
كل فرد منهم فريد ولم ينتـ ـظر له في زمانه نظراء
حير الكل شأن قدسك في مهـ ـد التجلي فطاشت الآراء
راح عرافهم لتلك العلاما ت وتعلوه حيرة بحتاء
كل شيء له انتهاء وحد فمعاليه ما لهن انتهاء
نقطة في معالم القدس دارت فاستديرت بنمطها العلياء
نشر الله ذكر أحمد بالآيا ت قدما، فلم يصبه انطواء
فلبته الأقدار في الظهر والبطن بقوم هم قاده نجباء
أنبياء وأولياء وأخيا ر وشوس وسادة شرفاء

حرستهم عين العناية والعبـ ـد إذا صين فالشؤون صفاء
يا لحظ مؤيد أعظمته للتجلي الخضراء والغبراء
شب في سدرة الفخار يتيما ويد القدس لليتيم وقاء
لاحظته الأقدار وهو صغير ولديه تصاغر الكبراء
زف بالعلم من سرادق غيب الله وهبا فطاب منه النماء
باله في محافل الفضل أمـ ـي عظيم خدامه الأنبياء
قام والدين مقعد في كمين طلسمي وللأعادي اعتداء
وانجلى نوره ، فعم الوجودا ت وطاب الشعوب والأحياء
خدمته الأملاك دارت به الأفـ ـلاك غشى الأحلاك منه الضياء
فعيوني تراب نعليه للرو ح حياة وللسقام دواء
قد طوى الله دولة الكون في طيـ ـه برديه وانجلى الإبداء
كان ذاك الكساء كنز الدرا ت البرايا يا نعم ذاك الكساء
علة الخلق في رقائق حكم الطـ ـطيّ والنشر حيث كل هباء
مد بسط الإرشاد لله بالحكـ ـمة حتى اهتدت به الحكماء
سيد شقت الوجودات عنه بانفتاق أرتاقها الطمساء
فعيوني تراب الأملاك دارت به الأفلاك غشي الأحلاك منه الضياء
يا له من خطير سر ابتداء ما لعلياه والفخار انتهاء!
كل أطوار عمره معجزات أحمد واتعاضه فاعتلاء
دل الله طارحا ما سوى الله فذلت لعزه العظماء
يا بروحي أفديه من هاشمي شرفت من جنابه الأسماء
أبرز الله مفردا نوره الفيـ ـاض والمرسلون طين وماء
هو إخوانه النبيئون، لكـ ـن من سناه قبل الكيان استضاء
وعليهم له شريف أياد ولهم من فيوضه استجداء
صفه وامدح وزد واشرح وبالغ وليعنك المصانع البلغاء

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[اختلاؤه عليه السلام بغار حراء]:

تذييل أردنا ذكره؛ لما فيه من الفائدة بالنسبة لمن لم يفقه مرتبته ﷺ عند الله، ولأن هذا القدر الذي نذكره في هذا التذييل لا يعلموه.

اعلم أنه لما بلغ سيدنا محمد ﷺ سبع سنين، وتوفي جده عبد المطلب، وافتخر عمه أبو طالب بشرف كفالته من تربيته، بل هو الذي رباه؛ أمر الله - جل شأنه إسرافيل عليه السلام - أن يقوم بملازمته؛ فكان قرينه دائما إلى أن تم إحدى عشرة سنة ، ثم أمر جبريل عليه السلام أن يقوم بملازمته تسعا وعشرين سنة بطريق المرافقة والمقارنة[1]. وفي بعض الروايات الصحيحة أن إسرافيل عليه السلام: ظهر له في ملازمته مرارا، وكلمه بكلمة وكلمتين، وقبل نزول الوحي بمدة خمس عشرة سنة؛ كان يسمع صوتا أحيانا ولا يرى شخصا، وسبع سنين كان يرى نورا، وكان به مسرورا ولم ير شيئا غير ذلك. ولما قربت أيام الوحي؛ أحب الخلوة والانفراد، فكان يتخلى في جبل حراء وهو على ثلاثة أميال من الكعبة، وبه غار صغير طوله أربعة أذرع وعرضه ذراع، وثلثه في بعض المواضع، وفي بعضها أقل، واختار محل الخلوة هناك.

[أنواع الخلوة]:

والقول بأن عبادته كانت فكرا لا التفات إليه، ولا يعول عليه، لأن خلوة طلاب طريق الحق على أنواع[2]:

الأول: أن تكون خلوتهم لطلب مزيد علم الحق من الحق، لا بطريق النظر والفكر. وهذا غاية مقاصد أهل الحق، لأن من خاطب في خلوته كونا من الأكوان أو فكر فيه؛ فليس هو في خلوة. قال شخص من طلاب الطريق لبعض

---

(1) ينظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ص: 22.
(2) ينظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ص: 22.

الأكابر: «اذكرني عند ربك في خلوتك»، قال: «إذا ذكرتك؛ فلست معه في خلوته». ومن ثم يعلم سر: «أنا جليس من ذكرني». وشرط هذه الخلوة: أن يذكر بنفسه وروحه، لا بنفسه ولسانه.

الثاني: أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر؛ لكي يصح نظرهم في طلب المعلومات. وهذه الخلوة لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل، وذلك الميزان في غاية اللطافة، وهي بأدنى هوى تخرج عن الاستقامة. وطلاب طريق الحق لا يدخلون في مثل هذه الخلوة، بل تكون خلوتهم بالذكر، وليس للفكر عليهم قدرة ولا سلطان. ومهما وجد الفكر طريقا إلى صاحب هذه الخلوة؛ فينبغي أن يعلم أنه ليس من أهل الخلوة، ويخرج من الخلوة ويعلم أنه ليس من أهل العلم الصحيح الإلهي، إذ لو كان من أهل ذلك؛ لحالت العناية الإلهية بينه وبين دوران رأسه بالفكر.

الثالث: خلوة يفعلها جماعة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والاشتغال بما لا يعني، فإنهم إذا رأوا الخلق؛ انقبضوا، فلذلك اختاروا الخلوة.

الرابع: خلوة لطلب زيادة لذة توجد في الخلوة.

وخلوة صاحب الرسالة من القسم الأول، وكان بعيدا جدا من جميع المخالطات؛ حتى من الأهل والمال وذات اليد، واستغرق في بحر الأفكار القلبية، وانقطع عن الأضداد بالكلية، وظهر له الأنس والخلوة بتذكر من لأجله الخلوة، ولم يزل في ذلك الأنس، ومرآة الوحي تزداد من الصفاء والصقال؛ حتى بلغ أقصى درجات الكمال، فظهرت تباشير صبح الوحي وأشرقت، وانتشرت بروق السعادة وتألقت، فكان لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال بلسان فصيح: «السلام عليك يا رسول الله»[1].

هذا الكلام المنور من أول التذييل، الموافق لما أمليناه في هذه الخمسة

(1) الكواكب الدرية ...المصدر السابق ،ص: 24.

كراريس؛ نقلناه من كتاب: "سفير السعادة" للمجد محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي؛ صاحب "القاموس". ويا ليت الناس وقفوا عنده وما تجاوزوه؛ لأنه من المنقولات، إذا لم تكن لهم يد في الوجدانيات والذوقيات والكشفيات. والله رؤوف بالعباد.

استطــــــراد

أصيب حلق بعض الأولياء بشوكة سمكة، وأعيى أمره الأطباء؛ فأنشد هذين البيتين، وما هي بأول البركات المحمدية:

حلقي مسحت بموطئ القدم التي شرفت به الأرض الذلول على السما
وبملمس الكف التي فيها أتى إن الذين يبايعونك إنما

خاتـــمة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

[تشريف الرسول عليه السلام عن طريق آية المبايعة]:

اعلموا أن سيدنا ﷺ هو المجلى الأعظم، والمظهر الأكبر لجمال الله تعالى وجلاله، ولذا كانت رؤيته وتشخصه واستحضاره وسماع كلامه مستلزمة شكره تعالى نوع استلزام، إذ هو رسول الله، والمبلغ لوحيه، والداعي لدينه.

وإيضاح ذلك: أن أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله تعالى والتعريف، فتجلي الله جل أمره في سيدنا محمد لعباده؛ تجلي دلالة وتعريف، لا تجلي حلول وتكييف. وعلى هذا يحمل قوله: «من رآني فقد رأى الحق»[1]. وهو معنى قولهم: إن النبي ﷺ وعلى آله هو الإنسان الكامل، وأنه مخلوق على صورة الرحمن. ومن هنا سمي ﷺ بكثير من أسمائه تعالى؛ كالحق والشاهد، والخبير والعظيم والكريم، والرؤوف والرحيم...إلى غير ذلك؛ لأنه متخلق بأخلاق الربوبية.

وغيره من المختصين، وإن كان لهم حظ من ذلك؛ فبواسطته وعلى يديه ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم. وآية المبايعة المؤسس عليها التأليف كافية في هذا المعنى وشاهدة به، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، ففيها تشريف سيدنا ﷺ من جهات:

الأولى: تعريف المسند إليه بالموصولية ليتوصل بذلك إلى وصفهم

---

(1) ينظر: صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) في المنام رقم 6996- 6997.

بمضمون الصلة التي هي مبايعته ليعرفوا بتلك المزية ويفوزوا بحيازة تلك الخصلة السنية؛ وهي: قربهم من الرسول الأعظم، ومباشرة أيديهم ليده الشريفة، وانخراطهم في سلك خدمته، واندراجهم في حضرة محبته. وفي هذا من التشريف له ﷺ ما لا يخفى، حيث شرف الله سبحانه أهل محبته وخدمته بمحبته، وأيضا؛ فإن مضمون الصلة هو الجامع لأشتاتهم والضابط لآحادهم .

الثانية: قوله: ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾، فإنه إثبات لسيادته للخلق، وتصريح بسياسته عليهم، حيث جعله المبايَع (بالفتح)، وجعلهم المبايِعين له (بالكسر).

الثالثة: التعبير بالمضارع الذي تستمر قراءته كذلك بالألسنة إلى يوم القيامة مع حضرة الواقعة، إشارة إلى أن التالي ينبغي له أن يحضر قبله تلك الحالة العجيبة؛ لشرفها وعلو شأنها، أعني: مبايعة أحبابه لحبيبه صلى الله تعالى عليه.

الرابعة: وهو أعظمها: جعل مبايعته مبايعة له سبحانه، فإنه تصريح بمقام الخلافة العظمى، وتنبيه على مرتبة النيابة الكبرى؛ ليتوجه الكل إليه، ويتمسكوا به، ويلزموا طريقه. وإعلام بأنهم لا يصلون إلى خير من خيور الدنيا والآخرة ونعمة من نعم الملك الأعلى جل جلاله إلا من بابه ﷺ، ألا وإن من خصائصه ﷺ أنه: أعطي مفاتيح خزائن أجناس العالم، فيخرج لهم بقدر ما يطلبون. فكل ما ظهر في هذا العالم؛ فإنما يعطيه سيدنا محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح، فلا يخرج من الخزائن الإلهية شيء إلا على يديه ﷺ هو بمعنى اسمه: الخليفة، وخليفة الله.

ومن هنا تعلم - يا أخي - صحة ما أقمت فيه من المشهد الذي أخبرتنا به من كونك شاهدت كل من علم علما من العلوم؛ إنما يتفنن في أفنان الأمداد المحمدية: أهل النحو ورثوا منه كيفية النطق، وأهل اللغة ورثوا منه النطق بالفصاحة والبراعة والبلاغة...وهكذا أهل العلوم كلها، ومن شاهد العلوم بهذا المشهد؛ انتفع بها كلها، ولم يتوخ منها علما من العلوم.

الخامسة: الإتيان بأداة الحصر؛ وهي: "إنما"، تدل على أن مبايعة سيدنا ﷺ لا تخرج عن مبايعة الله تعالى بوجه من الوجوه، ولا تفارقها باعتبار من الاعتبارات، فمبايعتهم لك على خدمتك؛ مبايعة لله سبحانه، وخدمتهم لك على مرضاتك؛ مبايعة لله على مرضاته، ومبايعتهم لك على الموت في محبتك؛ مبايعة لله على نصرته، ومبايعتهم لك على هجر أوطانهم وتركهم لأموالهم وعشائرهم لأجلك؛ مبايعة لله على ذلك لأجله، ومبايعتهم لك على قتل أعدائك؛ مبايعة لله على قتل أعدائه، ومبايعتهم لك لتعظيم حرمتك؛ مبايعة لله لتعظيم حرمته، وخضوعهم لك وتأدبهم معك وتذللهم بين يديك؛ خضوع لله وتأدب معه وتذلل بين يديه.

وفي قوله: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ من الإعلام برفعة منزلته عنده وعظيم قربه ورضاه برضاه وسخطه بسخطه ما لا يخفى، وفيه أيضا: إعلام بأن المتمسك به قد ظهر بالوصول، ومنها: العدول عن مقتضى الظاهر من التكلم؛ بأن يقولوا: إنما يبايعونني إلى اسم الجلالة إحضارا لغاية العظمة، والجلال لزيد عظمة هذا الحال.

ومنها قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، تحقيقا وتثبيتا وتقريرا لكون مبايعته ﷺ مبايعة لله تعالى؛ لأن هذا الأمر مما تستعظمه النفوس، وتستعذبه الأفكار. فقيل لهم: هو كذلك؛ فاقطعوا به ولا ترددوا إزالته بما عسى أن يحضر لذوي القصور. ولهذا أكد "بأن" أولا.

ومنها: ما تضمنه قوله: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، من كونه صلى الله تعالى عليه مجلى لأسرار الذات وأنوار الصفات كما سبق، لا يتوصل لذلك إلا بواسطته ﷺ، ولم يستطع أحد تلقي أمر الله ونهيه من واسطة الملك، فأحرى من خاطب الملك!. ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران/ 164]؛ فهو: مرآة الوجود، والموصل إلى شهود الشهود، ولولا ذلك لم يطق العبد وصف المشاهدة؛ لقوله عليه السلام: «حجابه: النور؛ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه

بصره من خلقه»[1].

وفي قوله: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: إشارة إلى أن خلافته ونيابته وولايته على سياسة الخلق، لا تنافي شدة قربه، وليس فيها شغل عن الله تعالى، لأن الله تعالى إذا ولى عبدا من عبيده تولاه في ذلك بتأييده وواردات قربه؛ إذ ما ولاه إلا ليدل عليه، ويعرف به، ويوصل عباده إليه، فلم يستعمله فيما يشغله عنه ويبعده منه، بل ما استعمله إلا فيما يزداد به قربا وحضورا، وليعلم أن جميع مراتب العالم لها حظ من مشاهدته ﷺ من هذه الآية الكريمة، وإن كان الناس في شهوده على طبقات بحسب مراتبهم، ومن ذلك:

* أهل شهود شريعته؛ وهم: عامة المؤمنين.
* وأهل شهود ذاته؛ وهم: الأولياء والصالحون.
* وأهل شهود سره؛ وهم: النبيئون والمرسلون وأكابر الورثة.

ولكل منهم حظه من الوصول على جنب ما يليق به. وقد بسطنا ذلك في: «الطلاسم»[2]؛ اسم كتاب ألفناه في الكمالات المحمدية.

واعلم أن أسعد الناس بمشاهدة مقتضى هذه الآية الكريمة: الصديق الأكبر، فكان يشاهده ﷺ من وراء حجاب كثافات البشريات، بلى من وراء لطافات الروحانيات، فلذلك لم يكن كثير الصوم، كثير القيام، كثير المجاهدة ظاهرا، بل كان لشدة استهلاكه في القرب المحمدي واستغراقه في السر الأحمدي؛ تضمحل ذاته في ذاته، وتنحل تراكبه، ويقع له معه مقام «صلصلة الجرس» الذي كان يأتيه فيه الوحي، إذ صلصلة الجرس عندنا: عبارة عن شدة صدمات التجلي الذاتي إلى أن تنحل تراكيب الذات الآدمية، فيصير الإنسان كالشن البالي المعلق في أشجار البوادي وقد أتلفته الرياح وهو بينها، هذه صلصة الجرس، وهي من حالات الوحي المحمدي التي عبر عنها.

---

(1) صحيح مسلم.
(2) كتاب للمؤلف لا يزال مخطوطا.

واعلم أن من وصل لهذه المكنة في الاستغراق في السر المحمدي؛ يقال فيه: إنه صديقي المشرب والمورد والمشهد؛ وهي: طريقتنا هذه الكتانية.

ولحظة من لحظات صاحب هذا المشهد تقوم مقام عبادة الآلاف من سنوات أهل المجاهدة والمرابطة والمكابدة. قال تعالى بلسان الإشارات: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج/ 47].

واعلم أن مقام هذه الآية الكريمة، يعبر عنه بمقام "الجمع"، أو: "جمع الجمع" عند أهل الطريق؛ وهو: الفناء في الله سبحانه بشهوده دون الأغيار، و"جمع الجمع": هو البقاء بالله، وهو أن يكون الجمع في باطنه مشهودا، والفرق على ظاهره موجودا، فصاحبه عند الله سبحانه وإن كان في الدنيا. وهو أتم. قال الحسين بن منصور[1]: «ولم يظهر الحق سبحانه مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسمة وأشرفها، فقال: قال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾». وقال القشيري: «أي: عقدك عليهم هو عقد الله سبحانه». ثم قال: «وفي هذه الآية الكريمة تصريح بعين الجمع كما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾..[الأنفال/ 17]» .وقال الورتجيبي: «بين أمر "عين الجمع" ومقام "الالتباس"، وظهور العين وظهور جمع الجمع في عين الجمع حين جعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته».

□ **تنبيـــه:**

قرر ابن جزي وغيره أن قوله: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ استعارة تمثيلية، والمقرر أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيد المبايعين هي: يد الله سبحانه في المعنى وإن لم تكن في الحقيقة كذلك، وأن المراد: عقد البيعة مع الرسول كعقده مع الله تعالى، كقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء/ 80].

(1) يقصد: الحسين بن منصور الحلاج.(767 - 805).

قال بعضهم: سلك في الآية معنى الاستعارة، وهو خلاف ما أشار إليه القشيري مع الجمع المنبه عليه بحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه ويده»[1] إلى آخره، الذي هو سر الخلافة والبقاء بالله سبحانه.

قلنا: لم يفهم هذا، فإن القشيري وغيره لو تنازلوا للكلام فيما يتعلق بصناعة الكلام؛ لم يمكنهم ادعاء الحقيقة، ولا محيد لهم عن ارتكاب القول بالمجاز، والعلاقة هنا: المشابهة، وهذا حقيقة الاستعارة. وكأن هذا القائل رأى أن مقام الاتحاد المشار إليه في الآية على تفسير الصوفية بعيد من إرادة التشبيه، وجوابه: ما تقرر من أن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه، ادعاء اندراج المشبه في جنس المشبه به، ومقام الاتحاد في اصطلاح القوم هو: الغيبة عن الأكوان شهودا بالاستغراق في شهود أسرار الذات وأنوار الصفات، ويطلق على الفناء عند التدبير والاختبار، لأنه لازم الغيبة المذكورة، وعلى هذا نبه من قال من العارفين إخواننا:

وعلمُك أن كل الأمر أمري هو المعنى المسمى باتحاد

قال الجلال المكنى: "أعجوبة النوع الإنساني" الأسيوطي: «هذا اصطلاح للصوفية، ولا مشاحة في الاصطلاح. كما اصطلح المحدثون والفقهاء والنحاة على استعماله في معان حديثية وفقهية ونحوه، كقول المحدثين: "اتحد مخرج الحديث"، وكقول الفقهاء: "اتحد نوع الماء "، وقول النحويين: "اتحد العامل لفظا ومعنى"...قال: وحيث وقع الاتحاد من محققي الصوفية، فإنما يريدون به: الفناء الذي هو: محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه، لا المعنى المذموم الذي يتلحد من لم يفطم على يد أهل الله تعالى الكارعين في مشارب التحقيق أصفى مشرب، والواردين من موارد التوفيق أعذب مورد».

وهذا آخر ما نفث به قلم الإملاء الإلهي المحمدي وآخره: دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) ينظر نص الحديث في كتاب : صحيح البخاري، رقم الحديث: 6502.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

انتهى كلام المؤلف رضي الله عنه. قال مخرجه من أصل مؤلفه: قد وافق الفراغ منه عصر يوم الاثنين حادي عشر شهر الله صفر الخير عام 1316 هـ

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

انتهى الكشف والتبيان وتليه: " رسالة في أبوته ﷺ للمؤمنين" لجلالة المؤلف رضي الله عنه.

رسالة في أبوته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين
وأن كل نبي أب لأمته

تأليف

الشيخ الأكبر أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المتوفى سنة ١٣٢٧هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور إسماعيل المساوي



اللهم صل وسلم وبارك على الرحمة المهداة للعالمين

مسألة أبوته ﷺ وعلى آله للمؤمنين وكل رسول أب لأمته

[1- مذاهب المفسرين في مسألة أبوته ﷺ للمؤمنين وكل رسول أب لأمته]

هل يقال له ﷺ وعلى آله: أبو المؤمنين، فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغييبا؟. فيه قولان[1]:

صح عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: لا يقال ذلك[2]، قال ابن كثير[3]: «وهذا أصح الوجهين عند الشافعي رضي الله تعالى عنه».

وروي عن أبي بن كعب وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنهما قرءا: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم»[4].

وروى ابن كثير نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن، وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي؛ حكاه البغوي[5] وغيره[6]، وأستأنسوا له بما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ وعلى آله: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد؛ أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط،

(1) ينظر: تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، المجلد الرابع، ص: 205.
(2) و(3) و(4) نفسه.
(5) ينظر: تفسير البغوي المسمى: معالم التنزيل، ص: 189-190 ضمن كتاب: تفسير الخازن.
(6) ينظر مثلا: تفسير الطبري المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن، ص: 258-259.

فلايستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه»[1]. وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة[2]، وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن عجلان[3].

وكان الشافعية الذين قالوا: إنه لا يجوز أن يقال للنبي ﷺ أب المؤمنين - كما حكاه في "الروضة"[4] - استدلوا بقوله سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب/ 40].

مع أن الآية الكريمة مع كونها وردت على سبب لا تقتضي نفي أبوته ﷺ وعلى آله للمؤمنين مطلقا، إنما نفت أبوة خاصة؛ وهي: الأبوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها أحكام الأبوة الحقيقية اللغوية من الإرث ووجوب النفقة وحرمة المصاهرة، سواء كانت بالولادة أو بالرضاع أو بتبني من يولد مثله لمثله وهو مجهول النسب، بحيث نفى كونه ﷺ أبا أحد من رجالهم بأي طريق كانت الأبوة .

ومن المعلوم أن زيدا:[5] أحد من رجالهم، تحقق نفي كونه ﷺ أبا له مطلقا، فالآية في الحقيقة رد لقولهم: إن محمدا ﷺ تزوج زوجة ابنه زيد، فنفى - سبحانه - ذلك الحكم الجاهلي، وأن المتبني ليس ابنا حقيقيا، بنفي كون زيد ابنه الذي يحرم نكاح زوجته عليه ﷺ وعلى آله .

أما كونه ﷺ وعلى آله ليس أبا زيد بالولادة؛ فمما لا نزاع فيه، ولا يتوهم أحد خلافه، ومثله: كونه ﷺ ليس أبا له بالرضاعة. وأما كونه ﷺ وعلى آله ليس أبا له بالتبني - مع تحقق تبنيه ﷺ - فلأن الأبوة بالتبني التي نفيت؛ إنما

---

(1) نفسه ص 205 - 206 . (2) نفسه ص 206.

(3) و(4) نفسه.

(5) يقصد بزيد : زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ مولى النبي ﷺ ، كان النبي قد تبناه قبل النبوة، فكان يقال له : زيد بن محمد ، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ (الأحزاب / 4) كما قال تعالى في أثناء السورة : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

هي الأبوة الشرعية التي يمتنع معها نكاح زوجة ابنه. فلما كانت الأبوة تشمل الأبوة بالولادة والأبوة بالرضاع والأبوة بالتبني، مع أنه لا كلام في انتفاء الأولين، وإنما الكلام في انتفاء الأخيرة فقط، إذ هي التي يزعمها من يقول: تزوج محمد ﷺ زوجة ابنه. للمبالغة في نفي الأبوة بالتبني التي زعموا ترتب أحكام الأبوة الحقيقية عليها بنظم ما خفي في سلك ما لا خفاء فيه أصلا .

ولعل هذا هو السر في قوله سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، ولم يقل: ما كان محمد أبا أحد من الرجال، أو: ما كان محمد أبا أحد منكم. ولعله لهذا أيضا صرح بنفي أبوته ﷺ وعلى آله لأحد من رجالهم؛ ليعلم منه نفي بنوة أحد من رجالهم له ﷺ .

وبحمل الأبوة المنفية على الأبوة الحقيقية الشرعية؛ ينحل إشكال في الآية الكريمة؛ وهو أن: سياقها لنفي أبوته ﷺ لزيد ردا على من قال: إنه ﷺ تزوج مطلقته، فإن أريد بالأبوة الحقيقية وعما يكون بالولادة حسا؛ لم تلائم السياق، ولا يتم بها الرد المذكور، مع أنه المقصود؛ إذ لم يكن أحد يتوهم أنه ﷺ وعلى آله كان أبا زيد بالولادة. وإن أريد بها الأبوة المزاجية التي تحقق بالتبني ونحوه؛ فنفيها غير صحيح، لأنه ﷺ كان أباً لزيد، ولم يزل زيد يدعى بابن محمد ﷺ وعلى آله، حتى نزل: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب/ 5]. فدعوه بابن حارثة [1].

ووجه انحلال الإشكال بما ذكرناه من أن المراد بالأبوة: الأبوة الحقيقية الشرعية: أن هذه الأبوة تكون بالولادة وبالرضاع وبالتبني بشرطه. والأبوة بأنواعها غير متحققة في زيد، وعدم تحققها بالنوعين الأولين ظاهر، وأما بالنوع الأخير؛ فلأن التبني - وإن وقع - إلا أن شرطه الذي يستتبع الأبوة الشرعية مفقود، ومن جملة شروطه: كون المتبني مجهول النسب، وزيد

(1) ينظر القصة كاملة في كتاب كشف المشكل ، للإمام ابن الجوزي ضمن صحيح البخاري 1/ 458.

معروف أنه ابن حارثة .

وعلى هذا؛ لا يتم دليل الشافعية بالآية الكريمة على أنه: لا يجوز أن يقال: إنه ﷺ وعلى آله أبو المؤمنين، في أصح القولين عندهم كما تقدم عن ابن كثير؛ لما أن الآية الكريمة معناها - كما قال ابن جرير: «ما كان - أيها الناس - محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم محمد، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها»[1] ، فنفت الآية أن يكون محمد أبا رجال لم يلدهم فقط، وأما أبوته للمؤمنين من مائة ألف حيثية؛ فأثبتتها الآية الكريمة في قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب/ 40].

قال النيسابوري: «معنى الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ صلى الله عليه وسلم وعلى آله: هو إثبات الأبوة من هذه الجهة؛ لأن النبي كالأب لأمته من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظيم معه».

قال الفخر الرازي: «لما نفى سبحانه كونه أبا؛ عقبه بما يدل على ثبوت ما هو في حكم الأبوة من بعض الوجوه، فقال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾، فإن رسول الله كالأب لأمته في الشفقة من جانبه، وفي التعظيم من طرفهم، بل أقوى؛ فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والأب ليس كذلك»[2] .

وقال القاضي البيضاوي[3]: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم على الحقيقة، فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها، ولكن رسول الله، وكل رسول أبو أمته، لا مطلقا، بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم، واجب التوقير والطاعة عليهم، وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة» .

وقال: وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا في سائر الأحكام الثابتة بين

(1) ينظر تفسير الطبري لقوله تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾. ص: 305.
(2) التفسير الكبير، الإمام الرازي، ص: 214.
(3) ينظر تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص: 247.

الآباء والأبناء. وهذا يؤيد القول الآخر عند الشافعية من أنه: يجوز أن يقال: إنه ﷺ وعلى آله أبو المؤمنين في الحرمة ونحوها. على أنه قراءة ابن عباس وأبي - رضي الله تعالى عنهما - وهو أب له.

قال ابن كثير: «ونحوه عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن»، وأثبتها ﷺ بقوله: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد»[1]. ومن معناه: ما قال البخاري عندها من حديث أبي هريرة: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة. واقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك دينا أو ضياعا؛ فليأتني، فأنا مولاه». [تفرد به البخاري، ورواه أيضا في الاستقراض[2]، وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن فليح به مثله . ورواه أحمد من حديث أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن حضرة النبوة بنحوه]، ورواه الإمام أحمد عن جابر بلفظ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فأيما رجل مات وترك دينا؛ فإلي ، ومن ترك مالا؛ فهو لورثته»[3] .[ورواه أبو داود[4] عن أحمد به نحوه].

وقال الراغب بعد أن قال: «الأب: الوالد». ما نصه: «ويسمى كل من كان سببا في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره: أبا، ولذلك سمي النبي ﷺ وعلى آله أبا المؤمنين .قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾. وفي بعض القراءات: وهو أب لهم».

وروي أنه ﷺ قال لعلي كرم الله تعالى وجهه: «أنا وأنت أبوا هذه الأمة». وإلى هذا أشار ﷺ وعلى آله بقوله: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي».

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، ص 205.
(2) ينظر صحيح البخاري ، كتاب الاستقراض وأداء الديون رقم الحديث 269.
(3) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: 1205.
(4) سنن أبي داود رقم الحديث: 2954.

وفي كليات أبي البقاء بعدما ذكر أن الأب قد يراد به: ما يتناول الأم ؛ إذ كل من نطفتي الأب والأم تدخل في التولد، كما أن الابن قد يراد به ما يتناول البنت، قال: «وكل من كان سببا لإيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره؛ فهو أب له...ثم قال: ويسمي الملك رعيته بالأبناء. والأنبياء في بني إسرائيل كانوا يسمون أبناءهم».

فقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾، أي: فهو أب لكل واحد من الأمة على حدته. بل أولى من الأب؛ لما أنه أولى به من نفسهم والأب ليس كذلك. وقد قيل في سيدنا لوط عليه السلام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود/ 78]: إنه عنى: المومنات من أمتي . وأما قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ فاقتضى أن أبوته لهذه الأمة فوق أبوة سائر المرسلين عليهم السلام لأممهم؛ لاقتضائه أنه لما كان لانبي بعده: أن يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى، وأرأف وأنصح؛ إذ هو كوالد لولد ليس له غيره من شفيق ولا هاد، ولا دليل ولا مرشد ولا آخذ باليد. فلايبقي بابا من أبواب السعادات إلا وأرشده إليها، ولا مسلكا من مسالك القرب إلا وزج به فيها، ولذلك قال: الخاتم. ولا يهلك على الله إلا هالك. وجيء بقوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾. بعد قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾؛ للإشارة إلى امتداد تلك الأبوة إلى يوم القيامة؛ لأنه والساعة كهاتين ، كأنه قيل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾؛ بحيث تثبت بينه وبينه حرمة المصاهرة، ولكن كان أبا كل واحد منكم، وأبا أبنائكم وأبناء أبنائكم...وهكذا إلى يوم القيامة، بحيث يجب له عليكم وعلى من تناسل منكم احترامه وتوقيره وإعزازه .هذا كله بلسان التفسير .

[2- مذاهب الصوفية في مسألة أبوته ﷺ للمؤمنين وكل رسول أب لأمته]

وأما من حيث الحقائق؛ فحيث كان ﷺ وعلى آله واسطة الإيجاد وواسطة الإمداد:

- أما الإيجاد؛ فلولاه لم تخرج الدنيا من العدم[1].

---

(1) شطر شعري من بيت شعري للبوصري . ينظر: الديوان ص: 192.

- وأما الإمداد؛ فإن الله يعطي وهو ﷺ وعلى آله القاسم[1]، فهو أب لجميع الموجودات والكائنات، حتى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهو والد وأب لهم، بل نكتة وجودهم ومادة نشأتهم الروحية والجسمية، فهم أبناؤه من حيث المادة والحقيقة، وهو الوالد لهم من حيث النشء، والسبب الثاني في الإيجاد، والسبب الثاني في الإمداد؛ إذ هو صلى الله عليه وسلم وعلى آله صورة الجسم الأعظم في عالم الأزل، والأسماء الكلية والفرعية كلها ظلال وفروع مقتضيات ومعاني الاسم الأعظم، كذلك هذه الحقيقة الأحمدية الكلية الأولية عنها تفرعت حقائق الأنبياء والمرسلين والملائكة أجمعين؛ لأنه أرسله الله رحمة للعالمين بنص القرآن، والعالم كل ما فيه علامة على موجده أو الحدوث، فهو رحمة للجميع.

وفي "المواهب" نقلا عن 'عنقاء مُغرب' وإن لم ينسبه له: «فكان صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأب الأكبر لجميع الموجودات والناس» . وعبر بهذه العبارة أيضا ابن حجر في 'شرح الهمزية' لعله عند قوله[2]: "فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء'، ويهيج به أهل السَّيَـر.

[من وجوه أبوته ﷺ للوجود]:

وأبوته ﷺ وعلى آله للوجود من وجوه منها: إنه عنه انشقت الأنوار؛ فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب الموسوط كما قيل[3] .

ومنها: أنه تعالى أخذ العهد به على النبيئين الذين هم العدد الكثير، فأحرى المرسلين في عالم البدء وأول النشء.

(1) إشارة إلى حديث: "إنما الله معط وأنا قاسم". رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه.

(2) ينظر: الهمزية، البوصيري.

(3) اقتباس من الصلاة المشيشية، للإمام القطب مولاي عبد السلام بن مشيش الشريف الإدريسي، المستشهد في العقد الثالث من القرن الثامن.

ومنها: أنه - سبحانه - خصه وأولي العزم من الرسل بميثاق مخصوص غليظ، فذكرهم وبدا به؛ لأنه " أول النبيئين في الخلق، وآخرهم في البعث "، وبدا بما قبلهم كما أخرجه ابن سعد وابن أبي حاتم في تفسيره، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب/ 7].

ومنه: أنه الفاتح أبواب التوحيد للعالمين؛ لأنه أول من قال: بلا، كما في "الخصائص"[1]. فلذلك آدم فمن دونه يحشر تحت لوائه، ولذلك لو بعث الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام وهو في عصره الشهادي؛ لوجب عليهم المشي على سنته، والدخول تحت لوائه صل الله عليهم وسلم وعلى آلهم.

ومنها: أنه نبي الأنبياء ورسول الرسل كما اقتضته آية المبايعة؛ فالنبيئون والمرسلون نواب عنه ﷺ وعلى آله في التبليغ والدعوة والإرشاد، إلى أن آن الزمان أن يستدير؛ فاستدار الزمان لبعثته العامة ﷺ وعلى آله، ولذلك تمنى الأنبياء لأن يكونوا من أمته، ويا ما ألطف قول البوصيري[2]:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم
حتى إذا طلعت في الأفق عم هداها العالمين وأحيت سائر الأمم

ومنها ومنها ومنها...

[استرقاق النبي ﷺ لأمة الإسلام]:

وأما هذه الأمة المحمدية؛ فقد استحق عليها ﷺ وعلى آله ما لا يمكن الإفصاح عنه. ولقد استرقها استرقاقا شرعيا وعقليا وطبيعيا:

1- **أما الاسترقاق الشرعي**: فشكر الواسطة، ومن لم يشكر الناس لم يشكر

(1) أي: الخصائص الكبرى للسيوطي. (2) ديوان البوصيري ص 193.

الله[1]، فلم يعتبر شكرهم لله تعالى حيث يشكروا الوسائط، مع أن الوسائط ليس لهم من الأمر شيء، ولكن الحكمة والقسط أثبتهم حتى قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان/ 14]. وهذا الباب واسع في الشريعة. وحتى جاء: «من قال: جزى الله عنا سيدنا محمدا ﷺ وعلى آله ما هو أهله؛ أتعب سبعين كاتبا ألفي صباح»[2]...

2- **وأما الاسترقاق العقلي**: فبالضرورة: من نبهك على حيوان من ذيوديك في بدنك أو لص في مالك؛ فلا تزال تشكره ما حييت. فمن حال بينك وبين خزي الدنيا وعذاب الآخرة؛ كيف لا تشكره طول المدى؟ .

3- **وأما الطبيعي**: فالطبع الإنساني يحمد من يحسن إليه، ويوصل له المسار، ويحول بينه وبين المضار، ولا يزال يراه سبب السعادة ومحبته، والله شكور حليم .

هذا ما تيسر الآن مع انحلال في الذات. عونك يا لطيف، يا عفو يا عظيم. والالتجاء بمولانا رسول الله، والالتحاق بجاهه العريض لنا ولكل من تعلق بنا.

انتهى من خط المؤلف رضي الله عنه ونفعنا به

الحمد لله؛ لما كمل طبع هذا المؤلف الفريد، الذي ما على حسنه من مزيد، وأبدل الجهد في تصحيحه وإتقانه وتنقيحه .

وقد تم طبعه في يوم الأربعاء 20 شعبان الأبرك عام 1332 هـ، على نفقة نجل المؤلف - رضي الله عنه - الفقير إليه سبحانه عبيد ربه محمد المهدي الكتاني[3].

---

(1) إشارة إلى حديث: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

(2) كذا بياض في الأصل .

(3) محمد المهدي بن محمد بن عبد الكبير الكتاني. العلامة الأثري الكبير، الصالح العارف بالله تعالى، نجل المؤلف، وخليفته في الطريقة الكتانية إلى أن تنازل لشقيقه الإمام محمد الباقر بن محمد الكتاني عنها عام ١٣٥٧، ترك عدة مؤلفات تربو عن الثلاثين، جلها في الدعوة لإحياء السنة والحديث، كانت ولادته عام ١٣٠٧، ووفاته عام ١٣٧٩. انظر ترجمة له مسهبة في "الأنفاس النورانية في الرحلة الحجازية" لنجله الفقيه العدل محمد الطيب الكتاني. حمزة.

السانحات الأحمدية والنفثات الروعية في مولد خير البرية ﷺ

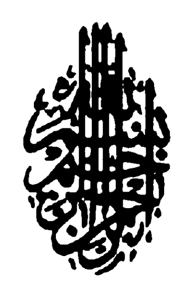
تأليف

الشيخ الأكبر أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المتوفى سنة ١٣٢٧هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور إسماعيل المساوي



وَصَلَّى الله عَلَى قُطْبِ المَنَازِلِ وآلِهِ

[تمهيد]:

اللَّهُمَّ صَلِّ(1) عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ(2) اسْمَهُ مُتَّحِداً(3) بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ(4). وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ(5) الجِسْمَانِي عَلَى(6) صُورَةِ أُنْمُوذَجِ(7) حَقِيقَةِ

(1) هذه الصلاة هي المشهورة بـ: "الأنموذجية" للمؤلف الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، لها خمسة عشر شرحا، سبعة منها للمؤلف نفسه والباقي لتلامذته، وسنعتمد في تحقيقنا هذا أحد شروحه لهذه الصلاة ضمن كتابه: "لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية"، ص: 131 وما بعدها. وقد أورده أيضا الشيخ محمد الباقر الكتاني ضمن كتابه: "ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد"، ص: 61 وما بعدها.

(2) جعلت: لها معاني عديدة ذكرها المؤلف في كتابه: "لسان الحجة البرهانية"، ومنها: التصيير. أي: وصيرت يا الله اسم حبيبك وصفيك متحدا باسمك. ص: 146-160.

(3) المراد بالاتحاد -هنا - الاقتران: قال المؤلف في كتابه: "لسان الحجة البرهانية": إن الاتحاد - هنا - لم يقصد به إلا ما صرحت به الأحاديث النبوية، واستفاض خبره في جميع كتب الإسلام من أن الاسم الشريف المحمدي مكتوب مع اسمه سبحانه في جميع أمكنة السماوات والجنان والقصور والغرف ونحور الحور العين وورق شجرة طوبى، وورق سدرة المنتهى، وأطراف الحجب، وبين أعين الملائكة عليهم السلام، بل جعل سبحانه التعبد بتعظيم ذكره كالتعبد بتعظيم ذكره...وبهذا الالتئام الخاص وهذا الارتباط عبر عن الاسمين الكريمين كأنهما اتحدا.ص: 145-146.

(4) أي: وجعلت - يا الله - نعته متحدا بنعتك، فقرنت طاعته بطاعتك، ورحمته برحمتك، وبيعته ببيعتك، وعزته بعزتك كما في القرآن الكريم .ص: 146.

(5) أي: الهيكل العظيم من كل شيء. ص: 164.

(6) على بمعنى: في، لأن حروف الجر مشتركة؛ ينوب بعضها عن بعض.

(7) الأنموذج: مثال الشيء؛ أي: صورة تتخذ على مثال صورة الشيء ليعرف منه حاله.ص: 164.

خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ[1]. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ[2] أَنِيَّةِ[3] أَنَا اللَّهُ[4]. بَلْ[5] حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ

(1) حديث شريف رواه البخاري في صحيحه - كتاب الاستئذان - باب: بدء السلام. رقم: 6227. وقال المؤلف في كتابه "لسان الحجة البرهانية" في تعليقه عن هذا الحديث: إن سيدنا آدم مخلوق على الشكل المحمدي؛ إذ لم ينقل أن من تقدمنا من الأمم السالفة على غير الشكل المحمدي، فيؤخذ من هذا أن ما فعل بسيدنا آدم من المكانات إلى أن أسجدت له الملائكة، وعلم الأسماء كلها، وانسلخت منه الذوات الجسمية؛ فكله في الحقيقة إدماج لجلالة هذه الحقيقة المحمدية المخلوق على صورتها.ص: 185.

(2) وفجرت - يا الله - أي: شققت عنصر النور الأعظم، أول بارز من حضرة الغيب، وأول منشق انشق عن حضرة العناية؛ وهو: النور المحمدي موضوع الأشياء الذي عنه انسلخت الكائنات، وتكونت الأشياء كلها؛ علويها وسفليها من بحر نوره، وسعة حقيقته، مادة الأشياء لا شيء إلا وهو بها منوط، ولم ينفصل عنها شيء، ولم يخرج عن دائرتها شيء من الأشياء، بل هو الدائرة الكبرى التي عنها كانت الدوائر، والنقطة الشاملة التي منها تفرعت النقط.ص: 209-210.

(3) لفظ "الأنية" هنا أريد به مدلول قول الحق جل جلاله: ﴿أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ وغيرها من الآيات الدالة عن تفرده سبحانه بالثناء على نفسه، وهي كلمة استعملها الصوفية قديما".ص: 214.محقق. والمراد - والله أعلم - بأن الله تعالى أول ما تجلى من نفسه لخلقه، بقوله تعالى: "أنا الله"، معرفا السوي بالحق، تفجرت مادة محمول الحقيقة المحمدية، فكانت أول مخاطَب، وأول مقصود بالخطاب، وأول قائل: "بلى"، يوم: "ألست بربكم"، فكانت العوالم تجليا من تجلياته، وشهادتها فرع عن شهادته، وجميعها إنما هم تبع له وفي صحيفته. ولولا قوله: "بلى"؛ لما رحمها الله تعالى بالإيجاد، إذ لم تكن ثمة علة ظهورها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فكان السبب في خلق الله تعالى العوالم، والمقصود من إيجادها، لتشكل الإرادة بدءا به صلى الله عليه وسلم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.حمزة.

(4) أي من أنية أنا الله، على حذف القول كما هو كثير في الكتاب والسنة ، والمعنى كما في كتاب: "لسان الحجة الرهانية": إنك - يا الله - شققت نور الحقيقة المحمدية من نورك، أي: لم تكن عليها هيمنة لا للعناصر الترابية ولا للموارد الطبيعية، بل تجليت عليها من حضرة البهاء والجمال والكمال، فكونتها من نورك، وقلت لها: "كوني محمدا" فكانت.ص: 215-216.

(5) "بل": لها معان كثيرة ذكرها المؤلف في "لسان الحجة البرهانية"؛ ومنها: الانتقال من موضوع لآخر.ص: 228 وما بعدها.محقق. وفي هنا إشارة بأن الحقيقة الأحمدية هي البرزخ بين السوي والحق تعالى، فمن تحقق بأخلاقها، تحقق بأوامر الله تعالى ومراده من الخلق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، فما هو صلى الله عليه وسلم إلا تجل ـ

عِنْدَهُ(1). وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

أَحْمَدُ اللَّهَ بِاللَّهِ فِي مَهَامِهِ هُوِيَاتِ الإِطْلاَقِ، المَتْلُوّ فِي نُفُوسِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بلسان اسْتِوَاءِ أَحَدِيَةِ الفَلَكِ عَلَى عُرُوشِ الأَنِيَاتِ. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فِي بِسَاطِ مُسَامَتَةِ العَاشِقِيَةِ وَالمَعْشُوقِيَةِ عَلَى نَعْتِ الكُلِّيَاتِ وَالجُزْئِيَات، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ طَمساً وَتَجرِيداً، عَنِ الحَيْثِيَاتِ وَالتَّقْيِيدَاتِ. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بِصُورَةِ الرُّوحِ الكُلِّيَةِ المُفَاضَةِ مِنْ بَحْرِ قُلْزُمِ الكُنْتِيَاتِ. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بِنَعْتِ الهَيْكَلِ الجَامِعِ لأَشْتَاتِ الضِّدِّيَاتِ. ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بِأَرْجَاءِ أَعْمِدَةِ قَيُّومِيَةِ التَّعَيُّنَاتِ التَّشْكِيلِيَةِ مِنْ جَوْهَرِ أَصْلِ المَادِيَاتِ. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى خِوَانِ: "وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ" فِي جَنَّةِ عَدْنِ مَنِيعِ الطَّامَاتِ. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بِتَلَقُّفَاتِ شَيْئِيَةِ أَشِعَّةِ مُقْتَضَيَاتِ الكَنْزِ الهَيُولاَنِي عَلَى أَتَمِّ خِيلاَنِ الغَزْلِيَاتِ. ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فِي نَفْسِ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: 46]، يَاهُوِيَةَ الهُوِيَات. ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يَوْمَ اخْتُطِفُوا مِنْ قَاعَةِ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: 1]. إِلَى بَحْرِ سُرَادِقَاتِ الهَاءَاتِ. ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بِالنُّزُولِ إِلَى حَضِيضِ الفَرْقِيَات. ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: 2 - 7]. بِانْمِحَاقِ الغَيْنِ فِي جَوْهَرِيَّةِ الإِطْلاَقَات.

وَأَشْهَدُ أَنَّ إِنْسَانَ الوُجُودِ عَبْدَهُ الصَّالِحُ لِلشُّؤونِ الإِلَهِيَّةِ وَالنُّعُوتِ الكَوْنِيَّةِ، سَيِّدَنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ جَمْعاً وَجَمْعَ جَمْعٍ وَفَرْقَ فَرْقِ الكَمَالاَتِ

= إلهي على خلقه: "كان خلقه القرآن"، فمن أتاه صلى الله عليه وسلم وجد الله تعالى، أي: وجد رضوانه، ووجد الشريعة التي أمره الله باتباعها، "من رآني فقد رأى الحق"، "من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي"، والشيطان لا يتمثل بالحق لأنه باطل.(انظر التعليق اللاحق)...حمزة.

(1) استعمل -هنا- الاقتباس، وهو متفق عليه عند السلف والخلف، ومعناه كما في "لسان الحجة البرهانية": أن الإنسان الكامل صلوات الله وسلامه عليه لو نظر إليه الناظر المكاشف نظرا قدسيا، وجاءه من جهة ما أنزله ربه جل جلاله من المنزلة والمكانة؛ لوجده أعظم مظهر من مظاهر الرب، وأنه بلغ من المكانة إلى أن قال فيه خالقه جل أمره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ الفتح/ 10. ص: 245-246.

التَّقْيِيدِيَّةِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ المُتَنَخِّبِينَ مِنْ مَادِّيَّةِ الشَّيْئِيَّةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذَجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[1- كمون الجناب الأقدس في هوية الهويات]:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الجَنَابَ الأَقْدَسَ كَانَ كَامِناً فِي هُوِيَةِ الهُوِيَاتِ، كِنْزاً[1] فِي لاَ شَيْءَ بِانْبِسَاطِ مُقْتَضَيَاتِ حَضْرَةِ العَمَا وَلاَ مُقْتَضَيَات، مُسْتَوِيَةً بِفَرْدَانِيَةِ رَهَبُوتِ حَرَارَةِ الدَّيْجِيَاتِ، عَلَى عَرْشِ البُطُونِ الذَّاتِي خَلْفَ أَصْدَافِ[2] الفَيْهِيَاتِ، عَدَمٌ فِي وُجُودٍ، وَوُجُودٌ فِي عَدَمِ النِّسَبِ وَالإِضَافَاتِ، لِاتقاء أَشِعَّةِ الذَّاتِ بِالذَّاتِ لِلذَّاتِ، أَحَدِيَةُ الجَمْعِ الكُلِّي المُطَلْسَمِ، وَبَحْرُ الأَنِيَةِ المُطَلْسَمِ، أَحَدِيُّ الأَضْدَادِ، المُسْتَبِدُّ بِالانْفِرَادِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذَجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[2- ضرورة إيجاد المعرف بالكون]:

ثُمَّ إِنَّهُ سَبَقَ فِي دِيوَانَةِ[3] الأَزَلِ، مَا عَلاَ مِنْهَا وَمَا نَزَلَ، أَن لاَ بُدَّ مِنَ التَّعْرِيفِ وَالمُعَرِّفِ وَالمُعَرَّفِ، وَلَيْسَ المُعَرِّفُ بِحَسَبِ مَدْلُولاَتِ الإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ، إِلاَّ رُوحَانِيَّةَ حَقِيقَةِ حِقِّيَةِ مَجْلَى سُوَرِ التَّنْزِيلِ، فَكَانَتْ هِيَ العَارِفَةُ

(1) إشارة إلى الحديث النبوي: "كنت كنزا لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقا، فعرفتهم بي، فعرفوني". "كشف الخفاء"...العجلوني، رقم الحديث 2016.

(2) في الأصل: أسداف.

(3) ينظر معنى "الديوانة" في مقدمة تحقيقنا لكتاب "الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية" للمؤلف نفسه.

وَالمُعَرَّفَةُ وَالمُعَرِّفَةُ عَلَى سَبِيلِ نُعُوتِ الفُصُوصِ المُحَرَّفَةِ فِي بِسَاطِ المُحِبِّيَّةِ بِلِسَانِ العَاشِقِيَّةِ وَالمَعْشُوقِيَّةِ، فَوَقَعَ التَّنَزُّلُ مِنْ حَضْرَةِ البُطُونِ الذَّاتِي بِهَذِهِ الحَقِيقَةِ الكُلِّيَةِ، وَانْبَسَطَتْ عَلَيْهَا كَمَالاَتُ حَقِيقَةِ الحَقَائِقِ بِطَرِيقِ مُسَمَّيَاتِ الأَسْمَاءِ الجُمَلِيَةِ، فَصَارَتْ حَقِيقَةً ثَانِيَةً مُتَفَرِّدَةً بِشَيْئِيَةِ الثُّبُوتِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي حَيْزِ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾، لانْبِسَاطِ مُقْتَضَيَاتِ حَرَارَةِ الرَّهَبُوتِ، ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]. لانْعِدَامِهِ فِي كُلِّيَةِ إِطْلاَقَاتِ هُوِيَّةٍ[1]: "كَانَ بَحْراً مَسْجُوراً" بِتَجَلِّيَاتِ تَسْطِيرٍ: "وَكَانَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً".

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذُجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[3- تشريف المعرف بالكون]:

ثُمَّ انْتَقَشَ فِي انْمُوذُجِ[2] تَعَيُّنِ الرَّقِّ المَنْشُورِ، وَرُصِّعَ بِإِكْلِيلِ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: 39] بِانْفِتَاكِ جَدَاوِلِ البَحْرِ المَسْجُورِ، وَدُبِّجَ بِتِيجَانِ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]، لِمُقَامِهِ فِي البَيْتِ المَعْمُورِ، فِي بِسَاطِ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ التَّوَجُّهَاتِ الإِرَادِيَّةِ، لِكَوْنِهَا هَيُولَى مُتَمَنْطِقَةً بِالحَقِيقَةِ الثَّنَوِيَّةِ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الأَصْلِ ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ [النور: 35]. الثَّانِي مَنْ يَشَاؤُهُ لاقْتِنَاصِ المَعَانِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذُجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا

(1) في الأصل: في كليات إطلاقات هويات.

(2) في الأصل: في أنموذجات.

جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[4- بروز الحقيقة الأحمدية]:

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا أَبْرَزَهَا عَنْوَنَ عَنْهَا بِالحَقِيقَةِ الأَحْمَدِيَّةِ؛ لِكَوْنِهَا حَقِيقَةً حَقِّيَّةً، حَمِدَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ فِي عُنْوَانِ الطَّيِّ، وَوَجْهُ التَّسْمِيَةِ يُوجِبُهَا عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَدَ. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذَجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[5-مرتبة الحقيقة الأحمدية ضمن مراتب الوجود]:

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الحَقِيقَةِ الكُلِّيةِ هِيَ: الرُّتْبَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ التَّنَزُّلاَتِ العَمَائِيَةِ، فِي بِسَاطِ التَّفَاصِيلِ الجُزْئِيَةِ:

وَأَوَّلُهَا: البُطُونُ الذَّاتِي المُسْتَهْلَكُ فِيهِ جَمِيعُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

الثَّانِيةُ: رُتْبَةُ العَمَا؛ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالسَّاذِجِيَةِ.

الثَّالِثَةُ: الأَحَدِيَةُ، وَفِي حُكْمِهَا هَذِهِ الكُلِّيَّة، لأَنَّهُمَا لاَ يَقْتَضِيَانِ ظُهُوراً أَصْلاً؛ فَقَدِ اشْتَرَكَتَا فِي الوَصْفِ العُنْوَانِي.

الرَّابِعَةُ: الوَاحِدِيَّةُ.

الخَامِسَةُ: الأُلُوهِيةُ الشَّامِلَةُ لِعَالِي الوُجُودِ وَأَسْفَلِهِ.

السَّادِسَةُ: الرَّحْمَانِيَّةُ.

السَّابِعَةُ: الرَّبِّيَّةُ.

الثَّامِنَةُ: الجِسْمُ الكُلِّي المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالعَرْشِ.

التَّاسِعَةُ: القَلَمُ الأَعْلَى.

العَاشِرَةُ: النَّفْسُ الكُلِّيَّةُ.

الحَادِيةِ عَشَرة: العَقْلُ الكُلِّي.

الثَّانِية عَشَرَةَ: الهَيُولَى.

الثَّالِثَة عَشَرَةَ: الهَبَاءُ.

الرَّابِعة عَشَرَةَ: فَلَكُ العَنَاصِرِ.

الخَامسة عَشَرَةَ: مُكَوْكِبُ الكَوَاكِبِ.

السَّادِسة عَشَرَةَ: فَلَكُ البُرُوجِ.

السَّابِعة عَشَرَةَ: فَلَكُ زُحَلْ.

الثَّامِنة عَشَرَةَ: فَلَكُ المُشْتَرِي.

التَّاسعة عَشَرَةَ: فَلَكُ المُرِّيخ.

العِشْرُون: فَلَكُ الشَّمْس.

الحَادِيةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ الزُّهْرَةِ.

الثَّانِيةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ عُطَارِد.

الثَّالِثةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ القَمَر.

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ الأَثِيرِ.

الخَامِسَةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ النَّارِ.

السَّادِسَةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ الهَوَاءِ[1].

السَّابِعةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ المَاءُ.

الثَّامِنةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ التُّرَابِ.

التَّاسِعةُ وَالعِشْرُون: فَلَكُ المُوَلَّدَاتِ.

الثَّلاثُونَ: فَلَكُ البَسِيطَةِ.

الحَادِيةُ وَالثَّلاثُون: فَلَكُ الجَوْهَرِ الكَوْنِي.

الثَّانِيةُ وَالثَّلاثُون: فَلَكُ المَعَادِنِ.

الثَّالِثةُ وَالثَّلاثُون: فَلَكُ النَّبَاتَاتِ[2].

---

(1) في الأصل: الهوى.

(2) في الأصل: النبات.

الرَّابِعَةُ وَالثَّلاَثُون: فَلَكُ الحَيَوَانَاتِ.

الخَامِسَةُ وَالثَّلاَثُون: الإِنْسَانِ.

السَّادِسَةُ وَالثَّلاَثُون: عَالَمُ الصُّوَرِ مِنْهُ تُلْحَقُ بِهِ الدُّنْيَا(1).

السَّابِعَةُ وَالثَّلاَثُون: عَالَمُ المَعَانِي مِنْهُ يُلْحَقُ البَرْزَخُ.

الثَّامِنَةُ وَالثَّلاَثُون: عَالَمُ الحَقَائِقِ يُلْحَقُ بِهِ يَوْمُ الدِّين.

التَّاسِعَةُ وَالثَّلاَثُون: المَحْشَرُ وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ.

الأَرْبَعُون: الكَثِيبُ الأَبْيَضُ الذِي يَخْرُجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الجَنَّةِ وَتَقَعُ فِيهِ الرُّؤْيَةُ يَوْمَ: "أَتُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ؟". قَالُوا: "لاَ". قَالَ: "كَذَلِكَ تَرَوْا رَبَّكُمْ".

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذَجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[6- بروز الموجودات من الحقيقة الأحمدية]:

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ مَرَاتِبَ المَوْجُودَاتِ، وَمَنَاهِلَ أَوْلِيَاتِ الأَوْلِيَات؛ هِيَ: عَدَدُ "مِيم" التَّفْصِيلِ المُحَمَّدِي وَجُزْئِيَاتِ مَكَامِنِ "الهُوْ" الأَحْمَدِي، فِيهِ بَرَزَتِ المَوْجُودَاتُ عَلَى سَاقِ الظُّهُورِ، وَانْتَشَرَتْ فِي مَيَادِينِ الرِّقِّ المَنْشُورِ، وَلَوْلاَهُ لَبَقِيَتْ شَعْشَعَانِيةُ الذَّاتِ مُطَلْسَمَةً عَلَى عَهْدِ كَنْزِيَةِ الكَنْزِيَاتِ؛ لأَنَّ رُتْبَةَ الأَحَدِيَةِ ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 29]، بَلْ جَمِيعُ مَرَاتِبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِيهَا بِحُكْمِ بُطُونِ الذَّات؛ لأَنَّهَا حَضْرَةُ سَحْقٍ وَمَحْقٍ، وَلَمَّا كَانَتِ الحَضْرَةُ حَرَارَةً صِرْفَةً غُرِفَ مِنْ فَوْقِهَا غَرْفَةً، وَانْتَشَرَتْ عَلَيْهَا شُؤُونُ الكَافُورِ المُحَمَّدِي مُتَّحِداً بِالنَّعْتِ الأَحْمَدِي، هُنَالِكَ أَعْطَتْ لِلاِنْتِشَارِ فِي قَالَبِ الإِظْهَارِ وَالإِضْمَارِ. [الطويل]:

---

(1) في الأصل: منه يلحق بها الدنيا.

فَمِنِّي تَبَدَّى الكُلُّ مِنْ بَسْطِ نُقْطَتِي[1]

هُنَالِكَ اتَّحَدَ الشَّمْسُ وَالقَمَر، وَغَنَّى الهَزَر.[الطويل]:

أَلاَ غَنِّيَا لِي قَبْلَ أَنْ نَتَفَرَّقَا   وَهَاتِ اسْقِنِي صِرْفاً شَرَاباً مُرَوَّقَا

فَقَدْ كَادَ ضَوْءُ الصُّبْحِ أَنْ يَفْضَحَ الدُّجَا   وَكَادَ قَمِيصُ اللَّيْلِ أَنْ يَتَمَزَّقَا

وَلأَجْلِ مَعْرِفَةِ شَمَّةٍ مِنْ عَظَائِمِ مِقْدَارِهِ خَرَجَتْ، وَمِنْ طَمْطَامِ العَدَمِ انْتَشَرَتْ.[البسيط]:

أَلْقَى بِمِرْءَاتِ فِكْرِي شَمْسَ صُورَتِهِ   فَعَكْسُهَا شَبَّ فِي أَحْشَائِي اللَّهَبَا

هَلْ تَشْتَفِي مِنْكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاظِرُهَا   قَدْ نَالَ مِنْهَا سَوَادُ اللَّيْلِ مَا طَلَبَا

مَاذَا تَرَى فِي مُحِبٍّ مَا ذُكِرْتَ لَهُ   إِلاَّ شَكَا أَوْ بَكَا أَوْ حَنَّ أَوْ طَرِبَا

يَرَى خَيَالَكَ فِي المَاءِ الزُّلاَلِ إِذَا   رَامَ الوُرُودَ فَيَرْوَى وَهْوَ مَا شَرِبَا

وَهُوَ إِنْسَانُ الوُجُودِ وَعَيْنُ الوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ وَالوِجْدَانِ وَالوُجُودِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذَجِ حَقِيقَةٍ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[7- انطباع الحقيقة الأحمدية في جميع الصور]:

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الحَقِيقَةَ الكُلِّيَةَ مِنْ يَوْمِ بَرَزَتْ وَتَعَدَّدَتْ فِي نَفْسٍ تَأَحَّدَتْ وَهِيَ تَنْتَقِلُ مِنْ رُتْبَةٍ إِلَى مَنْهَلٍ إِلَى مِعْرَاجٍ إِلَى حَضْرَةٍ إِلَى بُسْتَانٍ، وَتَسْجُدُ فِي غُيُوبَاتِ كُلِّ مَا لاَ يُحْصَى مِنَ السَّنَوَاتِ إِلَى أَنْ تَسْتَكْمِلَ التَّخَلُّقَ بِمَعَانِي مُقْتَضَيَاتِهِ وَشُؤُون كَمَالاَتِهِ، هُنَالِكَ صَارَتْ عُيُوناً قَابِلَةً لِلاِنْطِبَاعِ فِي جَمِيعِ الأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ،

---

(1) هذا شطر شعري ضمن تائية المؤلف المشهورة، وتتمته ما يلي:

هيولي هباء الغين من جوهر العمى   فمني تبدى الكل من بسط نقطتي

ينظره محققا ضمن ديوان الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني: جمع وتحقيق ودراسة. إنجاز الدكتور: إسماعيل المساوي.

وَالمَعَانِي وَالمَبَانِي وَالمَثَانِي وَفَوَاتِحِ السُّوَرِ؛ لأَنَّهَا نُسْخَةٌ ذَاتِيَةٌ لاَ صِفَاتِيَةٌ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: 15]، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35].

فَطَوْراً تَرْفُلُ فِي مَظْهَرِ ثِيَابِ عَظَمَتِهَا، وَآوِنَةً تَلْتَحِفُ بِرِدَاءِ كِبرِيَاءِ لُطْفِهَا وَنُقْطَةِ شَكْلَتِهَا، وَحِيناً تَعْرُجُ فِي مَيَادِينِ سُرَادِقَاتِ الأَرْوَاحِ، وَوَقْتاً تَتَلَذَّذُ بِنَعِيمِ مَعِينِ مَاءِ مُدَامِ الأَقْدَاحِ، وَزَمَناً تَطِيرُ بِأَجْنِحَتَي الشَّوْقِ وَالاشْتِيَاقِ فِي مَجَالِ: ﴿طه﴾ [طه: 1]، وَتَكْرَعُ بِقُوَاهَا فِي سُرَادِقَاتِ: ﴿طسٓمٓ﴾ [الشعراء، القصص: 1]، وَتَتَلَثَّمُ[1] بِوُسْعِهَا خِيلاَنِ غَزْلِ: ﴿حمٓ﴾[2]، وَتَقْتَطِفُ بِعَقْلِهَا الفَيَاضِ أَزْهَارَ الكَمَالاَتِ الإِلَهِيةِ مِنْ شَجَرَةِ كَثْرَةِ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: 13]، وَتَقْتَنِصُ بِسَرَيَانِ رُوحِهَا الجُزْئِيَةِ مِنْ أَبْكَارِ أَفْكَارِ الغُيُوبَاتِ مَا يَحْجُبُ[3] الكُلَّ عَنِ الطَّيَرَانِ لِوَكْرِهَا وَيَنْقَطِعُ، وَتَسْتَنْشِقُ مِنْ أَرِيجِ نَوَافِحِ مِسْكِيَاتِ القُرْبِ الذَّاتِي، مَا لاَ يُعْثَرُ عَلَى جُزْئِيَاتِهِ بَعْدَ الصَّعْقِ وَالدَّكِّ الصِّفَاتِي.[الكامل]:

وَسَأَلْتُ مَعْسُولَ الرُّضَابِ فَقُلْتُ هَلْ ... مِنْ رَشْفَةٍ تَشْفِي الفُؤَادَ لِجَائِهَا

فَأَجَابَنِي وَالثَّغْرُ فِيهِ بَاسِمٌ ... مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَائِهَا

وَصَبَاحاً قَائِمَةَ الشَّكْلِ فِي مِحْرَابِ جَمْعِ الجَمْعِ الجمْعِي: سَامِعَةً ادْن مِنِّي وَاقْتَرِبِي وَاسْمَعِي.[الطويل]:

سَمِعْتُ النِّدَا مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ مَرْحَباً ... وَأَهْلاً بِمَعْشُوقِي لِسِرِّ هُوِيَتِي[4]

فَإِذَا بِالنِّدَاءِ مِنْ خَلْفِ الأَسْتَارِ، وَالنَّوْبَةُ قَدْ ضُرِبَتْ أَلْحَانُهَا عَلَى نَغَماتِ الأَوْتَارِ: [الطويل]

---

(1) في الأصل: وتلثم.

(2) غافر/ 1 -فصلت / 1 -الشورى/ 1 - الزخرف/ 1 - الدخان/ 1 -الجاثية / 1 -الأحقاف/ 1.

(3) في الأصل : يحجم .

(4) البيت الشعري من تائية المؤلف المشهورة. ينظرها ضمن تحقيقنا لديوان المؤلف السالف الذكر.

وَدُونَكَ حُسْنِي فَاشْهَدَنْهُ مُجَرَّداً   عَلَى نَعْتِ فَرْقِ الجَمْعِ مِنْ قَافِ قُوَّتِي
تَذَلَّلْ بِأُنْسِ البَسْطِ فِي حَضْرَةِ المُنَا   عَلَى عِزَّةٍ تَبْدُو بِكَهْفِ هُوِيَّتِي[1]

فَأَنْتَ أَيُّهَا النُّسْخَةُ الذَّاتِيَّةُ مَبْنَى فَوَاتِحِ السُّوَرِ وَمَعْنَاهَا، وَمَكْنُونُ بَاطِنِ اللاَّمِ وَمَعْنَاهَا، وَفِيكَ انْتَهَى مَا بَيْنَ البَاءِ وَالسِّينِ، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12].

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذَجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[8 -إمدادت الحقيقة الأحمدية لكل فرد من أفراد الموجودات]:

ثُمَّ إِنَّ جَوْهَرَةَ رُوحِهِ كَانَتْ لَهُ تَوَجُّهَاتٌ، بِحَسَبِ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ المَوْجُودَاتِ، فَكَانَتْ تَمُدُّ النَّوْعَ الإِنْسَانِي كُلٌّ عَلَى قَدْرِ قَابِلِيَّتِهِ وَوُسْعِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي نُعُوتِهَا، وَتُفِيضُ عَلَى عَالَمِ النُّبُوءَةِ مَا تَسْتَضِيءُ بِهِ حَضَرَاتُهَا، وَتَسْتَمِدُّ مِنْهُ سَائِرُ عَوَالِمِهَا وَجُزْئِيَاتِهَا، وَتُرْسِلُ عَلَى مَعَالِمِ حَضْرَةِ وِلاَيَةِ الرُّسُولِ مَا تَتَّحِدُ بِهِ نُعُوتُهَا بِحَضْرَةِ إِجْمَالِ الإِجْمَالِ، وَتُنْثِرُ أَنْدِيَتَهَا عَلَى كُرَةِ الأَثِيرِ مَا تَسْتَقِيمُ بِهِ فِي أَمْنِهَا[2]، وَتَرُومُ حَضَرَاتِ المَعْدِنِ فَتَخْرُجُ مِنْ وَدْقِهَا مَا تَتَمَاسَكُ بِهِ جَوَاهِرُهُ، وَتَمُدُّ عَالَمَ الجَمَادَاتِ وَعَالَمَ النَّبَاتَاتِ، وَعَالَمَ الحَيَوَانَاتِ؛ كُلٌّ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ وَتَوَغُّلِهِ فِي حَضَرَاتِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَهِيَ العَرْشُ المُحِيطُ الذِي سَائِرُ كُرَةِ العَالَمِ قَائِمَةٌ مِنْ قَوَائِمِ هَيْكَلِهِ الكُلِّي؛ لأَنَّهُ العَالَمُ الكَبِيرُ وَغَيْرُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ عَالَمٌ صَغِيرٌ، فَهُوَ الخَلِيفَةُ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسَيِّدُنَا آدَمُ الجِسْمَانِي خَلِيفَةٌ فِي الأَرْضِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ

---

(1) البيتان من شعر المؤلف ضمن تائيته المشهورة. ينظر المصدر السابق نفسه.
(2) في الأصل: أمتها.

وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذَجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرَتْ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةٍ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

[9- اصطحاب روحانيته ﷺ بجسمانيته وجملة من مزاياها]:

ثُمَّ إِنَّ جَوْهَرِيَّةَ رُوحَانِيَّتِهِ تَرَبَّتْ فِي حِجْرِ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: 41]، وَتَغَذَّتْ بِلَبَانِ: "إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي؛ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ"(1)، وَتَأَدَّبَتْ بِآدابِ: "أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي"(2)، وَتَعَلَّمَتْ فِي مَكْتَبِ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113]، فِي لَوْحِ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: 21، 22].

وَتَفَقَّهَتْ فِي طُرُوسِ سُطُورِ: "كَانَ خُلُقُهُ القُرْءانُ"(3)، فِي جَوَامِعِ: "كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ"(4)، وَتَهَذَّبَتْ فِي مَفَاتِيحِ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 8]، وَتَمَذْهَبَتْ بِإِمْدَادَاتِ قُوَى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: 17]، وَتَمَنْطَقَتْ بِمَنْطَقَةِ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 193، 194]، وَالْتَحَفَتْ بِلِحَافِ: "مَنْ رَآنِي فَقَدْ رأى الحَقّ"(5)، وَتُوِّجَتْ بِتَاجِ: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 64]، وَانْتَعَلَتْ بِنِعَالِ: "ادْنُ مِنِّي يَا

---

(1) .ينظر صحيح البخاري، كتاب الصوم رقم الحديث: 50-48-20.

(2) ينظر "الجامع الصغير"، السيوطي رقم الحديث 300.

(3) ينظر صحيح مسلم 139/ 1.

(4) ينظر:

- مسند الإمام أحمد 127/ 4 - "التاريخ الكبير"، البخاري 168/ 3- "المعجم الكبير"، الطبراني 252/ 8.

- "دلائل النبوة"، البيهقي، 80/ 1 - "الطبقات"، ابن سعد 149/ 1.

(5) صحيح البخاري، كتاب التعبير رقم 6996- 6997.

(6) ذكر الزرقاني في "المواهب" أن الهمداني في سبعياته قال: ثبت في الحديث أن الرسول عليه السلام قال: "هممت ليلة المعراج أن أخلع نعلي، فسمعت النداء من قبل الله: يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما، فقلت: يا رب؛ إنك قلت لموسى: ﴿اخلع ـ

مُحَمَّد بِنَعْلَيْكَ"[1]، وَأَلْبِسَتْ حُلَلَ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54].

وَعُمِّمَتْ بِعِمَامَةِ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عَنْ مَعْرِفَتِكَ وَهُوِيَّتِكَ وَمَاهِيَّتِكَ؛ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 129] عَرَفَنِي وَأَحَاطَ بِجُمَلِي وَتَفَاصِيلِي. وَعُصِّبَتْ بِعِصَابَةِ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: 18]، وَنُشِرَتْ عَلَيْهَا أَلْوِيَةُ: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]، وَتَقَدَّمَهَا: "أَنَا لَهُمْ مَا مَاتُوا"، وَتَأَخَّرَهَا: "أنا لَهم مَا عَاشُوا"، وَتَوَسَّطَهَا: "أنا لَهُم فِي القُبُورِ"[2]، وَأَحَاطَ بِهَا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4].

[10- رموز تعبر عن تلقي المؤلف من الحقيقة الأحمدية]:[3]

فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي المُنَادَمَةِ؛ إِذْ حَضَرَتِ الأَكْوَابُ، مَمْلُوءَةً بِثُغُورِ الرُّضَابِ، فَآونَةً تَبْدُوا كَالكُؤُوسِ[4] عَلَى حَسَبِ الأَنْفُسِ، وَطَوْراً تَبْدُو كَالقَوَارِيرِ، عَلَى شَكْلِ المَنَابِرِ، وَوَقْتاً كَالأَبَارِيقِ، مُصْطَفَّةً عَلَى مَجَرَّةِ النَّمَارِيقِ، وَحِيناً كَالسِّوَارِ، وَسَاعَةً كَالمِزْمَارِ...وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لِلتَّشَكُّلِ، فِي مَقَامِ التَّنَزُّلِ، مَمْزُوجَةً بِزَنْجَبِيلِ: ﴿صٓ﴾[5]، وَكَافُورِ: ﴿قٓ﴾[6]، فِي سِرِّ: ﴿نٓ﴾[7].

= نعليك إنك بالوادي المقدس﴾، فقال: "يا أبا القاسم؛ ادن مني، لست عندي كموسى فإنه كليمي وأنت حبيبي". قال الزرقاني: "وتعقب بأن هذا باطل ولم يذكر في شيء من الأحاديث بعد الاستقراء التام"، ويبدو أن الهمداني لم يصرح بلفظ: "ثبت" إلا إذا كان له أصل، والله أعلم. ينظر: "روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات"، محمد الباقر الكتاني: ص: 28 هامش: 13.

(1) ورد في بعض أخبار الإسراء مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح: أنه عليه السلام قال لربه عز وجل لما أراد الانصراف: "يا رب؛ لكل قادم من سفره تحفة، فما تحفة أمتي؟"، قال الله تعالى: "أنا لهم ما عاشوا، وأنا لهم ما ماتوا، وأنا لهم في القبور، وأنا لهم في النشور". ينظر: "روضات الجنات"، المصدر السابق ص: 29 هامش 18.

(2) بهذه الرموز عبر المؤلف أيضا في كتابه: "الديوانة"، وبها - أيضا - عبر الحلاج في كتابه: "الإنسان الكامل".

(3) في الأصل: كالأكؤس.

(4) ص 1/.

(5) ق 1/.

(6) القلم 1/.

فَلَمَّا ضُرِبَتْ دَيَاجِ الغدَائِرِ، عَلَى كَهْفِ غَارِ الدَّوَائِرِ؛ انتُزِعَ السِّرُّ لِلْمُحَادَثَةِ، وَالرُّوحُ لِلْمُبَاحَثَةِ، وَالفُؤَادُ لِلْكِفَاحِ، وَالعَقْلُ لِلرَّاحِ، وَالنَّفْسُ لِلْمُنَازَلَةِ، فِي قَابِ قَوْسَيْ مَهَامِهِ المُغَازَلَةِ، وَقَامَ وُرْقُ الحَضْرَةِ سَاجِعاً، وَبَارَزَ نَغَمَاتِ الأَوْتَارِ رَاتِعاً، فَلَبَّى وَحَمِدَ وَكَتَبَ: "أَيُّهَا التِّبْيَانُ المَقْرُوُّ بِخُضَابِ البَنَانِ، الفَاتِكُ بِالسِّنَانِ، القَائِمُ بِالجِنَانِ؛ مَا الوَصْفُ وَالوَسْمُ، وَمَا الإِسْتِقْرَارُ والاسم، وَمَا الطَّوَاسِيمُ وَالحَوَامِيمُ، وَالبَرْنَامِجُ وَالأُنْمُوذَجُ وَالرَّقِيمُ، وَالبَدْءُ وَالخَتْمُ، وَعَنْقَاءُ مُغْرِبِ الرَّسْمِ، والاسم البَاطِنُ، وَمَعْنَى الخَازِنِ؟!".

فَانْتَصَبَ عَلَى سَاق، بِنَعْتِ: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: 29]، وَكَتَبَ: "الحَمْدُ لِي مِنْ حَيْثُ الاِضْطِحَاب، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى جَوْهَرَةِ حُسْنِ النِّقَابِ؛ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الطَّوَاسِيمَ وَالحَوَامِيمَ، وَالبَرْنَامِجَ وَالأُنْمُوذَجَ وَالرَّقِيمَ؛ فَقَدْ يَعْثُرُ عَلَيْهِ الأُدَبَاءُ، وَيَتَنَسَّمُ عَرْفَ أَرِيجِهِ الغُرَبَاء. وَأَمَّا البَدْءُ وَالخَتْمُ؛ فَالأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ. وَأَمَّا المُسْتَقَرُّ؛ فَفِي المَنْزِلِ السَّادِسِ مِنَ القَمَرِ، حَيْثُ إِلاَّ الذَّوَائِبَ وَالخُضَابَ، وَالغَدَائِرَ وَالدَّوْلاَبَ!".

فَقُلْتُ: "لَمْ أَفْهَم بِالرَّمْزِ وَالتَّلْوِيحِ، بَلْ وَلاَ بِالبَيَانِ وَالتَّصْرِيحِ!".

فَإِذَا بِطَيْرٍ أَخْضَرَ، قَدْ طُوِّقَ بِالتَّضَادِّ[1] مَا صَيَّرَهُ عَنْقَاء أَشْقَرَ، وَنُونُ عَرْشِي وَقَافُ فَرْشِي وَقَدْ قَلَّدَتْهَا[2] نُجُومَهَا الجَوْزَاء، وَطَوَّقَتْ حِلْيَهَا دُرَارُ السَّمَاء، فَتَلاَ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]، وَعَلَى الجَنَاحِ الأَيْمَنْ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: 46]، وَعَلَى الجَنَاحِ الأَيْسَرِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60]، فَكَانَ الرَّسْمُ وَالاسْمُ، وَالفَذْلَكَةُ وَالوَسْمُ، ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: 164]، وَعَلَى خَالِهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، وَعَلَى عَيْنِهِ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: 5]، وَعَلَى بَاطِنِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6]، وَعَلَى ظَاهِرِهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: 1].

---

(1) في الأصل: بالتضداد.

(2) في الأصل: قلدته.

بَلْ إِنْسَانُ عَيْنِ الأُنْمُوذُجِ، وَنُقْطَةُ بَاءِ سِرِّ نُورِ رَقَائِقِ الهُوِيَّةِ، عَلَى نُورِ الإِنْسَانِيَّةِ العَبْدِيَّةِ، المُلْثَمَةِ بِمَعَانِي الغَزْلِيَاتِ، الدَّالَّةِ عَلَيْهِ بِهِ فِي سَائِرِ الحَيْثِيَّاتِ، المُتَمَثِّلِ بِصُورَةِ "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"(1)، فَأَنَا خَرِيدَةُ العَجَائِبِ وَجَرِيدَةُ الغَرَائِبِ، وَكَهْفُ الذَّاتِ، وَعَيْنُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، مَنْهَلُ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: 1]، وَجَدْولُ: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: 1، 2]، وَمُحِيطُ: ﴿يسٓ﴾ [يس: 1]، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى: "أَرُفِعَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللَّهُ؟"، "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم القيامة وَلاَ فَخر"(2)، فَلاَ أَفْتَخِرُ بِهَذَا، بَلْ شِنْشَنَتِي وَدَأْبِي وَمَسْقِطُ رَأْسِي: "أُوتيتُ جَوَامِعَ الكَلِم"(3)، "فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفِي فَلاَ زِلْتُ أَجِدُ بَرْدَهَا؛ فَعَلِمْتُ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِين"، وَمِنِّي إِلَيَّ الختَامُ...وَالسَّلاَمُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذُجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[11- ولادة الرسول عليه السلام]:

ثُمَّ إِنَّ الحَقَّ لَمَّا كَانَ مُرَادُهُ مِنْ إِبْرَازِنَا لِعَالَمِ الكَوْنِيَّاتِ هُوَ: إِبْرَازُ عَالَمِ مُقْتَضَيَاتِ الحِكْمَةِ، وَأَمَّا لَوْ كَانَ مُرَادُهُ عَالَمُ المَعْنَى؛ لأَوْدَعَ حَقَائِقَنَا بِكُهُوفِ الأَزَلِ وَالأَبَدِ إِلَى أَنْ تَنْسُجَ عَلَيْنَا عَنَاكِبُ الدَّهْرِ يَدَهَا؛ رَاجَتْ رِيَاحُ القُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فِي جُزْئِيَاتِ سَيِّدِنَا عَبدِ اللهِ إِلَى أَنْ تَزَوَّجَ، هُنَالِكَ صَارَ النُّورُ المُحَمَّدِي فِي كُلِّ كُلِّهِ فَصَارُوا لَهُ كَالعَرْشِ مَحْفُوفِينَ فِي غَيْبِ رَحْمَانِيتِهِ، فَصَارَ هُوَ الحَامِلُ وَالمَحْمُولُ وَالمَحْمُولُ فِيهِ وَالمَحْمُولُ لَهُ، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: 72]، وَكَيْفَ لاَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان - بدء السلام- رقم : 6227.
(2) ينظر : مسند الإمام أحمد 1/ 5 - "المستدرك" الحاكم، رقم الحديث 4189.
(3) صحيح مسلم رقم الحديث 533. مسند الإمام أحمد 2/ 34.

مَنْزِلَةَ الوُجُودِ الحَقِّي فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10]، "مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي، وَإِنَّمَا وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُومِنِ"؟. ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: 72]. فَبِتِلْكَ الخِصِّيصَةِ العُظْمَى جُبِرَ كَسْرُ المُومِنَاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 34]، وَمَا ظَفَرَتْ بِهَا حَوَّاءُ وَعَثَرَتْ عَلَيْهَا ءامِنَةُ، وَذَلِكَ عَدْلٌ إِلَهِي. وَأُنْشِدَ لِلإِسْتِرْوَاحِ(1).[الكامل]:

أَرْخَتْ ثَلاَثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... مِنْ لَيْلَةٍ؛ فَـرَأَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَـأَرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

وَالحَقَائِقُ الإِلَهِيَّةُ لاَ تَتَبَدَّل [الوافر]:

رَأَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ فَأَذْكَرَتْنِي ... لَيَالِيَ وَصْلِهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ
كِلاَنَا نَاظِرٌ قَمَراً وَلَكِنْ ... رَأَيْتُ بِعَيْنِهَا وَرَأَتْ بِعَيْنِي

وَلاَ زَالَ الدَّوْرُ يَنْتَهِي إِلَى أَنْ وَلَدَتْ سَيِّدَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ:

[12- في السلام على رسول الله ﷺ]:

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا إِسْرَاءَ هَيَاكِلِ المُلاَقَاة، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا عَرْشَ رَحْمَانِيَّةِ المُنَاجَاة، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّم
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَيًّا عَرُوسَةِ الحَضَرَاتِ، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سِدْرَةَ مُنْتَهَى وَصْلِ الرُّوحَانِياتِ، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سُطُورَ طُرُوسِ الكَائِنَاتِ، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا عِقْدَ جَوْهَرَةِ تَلاَقِ المَعْشُوقِيَّاتِ، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّم
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مِحْرَابَ صَلاَةِ رُوحِ الهُوِيَّاتِ، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَوْنَقَ مُحَيَا ذَاتِ الإِطْلاَقَات، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا كَعْبَةَ تَحْقِيقِ الكَمَالاَت، ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

---

(1) في الأصل: الاستروواح.

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مَجْلَى صُورَةِ مَوَارِدِ التَّلَقِّيَات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّم

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مَعْشُوقَ الحَضَرَات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مَحْبُوبَ السُّلاَفَات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا كَهْفَ مَنِيعِ الطَّامَّات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سَمِيرَ أَشْوَاقِ أَرْبَابِ اللَّهَفَات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّم

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَنِيسَ مَنْ هَامَ مِنْ أَلَمِ الزَّفَرَات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُبْدِعَ تَنْمِيقِ الاِخْتِرَاعَات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَنِيسَ مُطْرِبِ مَنْ غَابَتْ عَنْهُ اللَّحَظَات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ رُوحِ الرُّوحِ لِلرُّوحِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّم

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنَ الحَقِّ لِلْحَقِّ يَلُوح، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْكَ إِلَيْكَ لَدَيْك، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ بِكَ لَكَ عَلَيْكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ فَلَكِ أَطْلَسِ الأَفْلاَكِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّم

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ قُطْبِ سِرِّ سِرِّ الأَمْلاَك، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنَ الكُلِّيَّاتِ وَالجُزْئِيَّات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنَ البَسَائِطِ وَالمُرَكَّبَات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنَ الحَيَوَانَاتِ وَالعَجْمَاوَاتِ وَسَائِرِ البَرِّيَّات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَسَلَّمْ.

فَرُكِّبَتِ الرُّوحُ الكُلِّيَّةُ، فِي هَيْكَلِ العُنْصُرِيَّةِ، وَمِنْ يَوْمِ خَرَجَ، لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمَا حَرَجٌ، فَاصْطَحَبَتِ الخَمْرُ بِالأَوَانِ، وَبَقِيَ مَا كَانَ عَلَى مَا كَانَ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمَا سِتْرٌ، مُذ انْمَحَتْ نُقْطَةُ الأَسْرِ، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187]، فَوَقَعَ الاِصْطِحَابُ، وَامْتَزَجَتِ العُقَارُ بِالْحُبَابِ، وَذَاكَ بِتَزْوِيجِ الخَمَّار، بَعْدَ مَا أَزَاحَ بُرْقُعُ الخِمَارِ، فَأَنْشَدَ الكَاسُ، مُحلاً بِالوَرْدِ وَالآسْ:

زَوَّجْتَـهَـا وَالـزَّمَـانُ طِـفْـلٌ   لاَ كَـرْمَ فِـيـهِ وَلاَ عُـرُوسُ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذَجٍ حَقِيقَةٍ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[13- شرح صدر النبي ﷺ]:

ثُمَّ إِنَّ طَلْعَةَ الحَقِّ لَمَّا خَرَجَ مِنْ بُطْنَانِ الأَزَلِ لِعَالَمِ الحِكْمَةِ؛ حَصَلَ لَهَا وَحْشَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَا كَانَتْ تَعْهَدُهُ مِنَ التَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ، مَعَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَهَا مِنْ رِقِّ الحَدَثَانِ وَالحُدُوثِيَّةِ، وَمُفَارَقَةِ الرِّبِّيَّةِ مُجَرَّدَةً إِلَى الرِّبِّيَّةِ وَالمَرْبُوبِيَّةِ.

وَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ الدَّهَشُ؛ أُزِيلَ بِخِطَابِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1]، بِتَفَرُّدِنَا بِمَعْرِفَةِ كُنْهِ إِحَاطَةِ مَرَاتِبِ مَكْنُونَاتِهِ، وَجَعَلْنَا لَهُ غَيْباً مِنْ غُيُوبِ غُمُوضِ سِرِّ سِرِّنَا بَلْ مِنْ نُقْطَةِ هُوِيَّةِ هُوِيَّاتِهِ.

أَوْ تَقُولُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، بِجَعْلِهِ مِرْآةً أَرَى فِي مِرْءَاةِ نِقَابِهِ، وَأَتَجَلَّى فِي لِثَامِ مُحَيَّا حُسْنِ سَحَابِهِ؛ بِحَيْثُ لاَ أَرَى حَقِيقَةً إِلاَّ فِي مِحْرَابِ مُصَلاَّكَ، وَلاَ يَسْتَنْشِقُنِي نَدِيمٌ إِلاَّ فِي مَطَالِعِ مُحَيَّاكَ؛ فَأَنْتَ الكَأْسُ وَأَنَا الخَمْرُ، وَأَنْتَ المِرْآةُ وَأَنَا البَدْرُ، وَأَنْتَ المَجْهُولُ وَأَنَا المَعْلُومُ[1]، وَأَنْتَ الهِلاَلُ وَأَنَا النَّجْمُ، وَأَنْتَ عَرْشُ التَّجَلِّي، وَفِيكَ التَّرَقِّي وَالتَّدَلِّي، وَلاَ مَرْمَىً دُونَ مَرْمَاكَ، وَلاَ اطِّلاَعَ عَلَى بَعْضِ جُزْءِ بَاطِنِ مُحَيَّاكَ؛ فَأَنْتَ المَعْرُوفُ وَالمَجْهُولُ، وَالمَوْصُولُ وَالوُصُولُ، لاَ تُدْرِكُ أَبْصَارُ الحَوَادِثِ حَقِيقَةَ كُنْهِكَ.

أَوْ تَقُولُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، بِرُؤْيَةِ جَمَالِ حُسْنِي، وَإِزَاحَةِ البَيْنِ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِي.

---

(1) في الأصل: العلم.

أَوْ تَقُولُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، بِجَعْلِكَ بَرْزَخاً بَيْنِي وَبَيْنِي، وَمَرْكَزاً لإِحَاطَةِ أَفْلاَكِ مَرَاتِبِ عَيْنِي.

أَوْ تَقُولُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، بِعُكُوفِكَ فِي حَضَرَاتِ الجَمْعِ وَرَفْعِ السُّتُورِ، دَائِماً عَلَى مَمَرِّ اللَّيَالِي وَالدُّهُورِ، لاَ يَشْغَلُكَ مَرْبُوبٌ عَنْ رَبٍّ، وَلاَ قِشْرٌ عَنْ لُبٍّ، قَائِمٌ عَلَى الشُّرْبِ وَالاِصْطِحَابِ[1]، وَالمُنَادَمَاتِ وَالكِفَاحِ، فِي قُرْبِ القُرْبِ وَغَيْبِهِ؛ بَلْ مَطْوِيٌّ فِي غُمُوضِ الفَيْضِ الأَقْدَسِ وَجَيْبِهِ، أَمَعَ هَذَا - يَا مَحْبُوبُ - تَبْقَى لَكَ وَحْشَةٌ أَوْ تُتْلَى عَلَيْكَ - يَا مَعْشُوقُ - دَهْشَةٌ؟!. وَكَأَنِّي بِكَ قَائِلٌ:

لاَ أَكْتَفِي بِوِصَالِهِ لَوْ دَانَ دَهْرُ الدَّهْرِ زَائِرُ

أَوْ تَقُولُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، بِجَعْلِكَ عَرُوسَ المَمْلَكَةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَإِنْسَانَ عَيْنِ الوُجُودِ، وَإِمَامَ الحَضْرَةِ وَمُنْتَهَى سِدْرَةِ الشُّهُودِ، هَيُولَى الهَبَاءِ وَالأَرْوَاحِ المُهَيَّمَةِ، وَعُنْصُرَ المُجَرَّدَاتِ وَيَعْسُوبَ المَرَاتِبِ المُسَوَّمَةِ، مَوْضُوعَ كُرَةِ العَالَمِ، وَمَحْمُولَ أَسَاسِ مَبَانِي النِّظَامِ، أُسَّ المَرَاتِبِ وَمَعْنَاهَا، وَمَبْنَى الحَضَرَاتِ وَمَغْنَاهَا؛ بَلْ لَوْلاَكَ مَا عُرِفْتُ، وَلَبَقِيتُ مَجْهُولاً كَمَا عُرِفْتَ أَنْتَ، فَأَنْتَ المَعْرُوفُ وَالمُعَرِّفُ، وَالفَصُّ المَجْهُولُ المُحَرَّفُ، فَمَا بَقِيَ لِلدَّهْشَةِ - يَا حَبِيبُ يَا مُقَرَّبُ - أَثَرٌ، وَلاَ لِلْوَحْشَةِ مَقَرٌّ، وَكَأَنِّي بِكَ لَمَّا اسْتَشْعَرْتَ لِثَامَكَ بِالعَبْدِيَّةِ، وَلِحَافَكَ بِإِزَارِ العُنْصُرِيَّةِ، وَحَصَلَ الاِنْغِمَاسُ فِي مَعْنَى الرَّبِّيَّةِ، اسْتَوْحَشْتَ مِمَّا ذُكِرَ؛ لِكَوْنِكَ مَخِيطاً بِخَطِّ الإِنْسِيَّةِ.[الوافر]:

أَرَى آثَارَهُمْ فَأَذُوبُ شَوْقاً وَأَسْكُبُ مِنْ تَذَكُّرِهِمْ دُمُوعِ
وَأَسْأَلُ مَنْ قَضَى بِفِرَاقِ حِبِّي يَمُنُّ عَلَيَّ مِنْهُمْ بِالرُّجُوعِ
وَصَلَتْ صَحِيفَتُكُمْ فَهَزَّتْ مِعْطَفِي فَكَأَنَّمَا أَهْدَتْ كُؤُوسَ القَرْقَفِ
وَكَأَنَّهَا لَيْلُ الأَمَانِي لِخَائِفٍ أَوْ وَصْلُ مَحْبُوبٍ لِصَبٍّ مُسْعِفِ
وَرُبَّ حَمَامَةٍ فِي الدَّوْحِ بَاتَتْ تُجِيدُ النَّوْحَ فَنّاً بَعْدَ فَنِّ

(1) في الأصل: والاصطباح.

أُقَاسِمُهَا الهَــوَى مَهْــمَا اجْتَمَعْنَا فَمِنْهَا النَّوْحُ وَالعَـــبَرَاتُ مِنِّي
إِذَا جَنَّ لَيْلِي هَــامَ قَلْبِي بِذِكْرِكُمْ أَنُوحُ كَــمَا نَاحَ الحَمَــامُ المُطَوَّقُ
وَفَوْقِي سَحَابٌ يُمْطِرُ الهَمَّ وَالأَسَى وَتَحْتِي بِحَارٌ بِالجَـــوَى تَتَدَفَّقُ
سَلُوا أُمَّ عَمْرٍو كَيْفَ بَاتَ أَسِيرُهَا تَفُكُّ الأَسَـارَى دُونَهُ وَهْوَ مُوَثَّقُ
فَلاَ هُوَ مَقْــتُولٌ فَفِي القَتْلِ رَاحَةٌ وَلاَ هُوَ مَمْنُــونٌ عَلَيْهِ فَيُعْتَقُ
وَقَـائِلَـةٍ: مَا بَـالُ دَمْعِكَ أَسْوَدَا وَجِسْمِكَ مُصْفَرًا وَأَنْتَ نَحِيلُ
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الدُّمُوعَ تَجَفَّفَتْ وَهَــذَا سَوَادُ المُقْلَتَيْنِ يَسِيلُ

وَأَتَمَثَّلُ وَأَقُولُ.[الكامل]:

يَا مَنْ نَفَـــتْ عَنِّي لَذِيذَ رُقَادِي مَالِي وَمَـــالَكِ قَدْ أَطَلْتِ سُهَادِي
فَــبِأَيِّ ذَنْــبٍ أَمْ بِأَيَّةِ حِــيلَةٍ أَبْعَـــدتِنِي وَلَقَدْ سَكَنْتِ فُؤَادِي
وَصَدَدْتِ عَنِّي حِينَ مُذْ مَلَكَ الهَوَى رُوحِــي وَقَلْـبِي وَالحَشَا وَقِيَادِي
وَمِنَ المُنَى لَــوْ دَامَ لِي فِيكِ الضَّنَى يَـا حَـــبَّذَا لاَ أَرَاكِ مِــنْ عُوَّادِي
وَأَقُولُ: مَا شِئْتِ اصْنَعِي يَا مُنْيَتِي مَا لِي سِــوَاكِ وَلَوْ حُرِمْتُ مُرَادِي
إِلاَّ مَــدِيحَ المُصْطَفَى هُوَ عُمْدَتِي وَبِهِ سَـــأَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ معَــادِي
وَلَوْ أَنَّ كُـــلَّ العَالَمِــينَ تَأَلَّفُوا عَلَى مَدْحِهِ لَمْ يَبْلُغُوا عُشْـرَ وَاجِبِ
وَرُبَّ سُكُـــوتٍ كَانَ فِيهِ بَلاَغَةٌ وَرُبَّ كَلاَمٍ فِيهِ عَــتْبٌ لِعَــاتِبِ

وَلاَ زَالَ يَتَرَقَّى فِي مَيَادِينِ العُبُودِيَّةِ إِلَى أَنِ اسْتَكْمَلَ مَرَاتِبَهَا، ثُمَّ انْتَقَلَ لِبِسَاطِ الإِطْلاَقِ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: 29، 30].

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَحْمَد. الذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِداً بِاسْمِكَ وَنَعْتِكَ. وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذُجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللَّهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَةِ أَنَا اللَّهُ. بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

[14- غلبة حقيقة الرسول ﷺ الباطنية على حقيقته الظاهرية]:

ثُمَّ إِنَّ هَيْكَلَهُ الجَامِعَ المُحَمَّدِي؛ هَبْ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ جَوْهَرٍ لَطِيفٍ وَكَثِيفٍ،

لَكِنْ لَمَّا كَانَ لَوْنُ المَاءِ لَوْنُ إِنَائِهِ؛ لَمْ يَكُنْ حُكْمٌ لِجَوْهَرِهِ العُنْصُرِي عَلَى هُوِيَّةِ مَاهِيَتِهِ الإِطْلاَقِيَّةِ الأَمْرِيَّةِ، فَكَانَ الحُكْمُ لِلْعُنْصُرِ الفَيَّاضِ الأَوَّلِ. وَلأَجْلِ هَذَا؛ كَانَ لاَ يُرَى لَهُ ظِلٌّ، وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ لِتَخَلُّقِهِ بِالصَّمَدَانِيَّةِ، وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لِغَلَبَةِ الجَوْهَرِ الإِطْلاَقِي عَلَى الجوْهَرِ التَّقْيِيدِي: "إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ". وَهَاهُنَا قُلْتُ.[الكامل]:

مَعْنًى بَدَا بِتَمَاثُلِ العَبْدِ الـ ... ـمُضَافِ لِمَائِهِ المقْرُوْ بِالقُرآن
مُتَلَثِّمٌ بِعَنَاصِرِ التَّنْزِيهِ فِي ... تشبِيه أَيْن جواهِر البُسْتَان
مُتَمَنْطِقٌ بِرَقَائِقِ الإِطْلاَقِ مُلْـ ... ـتَحِفٌ بِسِرٍّ لَطَائِفِ الأَكْوَانِ
سِرٌّ بَدَا فِي اللَّوْحِ أُعْجِمَ حَرْفُهُ ... مَعْنَاهُ دَقَّ عَنِ الأَدِيبِ الدَّانِ
إِن رُمْتَ نَاسُوتاً وَجَدْتَ مَهَامِهَ ... اللاَّهُوتِ تَنْبُو عَنْ سَنَى الإِمْكَانِ
تُنْبِيكَ عَنْ أَحَدِيَّةِ التَّنْزِيهِ فِي ... صُبْحِ التَّكَاثُرِ مُسْتَوَى الرَّحْمَانِ
فَتَنَتْ وَسَلَّتْ مِنْ غِمَادِ لِحَاظِهَا ... جَفْناً أَذَابَ مَعَالِمَ الأَشْجَانِ
هِيَ غَادَةٌ تَخْتَالُ فِي دَيْجُورِهَا ... تَسْطُو عَلَى العُشَّاقِ بِالتَّيهَانِ
يَا مَنْ غَدَتْ تَسْبِي بِظِلِّ جَمَالِهَا ... مَهْلاً فَقَدْ ذَابَتْ حُشَاشَةُ فَانِ
يَكْفِيهِ مَا قَدْ قَاسَى مِنْ أَلَمِ النَّـ ... ـوائِبِ وَالشَّدَائِدِ مِنْ عَنَا الأَجْفَانِ
كَمْ ضَاقَ ذَرْعاً بِالخُطُوبِ وَقَدْ غَدَا ... مُتَمَنْطِقاً بِذَوَائِبِ النِّيرَانِ
أَبْلَتْ حَوَادِثُهَا الزَّمَانَ وَمَا لَهَا ... عَنْهُ مَنَاصٌ مُزْجَا بِتَوَانِ
فَتَكَتْ جيُوبَ الصَّبْرِ فَانْفَلَقَتْ قُـ ... ـوَاهُ المُرْسَلاَتُ عَلَى القُلَيْبِ الفَانِ
مَا بِثُّ شَكْوَى لِلزَّمَانِ فَلاَ لَهُ ... حُكْمٌ عَلَى الرُّجْحَانِ وَالنُّقْصَانِ
أَرْجُو لَدَيْكَ مآرِباً فِي النَّفْسِ قَدْ ... نِيطَتْ وَمِنْكَ الكَشْفُ دُونَ تَوَانِ
حِبِّي وَكَأْسِي والرُّضَابُ وَرَاحَنَا ... فِي غَيْهَبِ الأَكْمَامِ وَالقِيعَانِ
مِنْهُ يَغَارُ البَدْرُ عِنْدَ تَمَامِهِ ... وَالشَّمْسُ مِنْهُ تَحَارُ فِي الدَّوَرَانِ
مَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ حُسْنَ بَهَائِهِ ... أَرْبَى عَلَى الغِزْلاَنِ وَالأَكْوَانِ
مَا إِنْ لَهُ فِي الكَوْنِ مِنْ شَبَهٍ وَلاَ ... فِي الدَّيْرِ مِنْ كُفْءٍ وَلاَ مِنْ ثَانِ

رَوْضُ العُقُولِ إِذَا دَنَتْ تَخْتَالُ فِي ... حُلَلِ الطَّوَاسِمِ فِي جَوَاهِرِ بَانِ
كَمْ بِتُّ أَرْشُفُ ظَلْمَهُ تَحْتَ الغَسَقِ ... وَالخَالُ مِسْكٌ مِنْ جَنَا النِّيجَانِ
فَاخْلَعْ ثِيَابَكَ وَاطَّرِحْ تَدْنُو إِلَى ... وَادِ المُقَدَّسِ عَنْ دُجَا الحَدَثَانِ
تَلْقَى جَمَالَ الحَقِّ يَلْمَعُ مِنْ هَيُو ... لاَهُ عَلَى التَّجْرِيدِ وَالتِّبْيَانِ
وَتَدُورُ بَيْنَ مَعَالِمِ الغِزْلاَنِ فِي ... دَيْجُورِ وَصْلِ سَوَالِفِ الفَتَّانِ
وَتَرُوحُ نَحْوَ كَوَاعِبٍ تَسْطُو عَلَى ... العُشَّاقِ بِالتِّيهَانِ فِي الأَجْفَانِ
تَلْقَاكَ غِيدُ الحُسْنِ ثَغْرُ وِصَالِهَا ... أَشْهَى مِنَ الصَّهْبَاءِ فِي الكِيزَانِ
وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ الفَتَاتِ عَلَى الكُتُبِ ... البِيضِ نَحْوَ مَرَاسِمِ الأَوْطَانِ
فَاشْرَبْ عَلَى الصَّوْتِ القَدِيمِ زُجَاجَةَ ... الوَجَنَاتِ مِنْ أَحَدِيَّةِ الكُثْبَانِ
قَدْ نَاوَلَتْ كَفِّي بِظِلِّ شُعَاعِهَا ... كَأْساً تضَاحَكَ عَنْ ثُغُورِ غِوَانِ
فَرَأَيْتُ مَعْنَى جَمَالِهِ فِي الكَأْسِ مِنْ ... دُونِ البَرَاقِعِ وَالحِسَانُ حِسَانِ
يَا لَيْتَ رَشْفَ أَقَاحِهَا أَضْحَى سَمِـ ... ـيرَ الوَجْدِ فِي الأَدْوَاحِ وَالأَفْنَانِ[1]

انْتَهَى بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ الجَمِيلِ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمْ

---

(1) هذه الأبيات من قصيدة للمؤلف، مطلعها:
خود رمت عن قوس حاجبها سها ... م الجفن، تسطو من ثغور غوان
ينظرها ضمن ديوان المؤلف السالف الذكر.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الدبواتة
في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية

الكشف والتبيان
عما خفي على الأعيان

رسالة في أبوته ﷺ للمؤمنين
وأن كل رسول أب لأمته

السَّانِحَاتُ الأَحْمَدِيَّةُ
وَالنَّفَثَاتُ الرَّوْعِيَّةُ في مولد خير البرية